رسالة الإخوان

مقالات فضيلة المرشد العام

خلال عام (١٤٢٤-١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٣-٢٠٠٤ م)

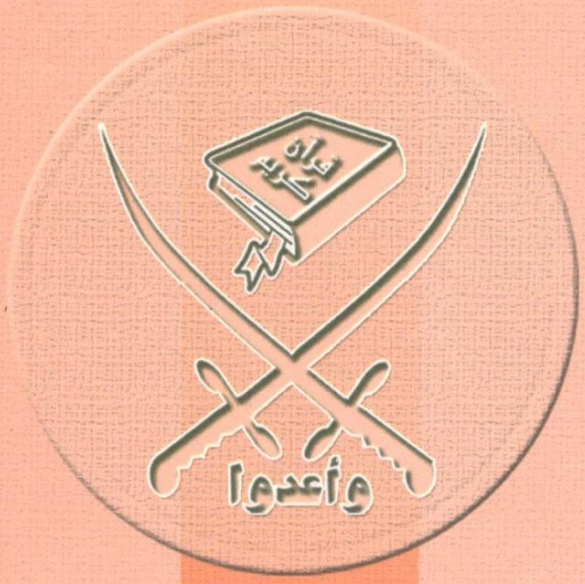

أ / محمد مهدى عاكف

المرشد العام للإخوان المسلمين

رسالة الإخوان

مقالات فضيلة المرشد العام

عام ١٤٢٤ - ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م

فضيلة الأستاذ

محمد مهدى عاكف

المرشد العام للإخوان المسلمين

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ

رقم الإيداع:

١٧٨٢٩/ ٢٠٠٤ م

الترقيم الدولي:

I. S. B. N

977 - 265 - 556 - X

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر – القاهرة – السيدة زينب ص.ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بور سعيد ت:٣٩٠٠٥٧٢ – فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة : ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

email:info@eldaawa.com

فضيلة المرشد العام للرأى العام العربى والإسلامى والدولى – إحدى الوسائل التى يعبر فيها الإخوان عن مواقفهم ورؤاهم تجاه القضايا المختلفة التى تشغل الرأى العام المحلى أو الإقليمى أو الدولى، وحرص فضيلة المرشد العام على توجيه هذه الرسالة أسبوعيًا ليعالج فيها أهم القضايا التى تشغل الرأى العام ، ويوضح موقف الإخوان المسلمين منها .

وهذا الكتاب يجمع بين دفتيه مجموعة الرسائل التى صدرت خلال العام الأخير من ٥ رمضان ١٤٢٤هـ – الموافق ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣م فى عهد الأستاذ محمد المأمون الهضيبى المرشد العام السادس للإخوان المسلمين حتى ١٣ ذو القعدة ١٤٢٤هـ ٦- يناير ٢٠٠٤م وما تلى ذلك صدر فى عهد الأستاذ محمد مهدى عاكف المرشد من ٣٠ ذو القعدة ١٤٢٥هـ – الموافق ٢٢ يناير ٢٠٠٤م حتى ٢ شعبان ١٤٢٥هـ – الموافق ١٧ سبتمبر ٢٠٠٤م العام الحالى ، وسوف يلاحظ القارئ أن الاهتمامات تكاد تكون واحدة، مما يدل على أن الأمر مرهون بالسياسة العامة للجماعة .

وقد نشرت الرسائل أيضا على موقع **http://www.ikhwanonline.com** وعلى موقع رسالة الإخوان (**http://www.ikhwanpress.com**) ، ونحن نضعها بين أيدى المهتمين والمتابعين والمراقبين ليتبينوا وجهة نظر الإخوان المسلمين، فى مختلف القضايا متمنين عليهم أن يتفاعلوا معها بالحوار والنقاش، وسوف يكون من دواعى سرورنا أن نتلقى تعليقاتهم وملاحظاتهم عليها على العنوان التالى (**alroda42@yahoo.com**) .

والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير ؛

شهر رمضان الأعظم

واحة للمتقين.. وموسم للجهاد فى سبيل الله

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
٥ من رمضان ١٤٢٤هـ
٣١ من أكتوبر ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

«عمل القلوب أهم من عمل الجوارح، وتقوى الله هى الهدف الأسمى، والغاية العظمى من الصيام»

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد؛

تواجه الشعوب الإسلامية اليوم مؤامرات، وأخطارًا تهدد كيانها ووجودها، ومستقبلها، تواجه عدوانًا وظلمًا – لم تعد تخفى على أحد – وتلتقى جميع أطماع المعتدين على هدف واحد، هو القضاء على هذه الأمة ومقدساتها وإسلامها، وتقف الشعوب أمام هذا الطوفان حائرة مضطربة؛ لأنه يحال بينها وبين حريتها وحركتها، وأداء الواجبات التى فرضها الله عليها، ومع أن الخطر يتزايد، والصهيونية تضرب فى كل جزء من فلسطين، وتدمر كل شئ، وما يحدث فى أفغانستان ويدور فى العراق من قتل ونهب وعدوان أمريكى لم يعد يخفى على أحد، رغم هذا وغيره، فما زال حكام العرب والمسلمين يلوذون بالصمت، ولو أنهم قدروا الأمور التقدير الصحيح لوحدوا صفوفهم، وتقاربوا

وتفاهموا، وتعاونوا لأن إسلامهم ومكاناتهم وتاريخهم، وموقعهم على خريطة العالم يفرض عليهم ذلك، والحق تبارك وتعالى فرض عليهم أن يكونوا أمة واحدة.

إن المسئولية اليوم على حكام العرب والمسلمين خطيرة، وما يحدث فى بلاد الإسلام نكسة للبشرية كلها، وحرمان للشعوب من أبسط حقوقها، يجب أن يتدارك قبل فوات الأوان.

ذكرى العاشر:

ويأتى علينا شهر رمضان، شهر الانتصارات على مدار التاريخ، وفيه ذكرى العبور العظيم فى العاشر من رمضان، وهى معركة الجهاد والنصر، وهى صورة مشرفة صادقة للجندى المسلم، الذى هتف «الله أكبر» وحافظ على الصلاة والصيام وقراءة القرآن وقيام الليل، فاستطاع أن يدافع عن كرامة أمته، واستطاع أن يثبت وجوده، لقد أقبل الجنود على الجهاد والعبور صادقين، فوهبهم الله النصر على عدوهم، كانت قلوب الصائمين موصولة برب الأرض والسماء، ضارعة إلى خالقها تهتف باسمه سبحانه، قد أيقنت أن الله يدافع عن الذين آمنوا، فنصروا الله فنصرهم الله.. وهذا النصر الذى حدث فى الماضى القريب يمكن أن يحدث اليوم وغدًا بشرط أن نعود إلى الله، وأن نلتقى تحت راية الإسلام ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

الانتفاضة المباركة:

ويهل علينا شهر رمضان وقد مضى على ثورة الانتفاضة المباركة فى الأرض المقدسة ما يزيد على الثلاث سنوات من عمرها، ولقد تحمل هؤلاء الأبطال العزل تكاليف الجهاد، والسير فى الطريق الملىء بالأشواك، وواجهوا

دبابات اليهود، وصواريخ اليهود وحقدهم بصدورهم العارية، لقد استمدوا قوتهم من عقيدة الأمة ومن وجدانها وتاريخها، ومهما كان الحصار المضروب حولهم والضغوط الواقعة عليهم، فهم الأعلون، وأصحاب الحق، وهم الأبرار الأوفياء، فحافظوا على حق أمتكم فى الحياة والنصر بإذن الله قريب.

ولا نقول لهم إلا ما قاله الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

لقد سارعتم للحفاظ على أمتكم ولم تبخلوا عليها بأعز ما تملكون فسيروا على بركة الله، فأنتم فى مواطن الجهاد، وهو أشرف وأعظم ميدان، والحق سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

من ثمار الصيام التقوى:

لقد جعل الحق سبحانه وتعالى من ثمار الصوم التقوى، وهى قاعدة تقوم فى القلب المؤمن، ولا تتكون من فراغ، وإنما وضع الحق سبحانه من أجل الوصول إليها نظام العبادات، فالصلاة والزكاة والصيام والحج.. وذكر الله وتلاوة القرآن، وصلاة التراويح وغض البصر، وأكل الحلال، كلها روافد تمد القلب المؤمن بالزاد، وهنا تبرز الغاية من الصوم، إنها التقوى، وهذا صريح القرآن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فهنا تستيقظ التقوى فى القلوب، وهى تؤدى فريضة الصيام، طاعة لله، وحبًا فى رضاه، والتقوى هى الحارس الأمين لهذه القلوب من أن تفسد الصوم

بالمعصية، وهى العاصم من كل سوء، والواقى من كل فتنة، وقد بين لنا القرآن الكريم، فضل التقوى ومنزلتها، وصدق الإيمان والعمل الصالح فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فى أية واحدة يجمع القرآن بين هذه الجوانب، من أصول للاعتقاد، وتكاليف المال والنفس، ثم يكون الختام وصف من اتصفوا بهذه الصفات بأنهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

عهد الله ورسوله :

والمؤمنون الصائمون الصادقون عرفوا أنهم على عهد مع ربهم، ورضوا بالأجر والثواب على وفائهم، راضين بالبيع الرابح، الذى يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - عنه: «أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها ثم يعطينا عليها الجنة، نعمت الصفقة الرابحة»، قال هذا حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

لقد مضوا فى الطريق منذ هداهم الله إليه، وعرفوه وأدركوا غايته، مضوا صفًا متواصيًا بالبر والتقوى، متعاونًا على الخير، صفًا صابرًا محتسبًا إيمانًا ورضًا، وسعيًا وعملاً، فما أعظم هذا العمل، والمطلوب أن يزداد وينمو، وفى الحديث: «بلغوا عنى ولو آية» وفى الحديث أيضًا: «رحم الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع» إنه العهد مع الله، العهد المستمر فى جميع الأحوال، العهد الماضى الذى لا يبدله المؤمنون،

بل يعظمونه، ويعظمون الوفاء به، وفى الحديث «يا على لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير من الدنيا وما فيها، أو خير لك من حمر النعم».

مفاتيح الأمة – العقيدة والإيمان:

العاملون للإسلام يؤمنون بأن مفتاح أمة الإسلام هو الإيمان بالله، صانع المعجزات، ومذلل العقبات، هو المحرك لهذه الأمة، حين تمده الروافد التى تغذيه من عبادة ومجاهدة للنفس وعمل وعلم وسائر الطاعات، تدب فى القلوب الحياة، ويهيئ الله - عز وجل - للبصيرة النافذة وعيًا دقيقًا، وإرادة قوية وخلقًا فاضلاً، ويسارع المؤمن بشوق عظيم إلى الجهاد وإلى العمل النافع.

نعم هذه الأمة صنعت وتصنع التاريخ، وتأتى بالأعاجيب حين تدفع إلى الأمام باسم الله، فإذا كنا نريد أن تعود الحقائق الكبرى لهذا الدين فعلينا أن نسلك هذا الطريق. إن أمة الإسلام اليوم على مفترق طرق، فإن أرادت أن تصل الحاضر بالماضى العظيم، وأن تواجه التحديات المحيطة بها، فلابد لها من هذا الطريق، طريق التوحيد، طريق العقيدة والإيمان، إنه كلمة الله أكبر، وصيحة وإسلاماه، ومن قبل ذلك الإعداد والتربية الرشيدة على منهج الإسلام، فهذا هو المخرج الوحيد لأمة الإسلام، ونؤكد أن فلسطين لن يخرج منها اليهود إلا بالإسلام، وأن العراق لن تتحرر من الأمريكان إلا بالعودة لهذه الرسالة، وأن جميع المسلمين على الأرض لن يشعروا بالأمان والأمن والاستقرار إلا فى ظل هذا الدين، وفى رحاب شريعة الإسلام، مصدر العزة والحياة. هذه الأمة حين يقودها الإيمان، وتجتمع تحت راية القرآن، ومنهج التوحيد، تأتى - إن شاء الله - بالعجب العجاب وبالمعجزات وتاريخنا شاهد على صدق ما نقول»

يقول الإمام البنا:

«ولقد قدم رمضان هذا للناس نبيًا وكتابًا، قامت عليهما أعظم نهضة إنسانية عرفها الوجود، وتمت بهما أعظم رسالة رأتها الدنيا، فكان النبى محمدًا ﷺ، وكان الكتاب هو القرآن الكريم، وكانت الرسالة إنشاء جيل وإحياء أمة، وإقامة دولة مهمتها فى الوجود أن تتوحد تحت لواء المبادئ العليا، والمثل السامية، والفضائل الإنسانية الخالدة، وأن تخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، الله الذى له ما فى السماوات والأرض، ومضى النبى ﷺ قدمًا يبلغ رسالته ويتلوها على الناس كافة، ودانت الجزيرة وانتهى سلطان الكسروية، وتقلص ظل القيصرية، ورفرف لواء المبادئ القرآنية الجديدة، على ملك شامخ من حدود الصين إلى الدار البيضاء ومن فرنسا إلى مجاهل أفريقيا ودخل الناس فى دين الله أفواجًا»

فريضة إسلامية:

وفى رمضان - شهر القرآن دستور السماء الخالد، الذى يهدى للتى هى أقوم - تبرز فريضة إسلامية على جميع المسلمين والمسلمات، وعلى الدعاة بوجه خاص أن ينصروها، ولابد من استيعابها، والإيمان بضرورتها والعمل بها، فهذا القرآن كتاب الله تعالى، وهذه سنة رسوله ﷺ يفرضان على كل مسلم ومسلمة أن يقيموا دين الله، وأن يدخلوا فى السلم كافة، وأن يتحاكموا إلى شريعة ربهم، لكن المسلمين للأسف أدركتهم غفلة عن رسالتهم فاستعلى عليهم أعداؤهم فى كل مكان، وقادوهم إلى طريق الضياع، وفرضوا عليهم أهواءهم وضلالاتهم، وأسقطوا الإسلام فى نفوس المسلمين وفى واقع حياتهم، وهذا الدين العظيم لم يسقط فى سباق مع المناهج الأرضية، وإنما تآمر عليه الأعداء، وفرط فيه الأبناء، ولذلك كان فرضًا محتمًا، وضرورة إيمانية على

كل مسلم ومسلمة – إذا أراد النجاة – أن يجاهد نفسه وأهله والناس أجمعين، من أجل إعادة هذا الدين، لتكون كلمة الله هى العليا فى حياة الأمة، فلابد أن يعمل المسلمون لهذا الدين ليعيشوا فى ظل شريعة الله، وليستنقذوا أنفسهم من كبائر الإثم وذل التقصير، وهى كبائر إن لم يتداركوا الخروج منها تقودهم إلى سخط الله، وغضبه وعذابه، ومن هنا كان تجمّع المؤمنين والمؤمنات فى صف واحد لإقامة هذا الدين فريضة إسلامية، وليس مجرد اجتهاد فقهى، أو أخذًا بفضائل الأعمال، يقول الحق سبحانه: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤] ويقول سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

فى رمضان يجب أن تصوم القلوب عن الآثام، والنفوس عن المعاصى، والأيدى عن الأذى، يقول الحسن البصرى ﷺ: «إن الله جعل رمضان مضمارًا لخلقه، يتسابقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر المبطلون».

اللهم وفقنا جميعًا لنخرج من شهرنا بثواب الصابرين، وأجر الطائعين العابدين «وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

* * *

شهر رمضان

تجديد للروح وزاد المؤمنين

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
١٢ من رمضان ١٤٢٤هـ
٧ من نوفمبر ٢٠٠٣م

أقبل شهر القرآن والمسلمون فى شوق إليه، ليمسح عن قلوبهم همومها وأحزانها، ويروحها فى ساعاته الندية، وأوقاته المباركة، فى شوق إليه ليغسل عنهم عناء عام كامل مضى، لنسْمو بالروح، ونتطهر من ثقلة اللحم والدم، ولنضبط أوقاتنا من جديد على أوقات الصلاة، فالإمساك مرتبط بالفجر، والإفطار مرتبط بالمغرب، حياة تبدأ بالصلاة وتنتهى بالصلاة.

المسلمون فى شوق إليك لتؤكد لهم أن النصر قرين الجهاد، ولا جهاد إلا بصبر، ولا صبر إلا بثبات وتضحية، وعلى الرغم من أن المسلمين الأوائل كانوا يبذلون غاية جهدهم فى العبادات خلال شهر رمضان، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يجاهدوا فى سبيل الله، ويخوضوا أخطر المعارك الفاصلة، ويكون النصر حليفهم، على مدار التاريخ، فكم نحن فى شوق إليك!!

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة.. وغلقت أبواب جهنم، وصفدت الشياطين، ونادى مناد من قبل الحق سبحانه يا باغى الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر، ولله عتقاء من**

النار وذلك فى كل ليلة» متفق عليه

أعداء هذا الدين يصرون على ربط الإنسان بالأرض، وقطعه عن السماء، ويعملون على تعليق قلبه بمآرب الدنيا، وإبعاده عن طلب الآخرة، ويأبى الإسلام إلا أن يسوق البشرية إلى الله، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وأركان الإسلام عمل حقيقى فى إيجاد اليقظة فى النفوس والصحوة فى المجتمعات، والعبادات التى تكوّن هذه الأركان، تدريب جليل الأثر فى تربية الأخلاق، وتقويم الطباع، وتهذيب النفوس.

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] خبر حق، فإذا رأيت مصليًا لا يعلو فوق تفاهات هذه الدنيا، ولا ينتهى عن منكراتها، فصلاته مجرد تمثيل وحركات، لا حقيقة فيها.

وقول رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» [رواه البخارى]، وهذا خبر حق أيضًا، ومعناه أن الصيام الحقيقى، يمسح آثار الماضى السيئ، ويمسح أكداره عن مرآة القلوب، فتعود مجلوة نقية، ثم يستأنف الصائم حياة تكاد ترفعه وتلحقه بالملأ الأعلى.

إن الأساس الأول لهذه العبادات هو أداء حق الله، والقيام بوظيفة العبودية، واعتراف البشر بأن الله الذى خلقهم ورزقهم يجب أن يعبدوه، ويشكروه. إن جعل القلب يتعلق بربه يجعل المسلم إذا ملك الدنيا يسخرها لخدمة دينه، ويجمع المال والبنين ليكونا درعًا للحق، وعونًا للرسالة التى يؤمن بها، ويتحول إلى ذاكر لله بالغدو والآصال، ويضع نفسه ومواهبه وكل ما يملك مع رهبان الليل، فرسان النهار، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ

﴿وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

وها هى الأيام تمضى ويقبل علينا شهر رمضان بخيراته وبركاته، وها هو النور يشرق من جديد وينساب إلى القلوب، وهاهى مشاعر الخير والبر والرحمة تتجدد، وها هى الآمال فى غد مشرق، ومستقبل كريم، وفى ثقة فى نصر الله لنا على أنفسنا أولاً، ثم على أعداء الإنسانية ثانيًا.

إن شهر رمضان يذكرنا برسالتنا الخالدة، والواقع يؤكد حاجة البشرية إليها، إن حاجة العالم إلى هذا الدين أهم من حاجته إلى الماء والدواء والهواء، لقد شغلتنا الدنيا الفانية، عن الآخرة الباقية وأحاطت بنا زخارفها ومباهجها، والرجل المؤمن فى سورة غافر ينادى بأعلى صوته: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٨- ٣٩].

إن من رحمات الله – عز وجل – أن جعل لنا فى هذا الشهر العظيم محطة نقف فيها طوال ثلاثين يومًا، نقف مع أنفسنا، نحاسبها على تقصيرها، ونفتش عن منابع الإيمان فى قلوبنا، فنجلوا الصدأ عنها.

ورمضان مصحة للعلاج الروحى، ففى الحديث: «ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له » فمن لم يُحَصِّل المغفرة فى رمضان فمتى يحصل عليها؟!

إن الإسلام يريد منا أن نعيش فى هذا الشهر، فى جو خاص، نحصن فيه بيوتنا وأنفسنا، ونحسن الصلة فيه بخالقنا سبحانه وتعالى، روى ابن خزيمة والبيهقى أن رسول الله ﷺ قال «.... واستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بها ربكم، وخصلتين لا غنى بكم

عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه» وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا».

الانتفاضة المباركة

ويأتى شهر رمضان المعظم، شهر العزة والفتوحات والنصر للأمة الإسلامية على مدار التاريخ وشعب العراق المسلم المظلوم يقتل ويشرد، والاحتلال الأمريكى والعدوان الأمريكى لا يكف عن القتل والتدمير، وكذلك شعب فلسطين المسلم الأعزل إلا من عقيدته وإيمانه بحقه يدافع عن وجوده، ويقدم فلذات أكباده شهداء أبرارا، بعد أن يلقنوا أعداء الإنسانية ما يستحقون، وإن الكثيرين من أمة الإسلام يصمتون، وسكوتهم غريب، فمتى يتحركون ويدفعون العدوان الواقع على المسلمين فى كل مكان؟

وإنى أهنئ بحلول هذا الشهر المبارك رجال الانتفاضة - شيوخًا وشبانًا ونساء - وأبارك لهم دفاعهم عن أرضهم وعرضهم ودينهم، إن وقفتهم أمام الجبابرة والمفسدين وطغاة الأرض من الصهاينة ومن وراءهم وهم عزل من كل سلاح مادى، لهو درس عظيم فى الشجاعة وفى قوة العقيدة، وفى الوفاء لهذا الدين، يعلو كل الدروس.

وأقول للذين ظلموا ووضعوا خلف القضبان - عدوانا وبغيا وافتراء - وكل ذنبهم أنهم قالوا: ربنا الله، ويريدون إحياء هذه الأمة وردها إلى سيرتها الأولى، أقول لهم: اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله، فالفرج قريب وإن مع العسر يسرا.

الأبواب مفتحة... فهل من مشمّر للجنة؟

جاء فى الحديث الذى رواه ابن ماجه عن أسامة بن زيد ﷺ يقول رسولنا ﷺ: «ألا من مشمّر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة جميلة، وحلل كثيرة، ومقام فى أبد فى دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة فى حلة عالية بهية، قالوا: نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال: قولوا: إن شاء الله، قال القوم: إن شاء الله» [الترغيب والترهيب]

ها هو شهر رمضان يدعونا لذلك، فهيا بنا نشمر ونجتهد ونهجر فراشنا ونوقظ أهلنا، ونرفع راية الجهاد ضد أنفسنا، وضد رغباتنا، ونعد أنفسنا لجهاد طويل مع أعداء البشرية ونعمل على أن:

١. نحافظ على أداء الصلوات فى المسجد، ونتذكر أن من صلى أربعين يوما فى المسجد لا تفوته تكبيرة الإحرام، كتبت له براءة من النار، ورمضان فرصة لتحقيق هذا الهدف العظيم.

٢. نحرص على إحياء السنن التى كثيرًا ما ننشغل عنها، مثل: الجلوس فى المسجد، ذكر الله، تلاوة القرآن، والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، التبكير لصلاة الجمعة.

٣. ختم القرآن أكثر من مرة، مرة فى البيت مع الأولاد والزوجة، ومرة فى المسجد، ومراجعة المحفوظ - إن كنا قد نسيناه - ولنذكر جميعًا أن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ ورتل وارق، كما كنت تفعل فى الدنيا، فمنزلتك عند آخر آية تقرؤها، ولنعلم أن من ليس فى جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب.

٤. المحافظة على صلاة التراويح، والتبكير إليها فى المسجد، والحرص على

الصف الأول، ولا ننصرف حتى ينصرف الإمام، ولنصحب معنا الزوجة والأولاد، كلما تيسر ذلك.

٥. الإقلال من الطعام والشراب والنوم والكلام، والسيطرة على اللسان، ولا نصوم عن الحلال، ونفطر على الحرام، من غيبة ونميمة وأذى للناس، وجو رمضان من أنسب الأجواء التى تعيننا على هذا، حيث الصيام بالنهار والقيام بالليل، والقرآن غض طرى على ألسنتنا، ويملأ جوانب النفس، والشياطين مصفدة وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النار مغلقة.

٦. التنافس مع الأهل والأولاد فى العبادات، ورصد الجوائز لذلك، ولا نرهق الزوجة بالإكثار من إعداد الطعام والولائم، فرمضان شهر التسابق فى ميدان آخر، وليس شهر التلذذ بطيب الطعام والشراب.

٧. لنذكر الفقراء والمساكين، والأيتام والأرامل، فى هذا الشهر - تذكرة عملية - فنسارع إلى إطعامهم ونشاركهم فيه، ونشعرهم بأخوتنا لهم، وهناك من إخواننا المكروبين والمعذبين فى كل مكان، من البلدان الإسلامية من يقاسون الحرمان والظلم والاضطهاد، لابد من العناية بهم.

٨. الحرص على بر الوالدين، وإجابة طلباتهما، والعمل على راحتهما، والإكثار من الدعاء لمن توفى منهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] ولا ننسى الأرحام، ونتفقد الأقارب، ونسأل عن الغائب، ونعود المريض.

٩. ليكن شهر رمضان فرصة للعفو والصفح، والصلح، حتى مع الذين

أساءوا إلينا، يقول ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، لكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها»: وفى الحديث يقول أحد الصحابة: إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأتحبب إليهم ويتبغضون إلىّ، فقال رسول الله ﷺ «لئن كنت كما تقول فإنك تسفهم الملّ» أى: تلزمهم الحجة، ولنحرص على سلامة صدورنا تجاه الآخرين، ولنكن نحن البادئين بالسلام والتحية.

١٠. التعود على الإنفاق - وإن كان قليلا - ولنتذكر رسول الله ﷺ فقد كان «أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان»

١١. محاسبة النفس على ما مضى من أعمال، وخاصة التقصير فى العبادات، والتقصير فى الجوانب الإيمانية، ونسأل أنفسنا: هل كنا مداومين على التوبة؟ وهل نحن نخشى الله حق خشيته؟ وهل نحن نتوكل عليه حق التوكل؟ وهل نتحاكم إليه حين نتخاصم؟ كما نحاسب أنفسنا على الجانب الأخلاقى والسلوكى، هل نحن نؤدى الأمانة؟ وهل نفى بالوعد؟ وهل نقبل العذر؟ وهل نحرص على الصدق؟ وهل نسارع إلى خدمة المحتاجين؟ وهل نخف لنجدة الملهوف ونصرة المظلوم؟ وهل نؤدى حقوق الآخرين؟... فإن وجد المسلم أنه انحرف عن الطريق، صحح المسار ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم»

١٢. يجب الإكثار من الدعاء والتضرع، والوقوف بباب الله، وقرع الأبواب «فدعاء السحر سهام القدر» وعسى الحق تبارك وتعالى أن يفك أسرى المسلمين وأن يردّ غائبهم، وأن يفرج كروبهم، ولنكن فى دعائنا دعاء المضطر، المشرف على الغرق، الذى لا ينجيه إلا تعلقه بالحبل المتين

والركن الشديد، الفعال لما يريد، القائـل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَـإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] يقول سيدنا عمر: «إنـى لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء»

١٣. الاعتكـاف، فـإن لم يـتمكن فاستصـحاب نيـة الاعتكـاف فـى العشـر الأواخر، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

***

في وداع رمضان نذكر

الفتح الأعظم.. وليلة القدر.. وعيد الإسلام

لقد أوشك شهر رمضان المعظم أن يرحل عنا مودعًا، إن لسان الحال يقول لنا.. - شعوبا وحكومات -: لا تنسوا الصفقة الرابحة مع الله، ولا تقصروا مع الذين يقفون فى المواجهة مع أعداء الله، يجب أن تكون لكم وقفة صادقة مع الذين يواجهون الأعداء، وأن ترفعوا راية بدر، والفتح وعين جالوت وحطين، حيث انتصر أسلافكم فى شهر رمضان وهم أذلة، يوم قالوا بصدق لقائدهم ﷺ: «لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقى منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك»

إخوانكم وأبناؤكم فى فلسطين والعراق، وأفغانستان، استطاعوا أن يلقنوا الذين اعتدوا عليهم دروسًا عظيمة فى الفداء والتضحية، وأن يكبدوهم خسائر جسيمة فى الأرواح، وأن يجعلوا وجودهم فى أرض المسلمين لا يطاق، قفوا بجوارهم، مدوا أيديكم إليهم ساعدوهم، أكثروا من الدعاء لهم، والعمل الجاد من أجلهم، فالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
٢٦ من رمضان ١٤٢٤هـ
٢١ من نوفمبر ٢٠٠٣م

وحين يتطلع المسلمون إلى مسيرة التاريخ الإسلامى، يجدون شهر رمضان المعظم اقترن بألوان من الفتوحات والبطولات، والمفاخر والانتصارات، فيه نزل القرآن على سيد الدعاة ﷺ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠] نزل الدستور الخالد، والنور المبين، والصراط المستقيم، لا تنقضى عجائبه، من قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، وفيه كانت غزوة بدر الكبرى، التى كانت فيصلاً بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين النور والظلام، وفيه معركة عين جالوت التى انتصر فيها المسلمون على التتار، وفيه فتح الأندلس، الفردوس المفقود، وفيه معركة العبور - معركة العاشر من رمضان - واقتحام خط بارليف.

غزوة الفتح الأعظم:

لقد قدرت الروايات عدد الجيش الزاحف إلى مكة بقيادة رسول الله ﷺ لتحريرها من الأوثان والأصنام، وردها حرمًا آمنًا، كما خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض، طاهرة مطهرة، لا يعبد فيها إلا الله تعالى، قدر الجيش بعشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، وكانت الغزوة على غير أوضاع الغزوات التى سبقتها فى القوة المادية والتأهب، فكان مظهر السلم والمسالمة والوفاء بالنسبة لتأديب العدو، هو إظهار القوة وإثارة الرعب فى قلوب بقايا طواغيت مكة، ليتركوا غرورهم واستكبارهم فى الأرض بغير الحق، ولذلك دعا رسول الله ﷺ فقال: «**اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها فى بلادها**».

ومضى المسلمون يستعدون فى كتمان للقاء المنتظر، وهم يدرون أن الساعة الفاصلة مع أهل مكة قد دنت، وحرص رسول الله على الكتمان وإخفاء خطة الغزو، مما يقرب النجاح، ويخفف الخسائر، ويصون الدماء فى

الحرم، ولعله يدفع قريشًا إلى التسليم، دون أن تسفك الدماء عبثًا، ولذلك أخفى رسول الله خبر التوجه إلى مكة عن الجميع، فحين دخل أبو بكر ﷺ على عائشة، وهى تجهز رسول الله فقال: يا بنية ما هذا الجهاز، فقالت: والله ما أدرى، فقال أبو بكر: والله ما هذا زمان غزو بنى الأصفر، فقالت عائشة: والله لا علم لى».

وتحرك الجيش مسرعًا إلى مكة، حتى بلغ «مرّ الظهران» وهنا أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يوقدوا النيران، فى معسكر يضم عشرة آلاف حتى أضاء الوادى، وأهل مكة لا يدرون من أمرهم شيئا، ولم يبق إلا اجتياح مكة فى قتال يفنى الكثير، وهذا ما عمل الرسول ﷺ خطته أن يتفاداه، فلما وقع أبو سفيان ومن معه فى أيدى المسلمين سارعوا إلى رسول الله ﷺ فحادثهم طوال الليل، فانشرحت صدورهم للإسلام - وإن كان أبو سفيان قد تأخر حتى طلع الصبح - ثم سألوا رسول الله الأمان لقريش، فقال: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» وانطلق الجيش ليدخل مكة من جوانبها المختلفة، وترك أبو سفيان بعدما رأى قوة المسلمين ليقول لقريش هذا محمد، جاءكم بما لا قبل لكم به، واستسلمت أم القرى للقدر الذى أحاط بها، ورسول الله على ناقته ورأسه خفيض من شدة الخشوع لله، ويقول «اليوم يوم تعظم فيه الكعبة، اليوم يوم أعز الله فيه قريشًا».

لقد سكنت مكة، وعلت كلمة الله، ثم نهض رسول الله فطاف بالبيت، ثم كسر الأصنام، وهو يقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا»، ثم فتحت الكعبة وطهرت من الأصنام، ثم أقبل على قريش فقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: فإنى أقول لكم ما قال يوسف لأخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وصعد بلال فوق الكعبة، ليذكر الناس بالغاية الأولى من حياتهم فأذن، وأصغى الجميع إليه، ثم شرع ﷺ يبايع الناس على الإسلام فتمت البيعة على السمع والطاعة فيما استطاعوا.

حصاد شهر رمضان:

اليقظة الدينية:

ومن آثار شهر رمضان المعظم أن يتعود المؤمن مراقبة ربه فى السر والعلن، والخوف من الله، فترى الصائم أمينًا على نفسه، مراقبًا لها، فتحيّا القلوب وتتربى النفوس، وتشتد العزائم، وتنبعث الهمم، ويجدد الإيمان، ويتخرج فى مدرسة القرآن.

وإذا استيقظ المسلمون اليوم وعرفوا حقيقة رسالتهم ودورهم فى الحياة اشتد شوقهم وعظمت رغبتهم ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] وتعلقت هممهم بمعالى الأمور، واقتدوا بالمثل الكامل رسول ﷺ.

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة» متفق عليه

مصاحبة القرآن:

ومن علامات اليقظة الدينية، مصاحبة القرآن العظيم، ومعايشته وتدارسنا لآياته، ويأخذ القرآن من أنفسنا الحظ الأوفى، والدقائق الغالية، والساعات الثمينة، فهى المعجزة الكبرى الخالدة، ولا تكون صحبة القرآن تلاوة باللسان فقط، حاشا لله، بل يجب أن ينعكس على سلوكنا وجوارحنا فى ليلنا ونهارنا، وفى سفرنا وإقامتنا، وفى سرنا وعلانيتنا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ومن علاماته أيضًا:

الاجتهاد فى قيام الليل:

ولقد كان سيد الخلق ﷺ قوامًا لله، فى التهجد والذكر والدعاء، ففى الحديث «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

وقيام الليل لما تخلت عنه الأمة – إلا من رحم الله – ذبل الإيمان، وضعف اليقين، ونشأت أجيال فيها تهاون وتفريط، وحب للدنيا، وإخلاد إلى الأرض، وصدق الله العظيم ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

هذه بعض الجوانب من حياة الذين أيقظهم رمضان وصاموه بحق وردهم إلى صالح الأعمال، والذى عاشوا دقائق رمضان فهم السعداء الأبرار.

ليلة القدر:

وهذه ليلة القدر، والرسول – صلاة الله وسلامه عليه – يقول: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه

هل يستطيع المسلم متابعة الصلاة وقراءة القرآن والتسبيح لمدة سنة كاملة دون توقف؟ فى هذا مشقة، لكن رحمة الله لو واظب المسلم على التماس ليلة القدر، فى الوتر فى العشر الأواخر، وقام بإحياء هذه الليالى سيكتب له من الأجر عبادة ٨٣ سنة، وثلاثة أشهر، فاحرص واستيقظ وشد المئزر وأيقظ أهلك – كما كان سيد الخلق يفعل فى العشر الأواخر من رمضان – حتى لا تضيع منك هذه الليلة المباركة. يقول صلوات الله وسلامه عليه: «إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم» رواه ابن ماجه.

وصدق الله العظيم ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

وإن ليلة يتفضل فيها رب العزة – جل جلاله – فينزل كتابًا ذا قدر، يحمله سفرة أصحاب قدر، على نبى ذى قدر، لأمة ذات قدر. لاشك أنها ليلة من

ليالى التجلى الأعظم، إذا ما توجه فيها المؤمن إلى ربه، مستحضرًا مالها من قيمة ومنزلة، وهنا ينال أعظم درجات القرب، بما يملأ قلب المؤمن بأن القرآن نور الهداية الإلهية، التى حملت أشعتها ملائكة الرحمة والبركة والسلام ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

وجاء العيد:

يقول الحق سبحانه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] إنه فرحة أداء الواجب، وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، فرحة المسلمين والمسلمات بالصيام والقيام والقرآن والذكر والتسبيح والاعتكاف وليلة القدر.

هنيئًا للأبرار الذين قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] هنيئًا للمؤمنين الذين شغلوا بهواتف دينهم، وواجبات إيمانهم، وهم على يقين بأن عليهم من مهام الحق ما يملأ أفكارهم، ويملك عليهم جوانب أنفسهم وحياتهم، إنهم يدورون فى فلك دينهم، ويربطون حياتهم ووجودهم ومستقبلهم ودنياهم وآخرتهم به، وفى سبيل ذلك نجدهم علقوا كل هممهم بالحق، وملكاتهم به، وعدلوا من مسارهم، وأعلو من غاياتهم وأهدافهم، وجعلوا كل أشواقهم وتطلعاتهم فى خدمة المبادئ العليا والقيم الرفيعة، بكل ما تمليه على أصحابها من فرائض القصد والعدل والتوسط، وبكل ما تفرضه على النفس من مظاهر الالتزام، وصور الانضباط، بكل ما توجبه على الذات من مقامات الصعود والتعفف والتسامى على الدنيا بمتاعها وزخرفها وزينتها، فلا تكالب عليها، ولا استعلاء بها، ولا عبودية لها، ولا إغراء لبريقها ولا ركوع لسلطانها.

وجاء العيد:

بعد أن تعلَّم المسلمون من رمضان الضبط والاستقامة والنظام، من خلال

أداء طاعاته وفرائضه وسننه، يجب أن يتعلم المسلم كما يجب أن تتعلم الأمة كلها، كيف يكون النظام والالتزام؟ وكيف تحترم المواعيد والعهود؟ وكيف تجتمع الأمة كلها على دين الله، وتتوحد على طاعته، فى أقوالها وأفعالها وسمتها الخاص والعام، لا يثنى عزمها عنها، ولا ينال من همتها نحوها، غبش الليل، ولا حر الصيف، ولا قرّ الشتاء، ولا تكاثر الأعداء، ولا كثرة السهام.

وجاء العيد:

بعد أن لبىّ المسلمون والمسلمات دعوة ربهم، وعملوا من أجلها، وقاسوا فى سبيلها، وصبروا واحتسبوا، بلا حول منهم ولا قوة، ولكن لوقوفهم إلى جانب الله، ونصرة دينه، ورفع لوائه، ومحاولتهم أن يبتعدوا عن المغريات - وهى كثيرة - والصراع بين الحق والباطل وبين الأثرة والإيثار، وبين الظلم والعدل، وبين الانحراف والاعتدال، وبين الحرية والاستبداد، وبين كل خير وشر، لا حدّ لهذا الصراع، وكل ذلك من بدء الخليقة، ولم ينتصر إلا الطائعون الذين استجابوا لله وللرسول.

إن العيد يكون عيدًا حقيقيًا بمعناه العظيم، يوم تسرى فى دنيا الأمة العربية والإسلامية - خاصة الحكام - روح الإيمان بالله، الإيمان اليقظ، الذى يدعوا إلى العمل والجهاد والتضحية، واليقظة، ويدعو إلى الحركة الدائبة لاستئناف الطريق، فالأمة كلها مستهدفة، والأعداء يحيطون بها، ومصيرها متوقف على عود الجميع إلى الله.

العيد يكون عيدًا يوم يوجد الإحساس بأن الظمأ الذى تعانى منه الأمة العربية والإسلامية، لا يرويه إلا منهل الإسلام العذب، ترتشف منه قلوبًا ووجدانًا ومشاعر، وتقبل على شرع الله، وتؤمن بأن الإسلام هو الحل الوحيد.

العيد يكون عيدًا حين يوجد الإيمان عند القادة وحكام المسلمين، بضرورة تربية الفرد، وتكوين الأمة، وإعداد الأجيال على الأساس الصحيح من خلال

المنهج الربانى الأصيل، ويكون عيدًا حقيقيًا بكف دعاة العلمانية والتهريج والمرتزقة، والإلحاد، وبقايا الشيوعية، عن السخرية بالإسلام وشعائره، وإيقافهم عند حدودهم، وإن كنا نوقن بأن البحر لا يضره أبدًا أن يلقى فيه غلام بحجر، وأن الشمس لن تقف عن مسيرتها لو رماها طفل بحصاة.

إن كل من يتأمل حالة الأمة العربية والإسلامية اليوم يجب عليه أن يحذر من الخطر الداهم المحيط بها، ويصيح بأعلى صوته، وينادى فى الجميع، لعله يجد آذانًا مصغية، وقلوبًا واعية، لعل يقظة تدفع إلى العمل والجهاد، قبل فوات الأوان، فالمطلوب مراجعة شاملة لموقفنا، فنحيا كما أراد لنا الله، أمة مؤمنة قوية، عزيزة الجانب، مرفوعة الرأس، تحمل رسالة الإنقاذ، يقول عمر بن الخطاب ﷺ «إن الله أعزنا بالإسلام، فإذا طلبنا العزة فى غيره أذلنا الله».

نـــداء:

أيها المسلمون: كل عام وأنتم بخير، تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام والقرآن وجعله فى ميزانكم، يجب علينا جميعًا أن نجدد عهدنا مع الله، وأن نطهر قلوبنا وأرواحنا، وأن نخرج من هذا الشهر الكريم وقد ازددنا اقتناعًا ويقينًا بضرورة الإنطلاق إلى الهدف الكريم، والغاية النبيلة، - إخراج الناس جميعا من الظلمات إلى النور - وأن نعوِّد أنفسنا على الالتزام بالحق، والشعور بالواجب والمسئولية، ورعاية الأمانة وتقديرها، ونعاهد المولى سبحانه على العمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ وتقديم النصح بكل تواضع وأخوة لكل مسلم، ونتعود على تقديم النصح بالأسلوب الإسلامى الكريم، وبالأدب الإسلامى العالى، الذى تعلمناه من الإسلام.

هنيئًا لكم الصيام والقيام والقرآن، اللهم اجعلنا من عتقاء رمضان، الذين تقبل منهم أعمالهم، وتقبلنا جميعًا فى عبادك الصالحين، اللهم آمين.

رمضان معسكر ربانى

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
٥ من شوال ١٤٢٤هـ
٢٩ من نوفمبر ٢٠٠٣م

لقد فرض الله علينا الصيام، شهرا كاملا كل عام، دورة تدريبية إيمانية ومخيمًا ربانيًا عالميًا، تتجلى فيه أروع مظاهر الأخوة الإسلامية، حيث اجتمع كل المسلمين فى بقاع الأرض، رجالاً ونساءً، فتية وفتيات، فقراء وأغنياء، حكامًا ومحكومين، يجتمعون على طاعة الله، فصاموا نهاره، وصلوا لله، وقاموا ليله، وتضرعوا إلى الله، وأقبلوا على القرآن الكريم يتلون آياته، ويتدبرون معانيها، ويتفهمون مقاصدها، وفى هذا المخيم الربانى تعلم المسلمون الكثير من أخلاقيات الإسلام، التى تعين المسلمين على النهوض والعتق من قيود المادة وأغلال الشهوات، كما تقوى علاقتهم بربهم، وتعودهم على أداء الأمانات ومراقبة الله، وخشيته، وصدق الله العظيم الذى جعل فريضة الصوم مدرسة للتقوى، فقال فى القرآن العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وجعلها سرًا من الأسرار بينه تعالى وبين عبده فقال فى الحديث القدسى: وأما الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» فهنيئًا لمن صام وقام، وبشرى لمن أتم الفريضة بكمال، وطوبى لمن استجاب لنداء ربه: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولقد لاحظ الجميع ازدياد إقبال المسلمين والمسلمات على طاعة ربهم فى رمضان الذى انقضى منذ أيام، فامتلأت المساجد عن آخرها فى صلاة الجماعة وصلاة القيام فى التراويح، كما كان الناس لا يجدون موضعًا فى صلاة التهجد فى جوف الليل الأخير.

وأقبل المسلمون على التكافل الاجتماعى فيما بينهم، فتأسوا برسولهم ﷺ وأخرجوا زكوات أموالهم وصدقات فطرهم وتقربوا إلى الله بالإحسان إلى الفقراء وإطعام الصائمين وسد حاجات المعوزين، فقدموا تجربة ثرية فى التضامن والتساند أمام غول الأزمة الاقتصادية الذى التهم أرزاق الناس، ولم تمنعهم هذه الأزمات عن المبادرة إلى الإنفاق، وهذا دليل على أن هذه الأمة تستطيع النهوض من عثراتها الاقتصادية، وأن نداء الله للمؤمنين بالإنفاق ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥٤] أقوى من القوانين الوضعية والجباية الحكومية، وأن سر خروج هذه الأمة من حال الفقر وتفاوت الدخول والفجوات بين الفقراء والأغنياء إنما يكمن فى تطبيق شريعة الله وفى مقدمتها إخراج الزكاة المفروضة وأن كل المحاولات الرامية إلى منع المسلمين من التكافل، وكل المؤامرات العالمية التى تريد سد أبواب الخير ستؤول إلى الفشل الذريع طالما تمسك المسلمون بدينهم وطبقوا شريعتهم، هذا على المستوى الفردى، فما بالنا إذا تم تنظيم ذلك بصورة جماعية، وما بالنا إذا طبقت الحكومات فى البلاد الإسلامية شرع الله عز وجل.

إن الإسلام الحنيف دين حركة وحياة وعمل وقدرة وعطاء.

إن العالم الإسلامى يمتد اليوم على رقعة بين المحيط الأطلسى والمحيط الهادى، أكبر رقعة متصلة فى تاريخ البشرية وتجمعاتها، يزيد على المليار وربع المليار ولهم جاليات ممتدة فى أوروبا والأمريكتين والصين والهند تزيد على

المائتى مليون مسلم، يملكون أخصب البقاع فى العالم، ويسيطرون على ممراته المائية الكبرى، وفى أرضهم موارده الأساسية، وفى عقولهم وقلوبهم أعظم الطاقات الموجهة - طاقة الإيمان بالله - وبيدهم المشعل الهادى إلى سواء السبيل، - القرآن العظيم - وأمرهم الله بإعمال عقولهم، وتزكية نفوسهم وأرواحهم. إن العرب والمسلمين لا يشكون قلة فى العدد، ولا نقصا فى الموارد، ولا فقرا فى المواهب.

وها هو تاريخهم المجيد يستنهضهم، فقد أرسى رسول الله ﷺ ومن بعده صحابته - رضوان الله عليهم - ثم التابعين وتابعيهم بإحسان معالم الدين الحق، وقواعد الإسلام الحنيف، وأصول الشريعة الغراء، وساد المسلمون الدنيا أكثر من ألف عام، وعلَّموا البشرية كلها كيف تكون الحضارة الحقة التى تمزج بين الروح و المادة، وبين العقل والسلوك.

والمسلمون اليوم يعانون من التفرق والتمزق، والتشتت والتشرذم، وسبب ذلك واضح إنه يتمثل فى عدم الالتزام الكامل والصحيح بتعاليم الإسلام، ونقص تطبيق أحكام شريعة الله فى كثير من بلادهم، وعلاجه بأيديهم، إذا رجعوا إلى ربهم وتمسكوا تمسكًا كاملاً وصحيحًا بشريعته سبحانه.

لقد جاء رمضان بصيامه وقيامه ليوقظ الشعور فى نفوس المسلمين بالأخوة الإسلامية، ولينبه الإحساس إلى الجسد الواحد الذى يجمع المسلمين فى العالم، وصدق رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». رواه البخارى ومسلم.

إن نظرة إلى شهر الصيام العظيم، تلكم المدرسة الربانية، تظهر لنا كيف يجب أن يعيش المسلمون فى جامعته الكبرى، يفقهون غاياته، ويتدربون فى مخيمه، ويتتلمذون فى اعتكافه.

كان شهر الشعور والإحساس، والبر والجود والعطاء والكرم، شهر العمل النافع والنصر والتضحية والجهاد.

كان شهرًا للصيام عن كل ما يغضب الله من قول أو فعل أو سلوك، كان صيامًا عن اللغو واللهو والعبث، اختفت فيه الغيبة والنميمة وقول الزور.

كان شهر الإقبال على الله، والوقوف ببابه، والتضرع إليه، وحرى بنا وقد عشنا ليالى وأيام رمضان مع الله تعالى أن نخرج من هذا الشهر وقد اكتسبنا التقوى وقوة الإرادة والعزيمة، والعطف والحلم والصبر وضبط النفس، وشدة المراقبة.

حرى بنا أن نخرج من هذه المدرسة وقد انتصرنا على أنفسنا، وحينذاك سنكون أقدر على الانتصار على غيرها، فمعنا زادنا وعدتنا.

إن رمضان شهر التزود لبقية العام

إن أخلاقيات رمضان وروح رمضان يجب أن تستمر طوال العام حتى تؤتى ثمارها ويطيب قطافها، تقوى فى القلوب وخشية فى النفوس. فقد جاء فى الحديث «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

انتهى رمضان، فمن كان يعبد الله فيه، فإن رب رمضان حى وباق، فكن أيها المسلم عبدًا ربانيًا ولا تكن عبدًا رمضانيًا.

وإن من علامات قبول العمل الصالح أن يرزق الله المؤمنين بأعمال صالحات بعد رمضان، لقد امتلكنا فى هذا الشهر العظيم المبارك إرادة التغيير، وحققنا فيه بفضل الله تعالى توازنًا كاملاً فى حياتنا إلى الأفضل، فى الطعام والشراب، فى النوم واليقظة، فى العلاقات الاجتماعية والزوجية، فى الصلة

بالقرآن والمسجد واستطعنا فى هذا الشهر أن نحقق فى أنفسنا إمكانية التغيير فى كل شئ، وقد انطبق علينا قول الحق الذى قرن إرادة التغيير باستعداد الإنسان نفسه للتغيير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فأعملنا قانون التغيير فى أنفسنا خلال رمضان، وعلينا أن نأخذ دفعة إيمانية ليستمر التغيير فى حياتنا إلى الأفضل باستمرار ونستثمر كل لحظات حياتنا لنملأ أوراق كتابنا، لنراها يوم القيامة تتلألأ أنوارًا.

لقد أحيا رمضان فى نفوسنا فريضة الجهاد فى سبيل الله، وتدارسنا التطبيق العملى لتلكم الفريضة الماضية إلى يوم القيامة، فتذكرنا بدرًا والفتح وعين جالوت وملاذكرد، والعاشر من رمضان.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى إحياء الجهاد فى نفوسنا وفى واقعنا، ذلك لأن أحوال الأمة الإسلامية ووقوع ثلاثة بلدان إسلامية من جديد رهن الاحتلال العسكرى: فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وبزوغ المقاومة وصمودها فى هذه البلدان، وقدرتها على إلحاق الأذى وبشائر الهزيمة بالمحتلين الغزاة يتطلب منا فقه الجهاد فى سبيل الله وتوحيد الجهود لتحرير تلك البلاد وعدم الوقوع فى أسر الذين يريدون تمزيق الصفوف الإسلامية وتشويه صورة الإسلام وصرف المسلمين عن الجهاد الحق إلى عنف عشوائى مدمر لا يعلم إلا الله تعالى من وراءه وأى أيدى خبيثة تحركه، خاصة فى بلاد الحرمين الشريفين وفى مكة المكرمة التى جعل الله الكعبة المشرفة فيها مثابة للناس وأمنًا، وجعل حرمها آمنًا إلى يوم القيامة.

إن الثابت تاريخيًا أن أمة الإسلام ترتقى فى مدارج الحضارة وتنطلق إلى آفاق السؤود والكرامة طالما تمسكت بالجهاد، وقامت بأعبائه فى كل الميادين، بالدعوة واللسان، والعمل والإتقان، وتعمير الأرض بالعلم النافع واستخراج خيراتها، كما أيضا بدفع العدوان ومنع الفتنة عن المستضعفين فى الأرض.

إن هناك من يريد أن يشوه صورة الإسلام ويسم المسلمين بالإرهاب، ويربط العنف العبثى بشهر رمضان، وعلينا ونحن نستنكر كل تلك الاعتداءات على الأبرياء الآمنين أن نوضح صورة الجهاد الحق، وأن ننفى عنه كل ما يشين، وأن نفرق بين الجهاد لتحرير الأوطان ودفع العدوان ومنع الفتنة وبين العنف الأعمى الذى لا يخدم إلا مخططات أعداء الإسلام، وأن ندعم جهاد إخواننا فى العراق وفى فلسطين حتى يحققوا تحرير أوطانهم ومقدسات الإسلام والمسلمين، ذلك لأن الجهاد بمعناه الشامل الواسع هو سبيلنا لإنقاذ أنفسنا والمسلمين كما هو وسيلتنا لهداية البشرية ورحمة الله للعالمين.

إن رمضان كان شهر الاحتفال بعيد نزول القرآن الكريم، دستورنا الخالد على مر السنين، الذى يتوقف على تطبيق أحكامه عمارة الكون وتحقيق الاستخلاف فى الأرض.

والمسلم الحق لا ينقطع عن القرآن بعد رمضان، بل يزداد ارتباطه به تلاوة وحفظًا، تدبرًا وفهمًا، عملاً وتطبيقًا، دعوة وجهادًا.

أيها المسلمون... أيها الإخوان المسلمون:

ها أنتم تخرجتم من مدرسة رمضان للتقوى، وعشتم فى المخيم الربانى ثلاثين يومًا، فانطلقوا إلى العمل والجهاد، ولا تركنوا إلى الدنيا، فقد تزودتم من رمضان، فأبشروا بمغفرة من الله ورضوان، وعتق من النيران، يتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال وأعاده علينا بالخير والبركات.

***

مائة عام على ميلاد الإمام المودودى

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
١١ من شوال ١٤٢٤هـ
٥ من ديسمبر ٢٠٠٣م

يأتى الاحتفاء بمرور مائة عام على ميلاد الإمام أبى الأعلى المودودى فرصة للتأمل فى حياة واحد من أكبر علماء الإسلام، وأئمة الدعوة إلى الله فى عصرنا، ومناسبة للنظر فى سيرة جهاده وعطائه، ولتعريف قطاعات عريضة من جماهير أمتنا برموز صحوتها الإسلامية الذين غمط حقهم وشُوِّه تاريخهم، وذلك رغبة فى تقديم نماذج القدوة والتأسى وليس دعوة إلى تقديس أشخاص، مضوا إلى ربهم، وهو حسيبهم ولا نزكى على الله أحدًا..

لقد ولد المودودى فى مطلع القرن الماضى سنة ١٩٠٣م فى مرحلة تاريخية عصيبة مرت بها أمتنا، فكان معظم أقطارها - إلا فيما ندر - يخضع للاحتلال العسكرى الغربى، الذى فرض على شعوبنا الظلم والفقر والمذلة، واستشرت جرائمه، واستهدف أعز ما تملكه أمتنا: دينها وشريعتها، وهويتها وأصالتها، وقيمها وثقافتها، وغدا الاستعمار الفكرى أشد وطأة، وأعظم خطرًا، وأبقى أثرًا من الاستعمار العسكرى، وتكاملت خيوط المؤامرة والدس التى حاكتها قوى الغرب ضد الخلافة العثمانية التى كانت - برغم ضعفها - الرمز الباقى لوحدة العالم

الإسلامى ونظامه السياسى، وغدت الحضارة الغربية بمظاهرها البراقة الخادعة – التى تخفى حقيقة عنصريتها البغيضة – مثار إعجاب قطاعات عريضة من المسلمين، وسبب فتنتهم واغترابهم.

غير أنه من بين أنقاض هذا الركام الثقيل والظلام الطويل خرج أبو الأعلى المودودى.. وبعد مولده بسنوات ثلاث ولد إمامنا الشهيد حسن البنا، ليجددا للأمة دينها، ويبعثا فيها روح الأمل والمقاومة والصمود، ويضع كل منهما – على تنائى بلديهما، وعلى غير لقاء بينهما – منهاجه العملى لتحرير أرض الإسلام واستعادة مجده، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من ناوأهم، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك»؛ ليزداد إيماننا رسوخًا بأن هذه الأمة خالدة بخلود قرآنها، وأنها إن أصابها الوهن حينًا من الدهر فلن تموت ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

لقد هيأ الله للمودودى التربية الإيمانية والتنشئة العلمية منذ صغره على يد والده، فحفظ القرآن، وأتقن العربية والعلوم الإسلامية، وغشى مجالس العلم، وحظى بصحبة العلماء والأخذ عنهم، ولقى ذلك كله عقلاً نابهًا وقلبًا زكيًا، فشكلت تلك الروافد شخصية عالم جليل ومصلح مجاهد.. وما زلنا نؤكد على أهمية تلك التربية الإسلامية للناشئة والشباب، وما زالت جهود أعدائنا تتضافر لتجفيف تلك المنابع الصافية والمناهج الواضحة، ولم تعد جهودهم تبذل فى السر والخفاء، وتؤثر التآمر والالتواء، بل غدت سياسات معلنة وأوامر نافذة، ومن الأسف أن يخضع لها بعض حكامنا وأولى الأمر فينا، كما لحق مكرهم ذلك الحصن الحصين للتقاليد الإسلامية، والقيم الإيمانية، ونقصد بها الأسرة المسلمة التى كانت المحضن الأول لكل زعيم إصلاح ونهضة، ولم

يعد الأمر أمر غزو فكرى منظم، أو ترويض اجتماعى متطاول يتسرب من خلاله نموذج الأسرة الغربية فى تحلله وأهترائه إلى مجتماعتنا الإسلامية، بل أصبح قضية كبرى تحتشد لأجلها الجهود، وتنعقد لها المؤتمرات وترصد فى سبيلها الميزانيات، وتُسخَّر لها الأنظمة والمؤسسات.

وكان الإمام المودودى فى صباه وبواكير شبابه قدوة ومثلاً، فلم يكن قد جاوز الخامسة عشرة من عمره حين بدأ العمل صحفيًا إسلاميًا، وفى العام التالى شارك بحماسة فى حركة إحياء الخلافة الإسلامية التى استهدفت الحفاظ على الخلافة العثمانية التى أحاطتها المؤامرات والفتن، وكتب المودودى المقالات فى تلك السن الباكرة يشرح نظرية الخلافة الإسلامية وأهميتها، كما شارك فى إعمال جمعية «إغاثة وعون المسلمين» الذين تعرضوا لعدوان الهندوس فى بلاده.. وألَّف فى الخامسة والعشرين من عمره كتابه «الجهاد فى الإسلام»، ليتصدى للدعايات المغرضة التى تزعم انتشار الإسلام قديمًا بالسيف، فضلاً عن مؤلفات عديدة كتبها فى هذه الفترة المبكرة من شبابه، وقد جاوزت مؤلفاته فيما بعد مائة كتاب، تنتظم مجالات الإسلام المتعددة، وترجم معظمها إلى لغات العالم المختلفة ليتربى على فكر المودودى آلاف الشباب الذين يرون فيه عمق الفكرة، وحرارة الإيمان، ودأب العمل، ووضوح المسار..

غير أن الإمام المودودى لم يكن مجرد كاتب متميز ومفكر مبدع، فلم يشأ أن تكون ثمرة حياته مجموعة من الكتب والمقالات، أو الخطب والبيانات، بل أراد أن يمزج النظرية بالتطبيق، والقول بالعمل، والنصح بالجهاد، وكان يرى أن العمل لإعادة مجد الإسلام وعزة أهله لابد أن يكون عملاً جماعيًا، تتكتل فيه القوى، وتحتشد من أجله الجهود، وتتراصّ لبنات البناء، فأسس من قبل أن يكمل الأربعين عامًا الجماعة الإسلامية فى الهند سنة ١٩٤١م، ودعا مسلمى

الهند فى مجلته - ترجمان القرآن - إلى الانضمام إليها قائلا: «لابد من وجود جماعة صادقة فى دعوتها إلى الله، جماعة تقطع كل صلاتها بكل شئ سوى الله وطريقه، جماعة تتحمل السجن والتعذيب والمصادرة، وتلفيق الاتهامات، وحياكة الأكاذيب، وتقوى على الجوع والبطش والحرمان والتشريد، وربما القتل والإعدام، جماعة تبذل الأرواح رخيصة، وتتنازل عن الأموال بالرضا والخيار، وتقدم كل ما تملك قربانًا فى سبيل إقامة مجتمع الإسلام ونظامه.

ولم يكن المودودى مبالغًا فى تصور تبعات ذلك العمل، ونتائج ذلك الجهاد، بل كان واعيًا حصيفًا، يدرك جسامة المسئولية وعظيم التبعة، وضرب لإخوانه المثل والقدوة، فكان – رحمه الله – فى مقدمة المجاهدين الذين يقدمون التضحية النبيلة. وقد سجن عدة مرات، وحكم عليه فى إحداها بالإعدام، ثم خفف الحكم إلى السجن ثلاث سنوات (١٩٥٢ – ١٩٥٥م)، وخرج المودودى من سجنه ليواصل دعوته وجهاده فما لانت له قناة.. وما رضخ لأهواء الطغاة.

لقد كان ذلك الوعى استقراء صحيحًا لمسيرة أصحاب الدعوات، قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال سبحانه ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣] ثم يعقب الابتلاء والتمايز النصر والتمكين ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥ - ٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[النور: ٥٥].

لقد كان الإمام البنا - رحمه الله - أسبق إلى بدء العمل الجماعى حين أسس جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨م، وهو بعد شاب فى السابعة والعشرين من عمره، وحين انتهج طريق التربية لأصحابه، وحين بصرهم بعقبات الطريق، وضريبة النصر، ثم قال لهم «وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان، ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين».

لقد كان تأسيس دولة باكستان واستقلال المسلمين بها عن الهند أمل المودودى الكبير، وكان ينظر إليها على أنها «بيت الإسلام» المنشود فقال «لقد واتتنا الفرصة لأول مرة بعد قرون لنقيم دولة الله فى صورتها الحقيقية، ونقدم للعالم أجمع المثال العملى لفلاح هذا الدين ونجاحه، إنها نعمة كبرى أنعم الله بها علينا»

غير أن الاستبداد السياسى الذى سقطت باكستان عقب الاستقلال فى براثنه لم يدع المودودى ينعم طويلاً بحلمه، فالمودودى الذى لم يسجن أيام الاحتلال الإنجليزى للهند، ولم يعتقل فى ظل الأغلبية الهندوسية جعله الاستبداد السياسى البغيض أول معتقل سياسى فى الدولة الناشئة التى بذل فى سبيل إقامتها الرخيص والغالى!

غير أن ذلك الظلم لم يقعد بالرجل الكبير عن مواصلة جهاده، ولم تضعف الصدمة يقينه فى حتمية انتصار الإسلام، ووجوب العمل له، فالعاقبة للمتقين، والقصد هو إرضاء الله تعالى، وبلوغ جنته، وإن تأخر بعض النصر، أو سرق الظالمون عرق الكادحين، ودماء المجاهدين ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقد استمر جهاد المودودى بعد ذلك من أجل المطالبة بدستور إسلامى لباكستان، وجعلها وطنًا إسلاميًا بحق،، وليست مجرد وطن للمسلمين، وقد أثمرت جهوده أن أصبح الدستور الإسلامى مطلبًا جماهيريًا لمسلمى باكستان، لم تجد الحكومات المستبدة ردًا عليه سوى إعادة اعتقال المودودى وثلاثة وستين من صحبه سنة ١٩٦٤م، وحظر نشاط الجماعة الإسلامية هناك إلى حين.

وهكذا خسرت تلك البقعة الغالية من وطننا الإسلامى جهود جماعة من أبرز المخلصين من أبنائها، نتيجة ذلك الهوى الجامح، والاستبداد الغشوم، رغم ما كان يحيط بالبلاد من خطر محدق أسفرعن انفصال بنجلاديش عنها، ودفعت البلاد الثمن الغالى من وحدتها وسلامة أراضيها، مما يذكرنا بالثمن الفادح الذى دفعته أمتنا فى حالات الديكتاتورية وحكم الفرد، كما حدث فى مصر فوقعت هزيمة ١٩٦٧م، وفى العراق فسقطت فى براثن الاستعمار الأمريكى، فهل استفادت حكوماتنا من هذه الدروس وتلك العبر؟ أم أننا ما زلنا فى حالات كثيرة نتحرك كأننا أمة بلا تاريخ تستفيد منه؟

إن كثيرًا من حكوماتنا ما تزال تستشعر الخطر من بعض أبنائها المخلصين لمجرد الاختلاف فى الرأى، ولا تستشعر ذلك الخطر من أعدائها الذين ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] ثم يدفع الجميع الثمن فى النهاية.

إن المتأمل فى مسيرة الإمام المودودى يدرك وعيه اليقظ بخطورة الجوانب السلبية للحضارة الغربية على هوية أمتنا وحاضرها ومستقبلها، والرجل لم يكن يمانع فى الأخذ من حضارة الغرب ما فيها من جوانب التميز والفضل، إذ أن «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها» لكنه فى ذات الوقت كان شديد الانتقاد لجوانب القصور فيها، وبخاصة قيامها على أساس إقصاء الدين عن تسيير الحياة، وتشبعها بفكرة الصراع، ولهاثها وراء المنفعة

العاجلة، واللذة المحضة، وكان المودودى أيضًا شديد الحذر من خطر السيطرة الحضارية الغربية على قطاعات عريضة من المسلمين ومؤسسات حياتهم، وتحكمها فى العقول والأذهان، وكان يرى أن الاستعمار الغربى بمظالمه قد أجج المشاعر نحو الاستقلال، فى حين أسفر الغزو الحضارى الغربى عن تبعية كثير من المسلمين له، وكان طريق النجاة من تلك المخاطر عنده يتمثل فى تربية النفوس على الإسلام، وتحصينها بالإيمان به، والاعتزاز بتفرده وثرائه.

لقد تعرض فكر الإمام المودودى لقدر كبير من التشويه، وبخاصة فيما يتصل بالزعم بإقدامه على تكفير مخالفيه، والحكم على مجتمعاتنا بالجاهلية، وهو قصور بالغ فيه أصحابه، ولم يراع تطور تفكير الإمام المودودى وظروف دعوته، فقد كان الرجل فى بداية دعوته مائلاً نحو فكرة الثورة والانقلاب، وبخاصة أنه بدأ مسيرته فى بلاد تخضع للاحتلال الإنجليزى، ويعيش المسلمون فيه بين أغلبية تخالفهم فى الدين وتشتط فى معاملتهم، أما بعد تحرر الهند، واستقلال باكستان عنها، فكانت أفكاره تتجه نحو الإصلاح لا الثورة، وهو الرجل نفسه الذى اعتبر التكفير جريمة فى حق الفرد والجماعة، وكان يرى أن «من يكفر مؤمنًا كان كأنما قتله».

ومما يذكر فى هذا المقام أن الإمام المودودى نفسه – لما بلغته تلك الشائعات عن جنوح فكره إلى التكفير – كتب يرد هذه الشبهة ويدحضها وينفيها عن نفسه..

وعلى كل حال فإن كل امرئ يؤخذ من قوله ويترك، إلا المعصوم ﷺ.

أيها الأخوة الأحباب:

لقد مضى المودودى إلى ربه بعد أن أدى عملاً كبيرًا، لكنه ترك من خلفه

جماعة إسلامية كبرى تواصل مسيرة العمل للإسلام والجهاد فى سبيله، ولقد كان الإخوان المسلمون طوال تاريخهم ينظرون باعتزاز إلى إخوانهم فى باكستان ويقدرون لهم جهادهم وبذلهم، ويرون فيهم ظهيرًا ونصيرًا للفكرة الإسلامية فى صفائها وتدفقها، وهى مشاعر حب واحترام تجمع العاملين للإسلام.. وإننا نذكر موقف الإمام المودودى وجماعته حين ظلوا يحتفلون بذكرى استشهاد الإمام حسن البنا فى ١٢ فبراير من كل عام، فى الوقت الذى كان فيه الإخوان المسلمون يعانون محنة السجن والتضييق بعدما خلت جماعتهم فى منتصف الخمسينات وتنكر لهم الكثيرون.

رحم الله الإمام أبا الأعلى المودودى، وجزاه عن دعوته ودينه خير الجزاء، وثبَّت إخوانه على طريق الإسلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

***

الصحوة المباركة ودور الشعب الفلسطينى فى الجهاد

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
٢٥ من شوال ١٤٢٤هـ
١٩ من ديسمبر ٢٠٠٣م

يقول الحق سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٧] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وهناك قاعدتان للنصر والتمكين والسيادة:

الأولى وحدة الأمة التى اختارها الله لحمل رسالته، والأخوة ووحدة الهدف، وترابط الصفوف، وتعانق القلوب والأرواح يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

والثانية: الالتزام بالحق والصدق مع الله، والعودة إلى منهجه وكتابه وشريعته، وعلامة الصدق فى هذه العودة فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، وما أن يأخذ المسلمون بمنهج الإسلام وهديه ويسيرون على سننه فإن الله سبحانه يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، ومن بعد

ذلتهم عزة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وصراع أمتنا فى فلسطين صراع عقيدة ودين ومواجهة بين الحق والباطل، سببه هو الاحتلال الاستيطانى للعصابات الصهيونية لأرض فلسطين المباركة والتأييد الأوربى والأمريكى الأعمى لهذا الاحتلال وبطشه وجرائمه، وتاريخ الجهاد فى فلسطين والكفاح من أجلها، يدل على أن أهلها من زمن طويل، قد اختاروا طريق النصر والتمكين، ورفضوا الإخلاد إلى الأرض ونبذوا الرضا بالواقع من إلحاد وإفساد وارتقوا إلى الأفق الربانى، إلى معية الله وحده، إلى مالك الأمر ومدبر الكون، حيث المدد الحقيقى والنصر والعزة والسيادة، لقد أيقنوا أن العدوان الصهيونى والإجرام الصهيونى لا يوقفه إلا الإسلام، إنها مرحلة حاسمة، وفاصلة فى مقاومة هذا الصراع على الأرض المباركة.

فالأرض المقدسة ليست شيئًا هامشيًا فى هذه الأمة، بل هى قلب العالم الإسلامى، ومسرى رسول الله ﷺ، يقول الإمام الشهيد حسن البنا «إن كل أرض يقال فيها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.. هى جزء من وطننا، له حرمته وقداسته، والإخلاص له، والجهاد فى سبيل خيره».

الإخوان فى حرب فلسطين.

إن تاريخ التضحيات والشهداء، وتيارات الدماء على أرض فلسطين، منذ عشرات السنين، نبعت من كل بيت مؤمن وأدى جميع الصادقين ضريبة الجهاد، - الرجال والنساء، والبنات والأطفال - كلهم وهبوا حياتهم فداءً لوطنهم العظيم، لقد كانوا جميعًا علامات مضيئة على طريق الجهاد، وكان شيخ الشهداء عز الدين القسام على رأس هؤلاء، أضاء بجهاده الظلام الذى خيم

على أرض الإسراء، وفتح الطريق لرفع الحصار، رحمه الله ورضى عنه.

وفى رسالة للإمام الشهيد حسن البنا - سنة ١٩٣٩م يهيب بالمسلمين أن يفيقوا من غفلتهم ويدركوا خطر الموقف- يقول - رحمه الله -: «إن الدماء التى خضبت أرض فلسطين، وإن آلاف الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم فى سبيل المثل الإسلامى الأعلى، وإن شباب العرب الذين أرسل بهم الإنجليز إلى المشانق، مئات إثر مئات، وإن الشيوخ الذين أنزل بهم المستعمرون ألوانًا وحشية من التعذيب، الذى أعاد إلى الأذهان صور محاكم التفتيش فى أسوأ عهودها، وإن المسجد الأقصى الذى أنتهكت حرمته، واعتدى الجنود الإنجليز على قداسته، إن كل ذلك ليهيب بك أيها المسلم، أن تبذل فى سبيل الله، ما وهبك الحق تبارك وتعالى، من روح ومال، لتكون جديرًا بالاسم الذى تحمل، وباللواء الذى ترفع، وبالزعيم الذى أنت به مؤمن».

إن عمر هذه الوثيقة التى أرسلت إلى رئيس الوزاراة والزعماء والقادة ورجال الفكر يزيد عن أربعة وستين عامًا، وهى تدل على أن جماعة الإخوان المسلمين، مرتبطة عقيديًا بجميع قضايا الشعوب الإسلامية، تعيش معها فى محنها، وتتحمل معها البلاء الذى ينزل بها، ومن اليوم الأول لقضية فلسطين أعلن الإخوان - فى مصر وسوريا، والعراق والأردن، والسودان - وقوفهم مع إخوانهم، ومشاركتهم لهم فى الجهاد بالمال والنفس، وهذا دليل الصدق والوفاء والإيمان والإخلاص، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وتبنى الإخوان المسلمون لقضية فلسطين من زمن طويل، إعلاميًا وسياسيًا وجهاديًا وتوعية للأمة، ليقينهم أن مسئولية تحرير بيت المقدس وأرض الإسراء، هى فرض عين على المسلمين جميعًا، وليست مسئولية أهل فلسطين

وحدهم، وهذا أيضًا ليس من خصوصيات القدس وفلسطين، بل هو حكم شرعى فى كل أرض إسلامية، اعتدى عليها أعداء الله ورسوله، والأمر فى بيت القدس أشد وجوبًا.

إن إيقاظ الأمة وإعدادها للجهاد، هو المطلوب اليوم وغدًا، وهو الطريق الوحيد، لحل القضية، أما المؤتمرات والندوات والمعاهدات فهى لصالح اليهود، والقول بأن السلام خيار مصيرى لا بديل عنه خطأ، فأين هو السلام؟ كذلك الاعتقاد بأن الكيان الصهيونى قوة لا تقهر، قول باطل، فإن شباب الصحوة قد استطاع أن يرد كيدها، وأن يقف أمام دباباتها، وهو أعزل إلا من إيمانه ويقينه بأنه على الحق، وثمرات أعمال الجهاد، والرجال الذين بذلوا أرواحهم فى سبيل الله لم تعد تخفى على أحد.

إعداد الشعب الفلسطينى للمقاومة، هو الخيار الوحيد لمواجهة الموقف الذى فرضه عليهم اليهود، فهذا البلاء الاستيطانى الشيطانى - ومن اليهود بالذات - لا تجدى معه مؤتمرات ولا معاهدات، لأنهم لا عهد لهم ولا ميثاق على مدار التاريخ، يقول الحق سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٥٥].

وما يدور فى العراق من مهازل وفتن، واضطهاد للمسلمين، وما تفعله أمريكا كل يوم من عدوان على هذا الشعب المظلوم، أمر يدلنا على مدى الاستهتار والفوضى، وعلى مدى ضياع الأمة الإسلامية التى فرطت فى حقوقها، واستكانت للظلم والظالمين.

وهناك حقائق ينبغى أن تستقر فى النفوس والقلوب:

أولاً: إذا أراد المسلمون أن يستعيدوا فلسطين والمسجد الأقصى، والعزة

والسيادة، فعليهم أن يهتموا بالانتفاضة والمقاومة وأن يؤمنوا بأن طريقها لا حل سواه للقضية، ويجب أن يقفوا معهم، وأن يكونوا يدًا واحدة، وعندها يكونون أهلاً لأن يُنْطِق الله لهم الشجر والحجر ليقول: «يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله» [رواه مسلم].

ثانيًا: ولقد حاول اليهود إخضاع الصحوة الإسلامية الفتية، وعلى رأسها الشيخ المجاهد أحمد يسن للرضوخ لهم، وبذلوا كل ما عندهم لاحتواء المجاهدين، لكن الانتفاضة بحمد الله وصدق التوجه، استطاعت أن تثبت وأن تتغلب على العدو وأن ترهبه، والشباب المؤمن كبد العدو الخسائر، وتحمل النتائج واستمر فى المقاومة، فما أحوجهم إلى الدعم المستمر.

ثالثًا: يجب أن نؤمن بأن دولة اليهود إلى زوال، وهذه نهاية الظلم والظالمين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] وهذه هى النهاية، فهذا الكيان القائم على الظلم، هذا الجسم الغريب فى قلب الأمة، القائم على العربدة والإجرام، وهذه الحضارة التى تدعى التقدم وترعى حقوق الحيوان -بينما يلقى بخمسة ملايين مسلم لاجئ مشرد فى العراء، وتبيح دمهم وأرضهم وأعراضهم- ستأتى قريبا -إن شاء الله- اللحظات التى تبشر بسقوط هذا الكيان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] ويقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

رابعًا: ما أجمل ما قاله شيخ الشهداء عز الدين القسام: «إننا لن نحرز النصر إلا إذا رفعنا المصحف بيد والبندقية فى يد أخرى»، ويقول: «إذا كان ينقصكم السلاح فاقتلوا الأعداء وخذوا منهم سلاحهم»، ويقول: «أيها الشباب لقد علمتكم دينكم حتى صار كل واحد منكم عالمًا، وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، ألا هل بلغت اللهم فاشهد»

ويقول الشيخ أحمد يسن: «نحن نؤمن بأن الصهاينة لا يريدون السلام، كما نؤمن بأننا لا يمكن أن نسترد أرضنا وحقنا، من على طاولات المفاوضات وفتات الموائد، ولابد من طريق وحيد، هو الجهاد والمقاومة، للتغلب على هذا الاحتلال، ولذلك فإن هدفنا لمواجهة الوجود الصهيونى، على أرضنا ووطننا يتمثل فى ثلاث نقاط:

١. مواصلة الكفاح والمقاومة.

٢. تثبيت ودعم صمود الشعب الفلسطينى فى داخل الأرض المحتلة.

٣. التواصل مع الدول العربية والإسلامية والعالمية لشرح قضيتنا والحصول على دعمها، ودعم موقفنا فى المقاومة والجهاد ضد الاحتلال.

خامسًا: أن الذين يؤمنون بالله حق الإيمان، هم الذين يجاهدون فى الله حق جهاده، وهم الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الله فى الأرض تتحقق حين يسود العدل، ويرفع الظلم والبغى، ويعيش الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

الرسالة الأخيرة
للمستشار محمد مأمون الهضيبي
- رحمه الله -

الخير باقى فى أمتنا إلى يوم الدين

توفى رحمه الله
مساء الخميس ٨/ ١/ ٢٠٠٤م
مواليد: ٢٨ مايو ١٩٢١م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد

فقد قضى الله تعالى لهذه الأمة المسلمة أن تكون فى رباط إلى يوم القيامة، قيامًا بمهمة البلاغ عن الله والشهادة على العالمين، تلك المهمة التى أكرمها الله بها وجعل خيريتها رهنًا بأدائها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[آل عمران: ١١٠].

وفى عصرنا هذا تداعت الأمم علينا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، منتهزين فرصة الضعف التاريخى الذى تمر به أمتنا، وقد أرهقها طغيان الساسة، واستبداد الحاكمين، ونهب الثروات، وتقطيع الأواصر، وتحلل الأخلاق، وتخاذل الضمائر، والغزو الثقافى المتفنن فى أدواته، والمصر على بلوغ غاياته.

غير أن قدر الله الرحيم بهذه الأمة قضى أن لا

رسالة من المستشار
محمد المأمون الهضيبى
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
١٣ من ذى القعدة ١٤٢٤هـ
٦ من يناير ٢٠٠٤م

تزال طائفة منها ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من ناوأهم، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك.. وقد رأينا أمثلة وضيئة لهم فى أرضنا المحتلة فى فلسطين، يدافعون ليس فقط عن حريتهم ودينهم، بل أيضا عن كرامة الأمة ومستقبلها.. ورأينا مقاومة ومصابرة من أهلينا الذين أجهدهم الحصار سنين عددًا فى أفغانستان والعراق، حتى بدت القوة الأمريكية فى استكبارها وصلفها عاجزة عن فرض إرادتها، بل بدت دلائل تراجعها - وهى دلائل تتعمق كل يوم بفضل الله - لتلحق عما قريب بأخوات لها من دول الاستعمار القديم كانت هزيمتهم على يد الشعوب المستضعفة بداية لتراجعهم عن مكان الصدارة فى العالم.

واليوم نرصد ظاهرة أخرى لا تقل أهمية عن الصمود أمام الاستعمار العسكرى الأمريكى والصهيونى، إنها ظاهرة المقاومة الثقافية والفكرية لمحاولات فرض النموذج الغربى على المسلمين، وترويض العقل الإسلامى ليتقبل فكرة الاحتلال، ويسلم بتفوق أهله، وقد رأينا عما قريب أمثالاً لها فى مقاومة علماء المسلمين فى دول الخليج لما يسمونه بمشروع تطوير مناهج التربية والتعليم، الذى أقرت بعض ملامحه - للأسف الشديد - القمة الخليجية التى انعقدت فى ذلك الشهر ذى القعدة سنة ١٤٢٤هـ.

وفكرة تطوير مناهج التربية والتعليم فى بلادنا الإسلامية فكرة أمريكية روجت لها الإدارة الأمريكية والصهيونية، وحاولت فرضها منذ مدة بعيدة، غير أنها أصبحت بالنسبة لهم أكثر إلحاحًا بعدما اصطدموا بالمقاومة الإسلامية الصلبة لمشاريعهم فى الهيمنة والاستعمار.

وحسنا ما فعلت تلك الجماعة من العلماء الأجلاء حين فضحت هذه المخططات وكشفت عن حقيقة أهدافها، وأنها لم تقصد إلا تفريغ مناهج التربية والتعليم عندنا من كل ما يعمق هوية الأمة الإسلامية، ويؤكد تميزها وأصالتها،

ويثير فيها روح الجهاد والمقاومة، لتصبح بعد ذلك صيدًا سهلاً لأعدائها، وغنيمة باردة لا تستعصى عليهم.

إن معارضتنا لذلك المشروع لا يعنى بحال رضانا المطلق عن مناهجنا التربوية والتعليمية، فإننا نراها قاصرة عن تحقيق الغاية التى نصبو إليها فى تكوين أمة العقيدة والريادة والشهادة على العالمين..، غير أن ذلك لا يعنى أيضًا أن نزيد الأمر سواء بقبول إملاءات العدو، وتخريب بيوتنا بأيدينا، وهدم قلاع المقاومة داخلنا، والتآمر على بقية الخير فينا.

أيها الإخوة والأخوات:

لقد كنا نأمل فى هذه الفترة العصيبة من تاريخنا أن يجتمع أولو الأمر فينا، والمسئولون عن تربية وتعليم أمتنا ليتدارسوا معًا كيف يلبون نداء شعوبهم وأشواقهم نحو منظومة تربوية وتعليمية تزيل من نفوسنا الجهالة بديننا وتراثنا، وتدفع بنا إلى آفاق تستحقها أمتنا المجاهدة من الرفعة فى ميادين البحث العلمى والنهضة التقنية، وتعيد أمتنا إلى مكانتها اللائقة بها مكانة الصدارة بين الأمم، بعدما أصبح تخلفنا مزريًا فى ذلك المجال، ومهددًا لنا بالتجمد والاضمحلال.

إن ما ينفقه الكيان الصهيونى على البحث العلمى يبلغ ٢. ٤٪ من الناتج القومى الإجمالى لهم، فى حين لا تتجاوز نسبة الإنفاق ٠. ٦٪ فى أكثر البلدان العربية إنفاقًا على البحث العلمى - وهى الإمارات العربية المتحدة - ناهيك عن غيرها من الدول، وبشكل عام فإن متوسط الإنفاق على البحث العلمى لدى الكيان الصهيونى يزيد عشرة أمثال ما عند العرب مجتمعين، وإذا أخذنا فى الاعتبار التباين فى عدد السكان وحجم الناتج السنوى لاتسعت الفجوة إلى أكثر من ثلاثين مرة، ولسوف تزداد تلك الفجوة اتساعًا إذا أضفنا الإنفاق على الأبحاث العسكرية فى كلا الجانبين!!

وقد سجل العلماء العرب ٢٤ براءة اختراع سنة ١٩٩٧، فى حين سجل العلماء الصهاينة ٥٧٧ براءة اختراع فى العام نفسه، ويصدر الكيان الصهيونى تكنولوجيا بمليار دولار سنويًا، بينما سجلت الهند صادرات فى مجال تقنية المعلومات بمبلغ ١٥٠ مليون دولار سنة ١٩٩٠م، وارتفع سنة ١٩٩٩م إلى أربعة مليارات ويتوقع أن يرتفع إلى ٥٠ مليار دولار سنة ٢٠٠٨م

ولما صنف تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة الدول – حسب الإنجاز التقنى – إلى خمس فئات: (القادة، القادة المحتملون، النشطون، المهمشون، الآخرون) جاء الكيان الصهيونى ضمن الفئة الأولى من الدول القادة، وهى ١٨ دولة، وليس من بينها دولة عربية أو إسلامية واحدة!!

ومن المؤسف أن خمس سكان عالمنا العربى (٢٠٪ منه) يعانون البطالة، بحسب تقارير منظمة العمل العربى، وأن ٧٠ مليون عربى أميون – لا يعرفون القراءة أو الكتابة – بينهم ٤٥ مليون امرأة وصبى، ويبلغون نحو ٤٣٪ من الأمة العربية بحسب إحصاء سنة ١٩٩٨م، ولا تزيد نسبة الأمية لدى الصهاينة عن ٥٪، أما عن مستوى التعليم الذى يتلقاه طلاب المدارس والجامعات عندنا فقد علم الكافة مدى تدنيه وانحداره، وأنه يخرّج فى حالات كثيرة جماعات من أنصاف المتعلمين، الذين لا يجيدون التعامل مع آليات العصر الحديث ومناهج البحث العلمى فيه.

أين نحن من ذلك الواقع:

ولنا أن نتساءل أين نحن من ذلك الواقع المخزى الذى سبق بيان بعض جوانبه؟ وأين المؤتمرون الذين جلسوا يتباحثون حول تطوير مناهج التربية والتعليم منه؟ ولماذا لم يشغلهم البحث عن مخرج منه بدل أن ينشغلوا فى المقام الأول بإرضاء السيد الأمريكى، وتطويع مناهجنا لإرضائه وإنجاز سعيه فى

تركيعنا وإذلالنا؟ وترويض الإنسان المسلم الذى استعصى على القهر بدوام صلته بالله تعالى وإيمانه بفرضية الجهاد فى سبيل الله، وحتمية انتصار الإسلام وإن طال الزمن، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وإذا كانت شريعة الجهاد وصور البطولات الإسلامية التى يدرسها طلابنا تؤرق الضمير الأمريكى، ويجد فيها مجافاة لمنطق السلام، وحائلاً دون التعايش المذل مع الصهاينة والأمريكان، وإذا كان ذلك يجد صدى له عند بعض حكامنا أفلا ينظرون إلى مناهج التربية والتعليم لدى الكيان الصهيونى، وكيف يربون أولادهم على العنصرية والتفوق اليهودى وكراهية العرب، ووصفهم فى كتبهم الدراسية وقصص أطفالهم بأنهم كلاب قذرة، عدوانيون يعشقون الدماء والإرهاب؟ أفلا ينظرون إلى الصهاينة كيف تتحدث كتبهم الدراسية عن حق الاستيطان والهجرة لليهود إلى فلسطين أرض الميعاد والأجداد، لتكوين إسرائيل الكبرى التى تمتد من النيل إلى الفرات؟

إننا نذكرهم بقانون التعليم اليهودى العام الصادر سنة ١٩٥٣م، والذى تنص المادة الثانية منه على أن (التعليم فى دولة إسرائيل يجب أن يرتكز على قيم الثقافة اليهودية، والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودى، وتحقيق مبادئ الريادة فى العمل الطلائعى الصهيونى)

وتقول المادة الثالثة منه: (يجب أن يُخضع الحاضر لتقييم متواصل فى ضوء أحلام الشعب اليهودى وذكرياته، ويجب أن ينعكس الماضى اليهودى على النظام التعليمى الذى نحن بصدده؛ لأن التأهيل التاريخى والذاكرة والاهتمام بالعمل والإيمان بتجدد المجتمع اليهودى المتكامل مقومات لابد منها لبناء فلسفة التعليم اليهودى)

ولم ينزعج أحد لمستوى التعليم الدينى عند اليهود الصهاينة، ولم يطالبهم أحد بتغيير مناهجهم أو تعديل مسارهم، أو الحد من نشاطهم، أو الحيلولة دون

ازدواج النظام التعليمى العلمانى والدينى كما يحدث فى بلادنا.

فلدى الكيان الصهيونى تعليم دينى نشط ينضم إليه سنويا حوالى ٥٥ ألف طالب جديد، بل إن عدد الطلاب المنتظمين فى المدارس الثانوية لحزب شاس الصهيونى المتطرف بلغ ١١١ ألفا سنة ٢٠٠٠م، واستطاع ذلك الحزب أن يقتطع من الميزانية العامة للدولة خمسين مليون شيكل للإنفاق على التعليم الدينى لديه فى مقابل موافقته على موازنة الدولة لعام ٢٠٠٠م.. بل إن نحو خُمس تلاميذ المرحلة الابتدائية فى الكيان الصهيونى ينتظمون فى المدارس الدينية هناك!!، تلك المدارس التى تعمق الكراهية للمسلمين والعرب، وترفض تعليم المواد العلمية التجريبية كالرياضة والكيمياء والطبيعة، وتقدم تعاليم التوراة على قوانين الدولة، وفتاوى الحاخامات على الأوامر العسكرية، وتقوم بإعداد الكوادر الشبابية للمنظمات الإرهابية، وهم الذين قاموا بمحاولات متكررة لهدم المسجد الأقصى، والهجوم على الحرم الإبراهيمى، وقتل اسحاق رابين رئيس وزرائهم، وتأييد سياسات شارون الدموية.

وبعد كل ذلك نوصم نحن المسلمين بالتطرف، وتوصف مناهجنا التربوية والتعليمية بالحض على الإرهاب؟!! وتحارب مدارسنا الإسلامية حربًا لا هوادة فيها.

وعلى كل حال فإننا إذا كنا نرسل تحية الإجلال لكل علمائنا الذين ناهضوا تلك الخطوة المسيئة فى دول الخليج فإننا مازلنا نأمل أن يعيد المسئولون هناك - وغيرهم ممن يسير سيرهم دون إعلان - التفكير فى ذلك القرار، والعودة إلى جادة السبيل.

مرة أخرى الحجاب وشيخ الأزهر:

وكان لعلمائنا فى مصر وغيرها من بلدان الإسلام وقفتهم المشهودة فى

إنكار توجه الحكومة الفرنسية لاتخاذ قرار بمنع الفتيات المسلمات فى فرنسا من ارتداء الحجاب فى المدارس، ولقد أصدر الإخوان المسلمون بيانًا فى ذلك الأمر بمجرد إعلانه، وبينوا فيه مخالفة ذلك القرار لمواثيق حقوق الإنسان وجهود الأمم المتحدة التى تنص على ضمان الحريات الدينية للأفراد، كما يخالف مصالح الدولة الفرنسية نفسها لدى العالم الإسلامى، وصورتها التى تسعى للترويج لها كحامية للحرية والمساواة، أما مخالفته لصريح الإسلام قرآنا وسنة فهو معلوم من الدين بالضرورة، وهو فرض دينى لا يجوز لمسلمة التفريط فيه بحال، وليس رمزًا للتباهى والتميز أو الاستفزاز.

ولقد ساءنا – كما ساء علماء الإسلام فى شتى الأرجاء – تصريح شيخ الأزهر فى لقائه بوزير الداخلية الفرنسى الذى قال فيه: «إذا كانت المرأة المسلمة تعيش فى دولة غير مسلمة وأراد المسئولون فيها أن يقرروا قوانين تتعارض مع مسألة الحجاب فهذا حقهم، هذا حقهم، هذا حقهم»

والحق أن ذلك القول من شيخ الأزهر قد أثار غضب قطاعات عريضة من المسلمين الذين رأوا فيه تهاونًا وإعطاءً للدنية، ورضًا بأن تكون المرأة المسلمة فى وطنها الذى تقيم فيه مستضعفة مضطرة إلى غشيان الحرام والعمل به..

ونحن ننضم إلى الغيورين على الأزهر من مشايخه وعلمائه الذين تصدوا للرد على شيخ الأزهر وتفنيد فتواه، وننبه إلى خطورة ذلك المنحى منه، إذ أن مشيخة الأزهر ظلت طوال تاريخها موضع إجلال المسلمين فى كافة أنحاء الأرض، والدفاع عنهم، ويجب أن تحافظ على ذلك الرصيد التاريخى والواقعى العظيم.. فشيخ الأزهر رمز كبير من رموز الإسلام، يقود مؤسسة هى الأعظم بين المؤسسات الدينية الإسلامية، التى تدافع عن المسلمين فى شتى بقاع الأرض وتناصر المسلمين المستضعفين، وتؤكد على شرائع الإسلام وشعائره.

إننا نشفق أن ينعكس تردى الأوضاع عندنا والانهزام النفسى الناتج عن ذلك على فتاوانا الدينية، ونتطلع فى ذات الوقت إلى أن تكون مؤسساتنا الدينية الرسمية نموذجًا للشورى من العلماء، تلك الشورى التى تعصم من الزلل والانفراد بالرأى الذى قد يصدر أحيانًا عن عدم فهم جيد للواقع، وقراءة حصيفة للتحديات التى تواجهنا، وأوضاع المسلمين الصامدين فى بقاع شتى يتوقون إلى دعم مشايخهم وعلمائهم، لا أن يكونوا عونًا لظالميهم عليهم من حيث لا يشعرون..

والله تعالى يقول الحق وهو يهدى إلى سواء السبيل...

من المؤمنين رجال

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٣٠ من ذى القعدة ١٤٢٤هـ
٢٢ من يناير ٢٠٠٤م

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين – سيدنا محمد – وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد

أيها الإخوة الأحباب:

فى يوم الجمعة ١٦ من ذى القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ٩ من يناير ٢٠٠٤م وَدّع الإخوان المسلمون وودعت الأمة العربية والإسلامية رجلاً من خيرة رجالها، وعلمًا من أجلّ أعلامها هو فضيلة الأستاذ المستشار محمد المأمون الهضيبى – المرشد العام للإخوان المسلمين – بعد عمر حافل بالبذل والعطاء والتضحية والفداء، فقد كان الراحل الكريم أمة فى رجل، عِلمًا وعملاً، حركةً وجهادًا، صبرًا وثباتًا، همة وعزمًا، يقظة وانتباهًا.

ولقد صاحب الفقيد إلى مثواه الأخير – فى مشهد مهيب وجمع فريد – عشرات الألوف من إخوانه، وأحبابه وتلاميذه، وأبنائه وأحفاده من أبناء الدعوة الذين جاءوا تحية ووفاءً لمن قاد مسيرتهم فترة من الزمن، وكان رمزًا للصلابة والصمود والشموخ والإباء والحرص الشديد على الدعوة ورجالها، والدفاع عن قيم الإسلام ومبادئه، وتبنى كافة القضايا

الإسلامية وعلى رأسها قضية فلسطين.. وكان - رحمه الله - من أشد المدافعين المتحمسين عن احترام القانون وأحكام القضاء، على اعتبار أنهما أساس أمن واستقرار الأمة، ومظهر حضارتها ورقيها.

رحم الله الأستاذ الهضيبى، ورحم مرشدينا السابقين أصحاب الفضيلة، الإمام المجدد الشهيد حسن البنا، والإمام الفقيه الصابر المحتسب حسن الهضيبى، والإمام الملهم الربانى عمر التلمسانى، والإمام الصابر المجاهد محمد حامد أبو النصر، والإمام المربى – أمين هذه الدعوة – مصطفى مشهور.

لقد أدى كل منهم دوره، وقام بمسئوليته خير قيام ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣] فجزاهم الله عنا وعن الإسلام وعن دعوتهم خير الجزاء، وألحقنا بهم فى عليين.

أيها الأخوة الأحباب:

فى هذه الأيام المباركة يتأهب المسلمون من كل أنحاء الدنيا لأداء فريضة الحج استجابة لدعوة أبى الأنبياء الخليل إبراهيم - عليه السلام - ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧] ويهمنا فى هذه المناسبة الجليلة أن نذكّر أنفسنا بما تعنيه هذه الفريضة، فهى ترقى بنا فوق المادة والشهوات، وتشيع فينا روح الجماعة، وتزكى فينا روح التعاون على البر والتقوى، والبعد عن الإثم والعدوان، كما أنها تأخذ بأيدينا للإقبال على الآخرة، وتجعلنا فى حالة انصياع كامل لأوامر الله تعالى مع تدبر حكمتها ومقاصدها، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وتؤكد لدينا أهمية الإخلاص والتجرد، وتعودنا على الضراعة إلى الله فى خشوع وخضوع، وتوجهنا إلى التضحية والفداء، فما أحوجنا إلى التحلى بهذه القيم والمعانى، فهى الأساس الحقيقى للنهوض والتقدم والرقى.

أيها الأخوة الأحباب:

إن الأمة العربية والإسلامية تمر – فى هذه المرحلة – بمنعطف خطير حيث تواجه تحديات كبيرة تستهدف عقيدتها وهويتها وأخلاقها وأمنها وسلامتها، وخصوصيتها الثقافية، وميراثها الحضارى.. إذ يسعى المشروع الغربى إلى الربط بين الإسلام كعقيدة وشريعة وبين العنف والإرهاب، وبالتالى يسوغ لنفسه المطالبة بإغلاق المدارس الدينية، وتنقية المناهج الإسلامية من مفردات ونصوص ومعانى يرى أنها لا تتفق مع مصالحه، وتغيير الخطاب الدينى والثقافى، حتى تتحول الشعوب العربية والإسلامية إلى مسخ تائه، لا تحدد لنفسها هدفًا ولا تعرف لها غاية.. كما يعمل المشروع الغربى على إشاعة ثقافة الاستسلام، والخلاعة والمجون، والترف والاستهلاك، والسطحية فى التفكير، والاهتمام بسفاسف الأمور، والغوغائية فى الحركة.... إلخ، وهو ما يجب أن نتنبه له، وأن نستعد لمقاومته والوقوف فى مواجهته بكل السبل والوسائل المتاحة فى كل المجالات والميادين.. ومن ثم:

- أوصيكم وأوصى نفسى بتقوى الله تعالى فى السر والعلن، وأن نُقبل على الله تعالى بقلوب صادقة، ونفوس عامرة بالإيمان، وأن نجتهد فى الطاعة والعبادة، وبخاصة قيام الليل.

- وأن تثقوا فى أنفسكم وتضعوا فى اعتباركم أنكم كأمة قادرة – بعون الله تعالى – على تخطى الصعاب، ومواجهة التحديات، وبلوغ الغايات، ورحم الله شوقى حين قال:

وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

فقط علينا أن نأخذ بأسباب النهضة والتى تتمثل فى قوة الإرادة، وعلو الهمة، ودقة التخطيط، وسلامة الوسائل، ووضوح الهدف، ثم تفويض الأمر لله تعالى.

- وأن نتخلق بأخلاق الإسلام من بذل وتضحية وفداء وإيثار وسماحة ولين... إلخ

- وأن نهجر المعاصى والذنوب والآثام، ما ظهر منها وما بطن.

- وأن نعمل فى مجتمعاتنا على إحياء ثقافة المقاومة فى مواجهة الاستسلام، والجد فى مواجهة الهزل، والادخار فى مواجهة الاستهلاك، والأمل فى مواجهة اليأس، والإقدام فى مواجهة الإحجام، والإيجابية فى مواجهة السلبية، والأخلاق فى مواجهة التحلل، والحفاظ على الهوية فى مواجهة الذوبان فى ثقافة الغير حتى نستطيع أن نؤثر كما نتأثر.

- وأن نجتهد فى تفعيل مؤسسات المجتمع الأهلى والمدنى، فهى القاطرة التى يمكن أن تشد وراءها الشعب كله، وذلك من أجل خلق رأى عام قوى وضاغط يكون قادرًا على استرداد حقوقه فى مواجهة الاستبداد من ناحية، وقادرًا أيضًا على مقاومة التحديات الكبرى محلية أو إقليمية أو عالمية من ناحية أخرى.

- أن تتمسك الأمة بحقوقها ضد الاستبداد والطغيان، وأن نعطى اهتماما خاصًا لملف الحريات العامة؛ لأنه لن يستطيع أى مجتمع أن ينطلق وهو مكبل بالأغلال، حرية الرأى، وحرية الاعتقاد، وحرية التنظيم، وحرية التعبير، ونزاهة الانتخابات.

أيها الأخوة الأحباب:

إن الحكام والأنظمة العربية والإسلامية عليها مسئوليات ضخمة يجب أن تضطلع بها تجاه أوطانها وشعوبها، وعلينا نحن أن نذكرهم بها دائمًا، فالعمل على اتخاذ كافة الإجراءات للنهوض بالمجتمعات يجب أن يكون من صميم اهتماماتها وعلى قمة أولوياتها، وهذا يستلزم إيجاد قواعد علمية وتقنية عالية حتى نتمكن من اللحاق بالعصر، خاصة أننا فى عالم لا يعترف بغير القوة فى

كافة الميادين العسكرية والاقتصادية، والتقنية، والإعلامية... إلخ، نحن أيضًا فى عالم يسعى لتكوين كيانات كبيرة إذ لا مكان فيه لكيانات هشة صغيرة؛ لذا من الضرورى أن يعمل الحكام على إزالة المعوقات التى تحول دون التكامل الاستراتيجى والاقتصادى بين الدول العربية والإسلامية، تمامًا مثل ما فعلوا بالنسبة للتكامل الأمنى والإعلامى، ولتبدأ هذه الأنظمة بإجراء إصلاحات سياسية حقيقية تؤدى إلى مشاركة الشعوب فى صنع حاضرها ومستقبلها وتقرير مصيرها.. إن لدى الأمة إمكانات هائلة تحتاج إلى من يعيد اكتشافها وتوجيهها وتوظيفها بما يعود عليها بالنفع، ويوم أن يشعر المواطن بأن له قيمة فى وطنه وأن حقه مصان، وأن كرامته محفوظة، فسوف تتفجر طاقات الإبداع لديه، وسوف يشارك بإيجابية فى صنع الحياة.

أيها الأخوة الأحباب:

إن إخواننا فى فلسطين يعانون من حصار الجوع والموت، الذى يمارسه الكيان الصهيونى – بدعم كامل من الإدارة الأمريكية – والذى لا يكف عن القيام بأعمال الاغتيال والتصفية والإبادة، فضلاً عن الجرائم والمجازر الوحشية التى ترتكب فى حق الشعب الفلسطينى، ناهينا عن هدم المنازل وتجريف الأراضى، وإقامة المستوطنات العنصرية، بما فى ذلك الاستمرار فى بناء الجدار العازل، ومن ثم فإنه من العار أن نقف – أنظمة وشعوبًا – أمام ما يحدث فى فلسطين بهذا الصمت المزرى، والتراجع المهين.. نعم إن الشعب فى فلسطين لا يزال يقاوم، ولم ولن تنكسر إرادته بإذن الله، لكنه يستلزم منا كحكومات أولاً وشعوب ثانيًا أن نقف إلى جواره، وأن نمده بكل وسائل الدعم المادى والمعنوى.. هذا الشعب البطل لا يدافع عن أرضه وماله ومقدساته والمسجد الأقصى الأسير فقط، لكنه يدافع عن كرامة الأمة وشرفها.. إن سلاح المقاطعة لبضاعة العدو الصهيونى، وبضاعة كل من يدعمه ويؤيده ويسانده هو أضعف الإيمان.

فتحية لهذا الشعب الأبى وكلمة نوجهها لفصائل المقاومة التى تذود عن الحمى: عليكم بالمحافظة على وحدة الصف وتجنب النزاعات الأهلية، وألا تلقوا بأسلحتكم فهى الضمانة الأكيدة فى مواجهة عدو لا يعرف ولا يفهم غير لغة القوة.

الأخوة الأحباب:

إن المشروع الأمريكى لم يعد يخفى نواياه تجاه المنطقة كلها، فقد أقام قواعد عسكرية دائمة فيها، واحتل أفغانستان والعراق، وسيطر على أكبر مخزون للنفط العالمى، وها هو ذا يقوم بنهب وسلب خيرات الأمة وثرواتها.. وها هو ذا يهدد ويلوح بضرب سوريا وإيران، بعد أن استسلمت له ليبيا، وأى دولة أخرى لا تذعن لمطالبه.

إن المشروع الأمريكى يعد العدة لتفكيك المنطقة، وإعادة تشكلها من جديد على نحو يحقق مصالحه وأهدافه، والأنظمة العربية والإسلامية غير مدركة لما يحيق بها، أو كأن الأمر لا يعنيها، أو تنظر إليه وهى عاجزة عن فعل شيء، وكأن عليها أن تنتظر وأن تقبل فى صمت ما يُفعل بها.

إن الأمل – بعد الله تعالى – فى الشعوب، وإذا لم تنهض فى الوقت المناسب، فسوف تقع الكارثة، لا قدر الله.. لقد سقطت بغداد، ومن الممكن أن تسقط عواصم أخرى، فماذا نحن فاعلون اليوم قبل الغد؟ و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]..

الأخوة الأحباب وراء الأسوار:

تحية لكم من قلوب مفعمة بالحب نحوكم، راجية من الله عز وجل أن يربط على قلوبكم ويثبت أقدامكم، وأن يفرج عنكم وأن يعيدكم إلى أهليكم وأولادكم غانمين سالمين، وأن يجزيكم عنا وعن دعوتكم خير الجزاء..

إنه نعم المولى ونعم النصير.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وقفات مع قدوم عيد الأضحى

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٧ من ذى الحجة ١٤٢٤هـ
٢٩ من يناير ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فتقبل الله منا ومنكم، وكل عام وأنتم بخير، وكل عام وأنتم إلى الله أقرب وعن معاصيه أبعد..

فها هو عيد الأضحى يسرع الخطى إلينا ببركته وفضله، ليكون ختام عبادة، وتمام نعمة، ومدعاة شكر وذكر، ومثار تفكر، وموطن عظة، فهو يأتى فى ختام فريضة الحج، وهو ركن ركين من أركان الإسلام، كما كان عيد الفطر ختام فريضة الصيام، ليفرح المسلمون عقب كل عبادة ونسك.. ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨]. وهو يأتى عقب يوم عرفة: حيث يغفر الله لهذه الأمة ما أسلفت من معصية، وما فرطت فى جنب الله، فلا يرى الشيطان أخزى ولا أذل منه يومئذ، وقد خاب سعيه، وضاع جهده.

وفى مثل ذلك اليوم أتم الله نعمته على أمة الإسلام بكمال نزول القرآن، دستور هذه الأمة ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**

وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وفى أعقابه يقذف الحجيج إبليس بجمراتهم، متبرئين من سلطانه وقهره، متحررين من وسوسته ونفثه، عازمين على نصب العداوة له ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فنسأل الله تعالى أن يتقبل من حجاج بيته حجهم وسعيهم، وأن يديم عليهم نعمته، وقد عادوا متطهرين كيوم ولدتهم أمهاتهم، وما أحرانا أن نستمسك بذلك الفضل، ليكون الحج - كما أراده الله - دورة تدريبية مكثفة، يعيشها أكثر من مليونى مسلم كل عام، يجددون خلايا الإيمان والإنابة والتضحية والجهاد فى جسد هذه الأمة، التى أضحت فى مسيس الحاجة إلى فقه أسرار عبادتها، والتمسك بمردودها العملى، وهى فى وضعها العصيب الذى تتكالب عليها فيه قوى الشر..

تضحية إبراهيم - عليه السلام - وآله..

يأتى عيد الأضحى من كل عام تخليدًا لكل هذه المعانى وغيرها، وبخاصة ذكرى تضحية أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وأسرته المؤمنة التى نذرت نفسها لله، واستسلمت لأمره، فحققت كمال معنى الإسلام والإيمان، حين همّ خليل الرحمن بذبح ولده طاعة لربه، فانقاد الابن لمراد الله تعالى، ورضيت الأم الصابرة بقضائه عز وجل، فكان تمام الإسلام لله هو كمال الاستسلام له ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧]، وكان القبول من الله تعالى رهنًا بحقيقة الإخلاص له، ومطلق التجرد لجنابه، حتى لو كان ذلك فى أخص عواطف المرء: عاطفة الأبوة والأمومة والبنوة ﴿فَمَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] وبتلك التضحية النبيلة استحق إبراهيم - عليه السلام - أن يكون خليل الله تعالى، وأن يكون أمة وحده ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[النحل:١٢٠-١٢١].

التضحية سبيل أصحاب الدعوات..

لم تقم دعوة عظيمة دون تضحية عظيمة ممن ينتسبون إليها، قيادة وجندًا، وقد كان ذلك حاضرًا فى ذهن رسول الله ﷺ منذ اليوم الأول لنزول الوحى على قلبه، حين حدثه ورقة بن نوفل بقوله: «ليتنى أكون جذعًا - أى: قويًا فتيًا - حين يخرجك قومك، قال ﷺ: أمخرجىّ هم؟ قال نعم، ما جاء نبى بمثل ما جئت به إلا عودى»..

كما كانت التضحية فى سبيل الدعوة ماثلة فى ذهن إمامنا الشهيد حسن البنا حين استقرأ سيرة المصطفى ﷺ وحوادث التاريخ وسير أصحاب الدعوات، ثم قال: «أيها الإخوان المسلمون إن تكوين الأمم، وتربية الشعوب، وتحقيق الآمال، ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليه - على الأقل - إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ، وإيمان به، وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه، والانحراف عنه، والمساومة عليه، والخديعة بغيره».

وجعلها الإمام البنا - رحمه الله - ركنًا أصيلاً من أركان البيعة، ووضعها فى ترتيبها الطبيعى الذى يضمن لأصحابها القبول عند الله،

والنجاح فى السعى، فجاءت بعد أركان الفهم والإخلاص والعمل والجهاد، فلا تضحية تجدى بغير فهم صحيح يحيط بالدعوة من أطرافها، دون إفراط أو تفريط، وبدونه تغدو مخاطرة مغامر يورد نفسه موارد الهلكة دون تبصر ووعى، ولا تضحية تجدى من غير إخلاص لله يجلب لها القبول عنده، وبدونه تغزو شهوة نفس تريد أن تُذكَر فتُشكر.. ولا تضحية بعيدًا عن الالتزام الصادق بركن العمل الذى يحدد لها دوائر السير، ونطاق البذل، وجهاد يوسّع مداها لتكون عنصر صيانة للأمة وإعزاز لها.. لذلك قال فى أركان بيعتنا: «وأريد بالتضحية: بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شئ فى سبيل الغاية، وليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه، ولا تضيع فى سبيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل»..

الجهاد والتضحية فريضة..

إن عيد التضحية يقدم علينا وسوق الجهاد والتضحية قائم فى عديد من أقطارنا، فُرضَ عليها أن تضحى بكل غال وثمين، ردًا للعدوان، ودفاعًا عن المقدسات والحرمات، لا إرهابًا كما يزعم المجرمون، ولا عدوانًا على من ينشد السلام ويؤمن به.. فأهلنا فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان - وفى غيرها من بلدان عالمنا الإسلامى المستهدف - لا يبغون غير حقوقهم الأصيلة فى الحرية والاستقلال وكرامة الإنسان، هم الذين اعتدى عليهم الصهاينة والأمريكان والروس، هم الذين قتل رجالهم ونساؤهم وأطفالهم، وديست بلادهم، وبُدِّدت ثرواتهم، واحتلت أوطانهم، فمن عجيب أن ينعت جهادهم بعد ذلك بالإرهاب، أو توصف تضحياتهم بالعنف الذميم.. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ [الكهف: ٥]، لقد وصف الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]،

وأذن لهم برد العدوان قائلا عز من قائل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

إننا نتوق إلى اليوم الذى تستطيع فيه جموع شعوبنا المسلمة أن تشارك هؤلاء المجاهدين جهادهم، وتدعم تضحياتهم، كما نتوق إلى اليوم الذى تدرك فيه حكومات بلادنا قيمة ما لديها من نفوس أبية، تعشق الشهادة فى سبيل الله ردًا على عدوان الظالمين الذين لا يريدون خيرًا لحاكم ولا محكوم، ويسعون لفرض الذلة والهوان على الجميع، وبث الفتن فينا، وأن يكون بأسنا بيننا شديدًا، على غير مراد الله تعالى الذى وصف جنده الصادقين، وحزبه الغالبين بأنهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

لقد آن الأوان أن يدرك أبناء هذه الأمة أن الجهاد فرض عين عليهم بعدما غزيت بلادنا واستبيحت ديارنا، وأنه لا تضحية أشرف ولا أعز من التضحية فى سبيل الإسلام وحرية أهله، وسلامة حياضه والدفاع عن المستضعفين فى الأرض، وأنه إن ضاق السبيل على من أراد ذلك فلا أقل من دعم المجاهدين ومقاطعة منتجات المعتدين، وفضح مخططاتهم، وتنبيه الغافلين مبينا إلى خطورتها وخبثها، ودمويتها وعنفها، وأنهم ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠]..

وآن الأوان لحكامنا أن يدركوا عظمة المدخور من قوى التضحية والفداء فى هذه الأمة، وأنه كفيل بردع من أراد بها شرًا، كما أنه كفيل بإنهاضها وعزها، وأن الإسلاميين فى أوطاننا هم أبرز حماتها، الذين يرون

حبها عبادة، والبذل من أجلها فرضًا ماضيًا، ودينًا قيمًا.. وهم القادرون على استنهاض الهمم للبذل فى سبيل نهضة الأمة والدفاع عن أمنها القومى فى ظل وحدة تجمع كل من يستظل بحضارة الإسلام..

وآن الأوان - فى هذا الظرف العصيب - أن تنقض عرى ذلك الفصام النكد بين الشعوب وحكامها، فليدرك الجميع أننا أصحاب سفينة واحدة إن خرقها واحد منا غرقت بنا جميعًا، وأن الشر الذى يستهدفنا لا يخص واحدًا، ولا جماعة، دون الآخرين..، وأن أى مذلة تصيب شعبًا أو حاكمًا - أو تستهدفه - هى خصم من كرامتنا، لا تقبله عزة مسلم يعلم أنه موقوف بين يدى ربه، ومسئول عما جنت يداه.

تحية إلى المجاهدين..

تحية فى يوم عيدنا الأكبر إلى كل المجاهدين المدافعين عن حقهم فى فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها من ديار الإسلام.. وتقبل الله منهم، وأخلص لهم نياتهم، وحقق لهم النصر والتمكين.

وتحية إلى كل من مد إليهم بالعون يده، ليمسح دمعة أم وطفل من أطفالهم فى يوم العيد، حرمه المجرمون الفرحة به واغتالوا البراءة فى عينيه، وهدموا داره، وشردوا أباه، أو غيبوه خلف أسوار ظلمهم وأحقادهم، ولا ريب أن إعانتهم وكفالتهم، ودعم جهادهم فرض واجب.. وتحية إلى روح الشهيدة ريم الرياشى التى نالت الشهادة فى سبيل الله فأثبتت أن قوافل الشهيدات لا تقل فى التضحية عن قوافل الشهداء من أهلنا فى فلسطين، وأن الأم التى تبغى الحياة الحرة الكريمة لشعبها ولأولادها قادرة على التضحية بأمومتها فى سبيل ربها.

وتحية واجبة إلى المجاهدين فى حزب الله بلبنان، حيث استطاعوا تحقيق إنجاز مهم له مغزاه بتحرير أكثر من أربعمائة أسير من سجون الصهاينة، وفق اتفاق لتبادل الأسرى معهم، وقد عبروا عن صحيح أخوتهم الإسلامية حيث شملت قائمة الأسرى المحررين أفرادًا من دول عربية شتى، لا من لبنان وحدها.. لم يكن ذلك إلا بفضل من الله وتوفيقه، وبثمن غال من دماء الشهداء وتضحيات المقاومين. وإن ذلك الصنيع ليؤكد اعتقادنا الذى كررنا ذكره مرارا من أن المقاومة هى السبيل الوحيد لإنهاء الاحتلال.

وتحية إلى إخواننا خلف الأسوار..

إن لنا إخوانًا خلف أسوار السجون والمعتقلات فى كثير من البلاد، ندعو الله أن يفرج كربهم، ويعجل خلاصهم، ويصبِّر أهليهم، ويجزيهم خير الجزاء.. فما سجنوا إلا فى ذات الإله وصميم الدعوة، وما حبسوا فى مذمة أو خيانة بل غيبهم الاحتلال فى فلسطين والعراق، أو غيبتهم القوانين الاستثنائية الجائرة التى تئن منها بلادنا، والتى آن الأوان أن يتنبه المسئولون إلى ظلمها ووخيم عواقبها، وأن وطننا فى هذه المرحلة الصعبة فى حاجة إلى كل المخلصين من أبنائه.

أيها الأخوة الأحباب:

أوصى نفسى وإياكم فى هذا المقام:

- أن نتدبر فقه عباداتنا وأسرارها، ففى فقه الحج كما رأينا وفى أسراره زاد لأصحاب الدعوات.
- أخلصوا عبادتكم وعطاءكم لله تعالى، فلا قبول يرجى دون إخلاص..

- تيقنوا أن التضحية هى وقود كل دعوة ناجحة، وهى فى حال إسلامنا فريضة لازمة.. ويجب أن تأتى عن فهم وإخلاص وأن تستصحب العمل والجهاد..

- ذكّروا الغافلين بخطورة ما تمر به أمتنا من أوضاع عصيبة تستلزم التضامن ونبذ الخلاف، وأن نكون فى سبيل الله صفًا كأنه البنيان المرصوص..

- شاركوا إخوانكم المجاهدين شيئا من الأجر بالدعاء لهم وعرض قضاياهم ومحنتهم، وفقهوا من حولكم بفرضية دعمهم وتأييدهم..

- شاركوا أسر إخوانكم خلف جدران السجون والمعتقلات فرحتهم بالعيد.. واسألوا الله الفرج القريب..

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل..

***

دروس وعبر في ذكرى استشهاد الإمام حسن البنا

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٣١ من ذى الحجة ١٤٢٤هـ
١٣ من فبراير ٢٠٠٤م

لقد جاء الإمام البنا إلى الدنيا على قدر مقدور، فإن العصر الذى ولد فيه، كان عصرًا مليئا بالتيارات الهدامة والإلحاد، والتحديات المعادية، وكان العالم الإسلامى يتعرض لأبشع أنواع المخططات الاستعمارية، نتيجة لسيطرة الاستعمار الغربى الصليبى، وغارته الفكرية والحضارية على كثير من البلدان الإسلامية، وظهر جليًا الضياع فى العالم الإسلامى، بعد أن كان المسلمون يقودون العالم فكريًا وحضاريًا لعدة قرون، وما يحدث اليوم من تخريب وعدوان هو هو ما كان فى الماضى، ولعل أبشع وأشنع ما نزل بالمسلمين فى تلك الفترة، إلغاء الخلافة الإسلامية - عام ١٩٢٤م - على يد عصابات اليهود، وتحولت دار الخلافة من رمز لاتحاد المسلمين وقوتهم، إلى دولة علمانية، ألغيت فيها الشريعة الإسلامية، لتحل مكانها القوانين الوضعية ووصل وضع المسلمين فى العالم إلى الصفر، لأن هذه الغارة الشاملة أثرت فى كل ميادين الحياة - الفردية والاجتماعية - وانقلبت جميع الموازين، ويصور الإمام البنا مدى التأثير الذى وقع على المسلمين بقوله «نجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم النجاح، فهو غزو محبب إلى النفوس، لاصق بالقلوب، طويل

العمر، قوى الأثر، ولذلك هو أخطر من الغزو السياسى العسكرى بأضعاف الأضعاف» رسالة بين الأمس واليوم.

لقد كان المسلمون كالشاة فى الليلة المطيرة، قلبت المفاهيم واستشرى الانحلال، وفشا الإلحاد، وأمجاد الإسلام العظيم شوهت، وعزلت الشريعة عن حياة المجتمع، ولم يبق لهذه الأمة من ملجأ ولا نصير إلا رحمة الله تعالى، ثم نجدة العقيدة، وقوة الإيمان، وجاء دور القائد الذى يرفع الراية من جديد وكان الإمام البنا ﷺ، الذى تحرك بالإسلام العظيم، زادًا للقلوب، وعملاً صالحًا فى الواقع، وحركة رشيدة فى مواجهة الطوفان المندفع، وكانت جماعة الإخوان المسلمين، كضرورة بعث وإحياء وإنقاذ، وكان قيامها رحمة من الله عز وجل، ومن تمام فضله علينا وعلى هذه الأمة، بل على العالم كله، قيام جماعة عالمية كالإخوان تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتربى شباب الأمة على الإسلام وتجمع المسلمين حول رايته، وترد كيد الأعداء فريضة دينية، وحتمية تاريخية، وحاجة بشرية، لصيانة الأمة، وإعدادها للجهاد فى سبيل الله، جماعة الإخوان التى تؤمن بوسطية الإسلام، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

إن المشروع الحضارى الإسلامى الشامل الذى وضعه الإمام البنا هو الطريق الوحيد لإنقاذ الأمة اليوم مما نزل بها، فالإسلام وحده هو الذى يصون هويتها، ويحفظ شخصيتها، ويعمل على استقلالها السياسى والاقتصادى.

وهو المشروع الإسلامى المعتدل، الذى يقوم على التوازن بين المادة والروح، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، كما يوازن بين حيازة أسباب السيادة فى الدنيا، والعمل بأوامر الدين.

إن نظرات الإمام الشهيد يتضح عمقها وأصالتها فى أنه عمل طوال عمره

على قيام وبناء هذا المشروع، باعتباره سبيلاً لا بديل عنه لنهضة الأمة وإنقاذها، فقد اتجه إلى بناء الأمة بناءً حقيقيًا، كما شيدها وأقامها رسول الله ﷺ، لقد أعاد الفقه السياسى الإسلامى، بعد أن وضع تحت التراب، وقالوا: لا سياسة فى الدين، وأعاد الاقتصاد الإسلامى، البعيد عن لوثة الربا، فأنشأ الشركات والمؤسسات الإسلامية التى نجحت أيما نجاح، وكان تلاميذ الاستعمار وضحايا الغزو الفكرى – ومازالوا – يقولون: ما للدين والسياسة؟ ما للدين والاقتصاد؟ ما للدين والحياة؟ فرد عليهم عمليا، وفند أقوالهم، وكشف عن جهلهم.

إن المشروع الإسلامى فى منهج الإمام، مشروع شامل كامل، وهو الوحيد الذى ينقذ الأمة من القعود والجمود والتقليد والتخلف.

لقد كان ﷺ يثق فى أن نفسه تحمل أطهر دعوة، عن حب وطواعية واقتناع فما تردد لحظة فيما أعد نفسه له، كانت ثقته فى نفسه تجعله يقوم على الدور الخطير الذى يهرب منه الكثيرون، وكان يرى أن التربية العملية يجب أن تكون ملازمة للدروس النظرية، وتطبيقًا لها فى برامج التعليم، وأن التربية السليمة الصحيحة الواعية هى التى تجلى روعة هذا الدين فى واقع الحياة، لقد تعلمت منه الأجيال استحالة الفصل بين العقيدة الراسخة فى قلب المؤمن – العقيدة التى تعبدنا الله بها – والشريعة التى تحكم حياتنا، وتنظم تصرفاتنا فى الحياة، كما تعلمت منه الأجيال أنه كان يضع عقيدته دائمًا أمامه، يستلهمها وينزل على حكمها، وبعد ذلك يأخذ فى التفكير وإعمال عقله، والاستنباط والفهم والتأمل والتدبر، مع الطاعة الكاملة لشرع الله، والالتزام بأوامره، عقيدته أولاً ثم عقله ثانيًا، فالحسن عنده ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، وقد حرص أن تكون دروسه وتوجيهاته ومحاضراته، مزيجًا دقيقًا متناسقًا، بين العبادة والفقه، والسياسة والاقتصاد، والتربية والجهاد، يقول عنه الحاج أمين

الحسينى مفتى فلسطين - رحمه الله - «لقد اشتعل رأسى شيبًا، وتحت كل شعرة خبرة وتجارب سنين عديدة، ولكنى حين التقيت مع حسن البنا، علمت أننى انتهيت إلى حيث بدأ هو»

وما أحوج المسلمين اليوم وغدًا - وقد أحيط بهم - أن يراجعوا مواقفهم من الإسلام، وأن يقبلوا عليه كما عرضه الإمام البنا، لقد استطاع أن يكشف عن الداء الأصيل فى الأمة، وهو قضية الفهم للإسلام، بنظامه وشموله وضعف الإيمان والصلة بالله، فأنشأ محاضن التربية، واهتم بالناحية الإيمانية، وأعاد سيرة دار الأرقم من جديد، يقول ﷺ: «هذه المحاضن التربوية التى تقوم على كتاب الله، والمنهج النبوى فى إعداد الأفراد». فكانت اللبنة الأولى هى الأسرة، وحدد أركانها: التعارف، والتفاهم، والتكافل، يقول: «فإذا أديتم هذه الواجبات الفردية والاجتماعية والمالية، فإن أركان هذا النظام ستحقق ولاشك». ويقول - رافعًا راية التربية ومقدمها على ما سواها - «سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربى بيوتنا ليكون منا البيت المسلم، وسنربى شعبنا ليكون منا الشعب المسلم». أما العدة فى هذا الأمر «فقد أعددنا لذلك إيمانًا لا يتزعزع، وعملاً لا يتوقف، وأرواحًا خير أيامها يوم أن تلقى الله شهيدة فى سبيله».

الإمام البنا وقضية فلسطين:

إنه شهيد هذه القضية، وقد كانت عنده - ومازالت عند جميع الإخوان فى العالم - قضية الإسلام الكبرى وهى كما قال «قلب أوطاننا، وفلذة كبد أرضنا، وخلاصة رأسمالنا، وحجر الزاوية فى جامعتنا ووحدتنا، وعليها يتوقف عز الإسلام أو خذلانه، بهذا الفهم العميق، كأنه يخاطبنا اليوم، ويعيش معنا ﷺ، فالعصابات الصهيونية ومن ورائها أمريكا، حولت قضية فلسطين مع عصابات يهود، إلى معركة كبرى، وقد تجسد الصراع بين قوى الشر والظلم، من ناحية

وأهل فلسطين العزل من جانب آخر، ولم يكن الإمام غافلا عن حجم المتاعب التى ستأتى من التصدى لهذه القضية، وكان يقول: «ريح الجنة تهب من فلسطين» ويقول: «إن الإخوان المسلمين ليعلمون أن دعوتهم عدوة للاستعمار، فهو لها بالمرصاد، وعدوة للحكومات الجائرة الظالمة، فهى لن تسكت على القائمين بها، وعدوة للمستهزئين والمترفين والأدعياء - من كل قبيل - فهم سيناهضونها، ولقد اهتم الإمام وإخوانه بقضية فلسطين، فدفعوا بشبابهم لمواجهة الصهيونية، ونازلوهم فى كل مكان، وقدموا الشهداء الأبرار وهم دائمًا على استعداد لو أتيح لهم أن يواجهوا الصهاينة فى فلسطين، ما تخلفوا عن هذا الواجب وتلك الفريضة.

من أهداف الإخوان:

يقول الإمام البنا: «اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين:

الأول: أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى.

الثانى: أن يقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق نظامه الاجتماعى، وتبلغ دعوته للناس.

ومن وسائلهم أيضًا التى حددها الإمام البذل وتقديم الخدمات والعطاء من غير حدود يقول ﷺ «أيها الإخوان، قبل أن آخذ معكم فى حديث الدعوة أحب أن أوجه إليكم هذا السؤال: هل أنتم على استعداد - بحق - لتجاهدوا ليستريح الناس؟ وتزرعوا ليحصد الناس؟ وأخيرًا لتموتوا وتحيا أمتكم؟ وهل أعددتم أنفسكم - بحق - لتكونوا القربان الذى يرفع الله به هذه الأمة إلى مكانتها». رسالة تحت راية القرآن.

وقد تحدث الإمام البنا عن الاقتصاد ونهضة الأمة فقال: «والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شئونها الاقتصادية، وهى أهم الشئون فى هذه

العصور، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية، بل وضع كلياتها، ولم يقف أمام. استكمال أمرها». إن الفقه الإسلامى مملوء بأحكام المعاملات المالية وقد فصلها تفصيلاً دقيقًا.

ولقد حدد الإمام الغاية والهدف والوسيلة، والغاية دائمًا هى الأصل «الله غايتنا» فهذا أصل الأعمال، وهى القوة التى تدفع إلى الطريق، يقول الإمام: «مصدر تحديد هذه الغاية هو الإسلام، فهى تتحلى فى كتاب الله وسنة رسوله، والتزامنا بها هو انتساب لأسمى مهمة، فهو سبحانه غايتنا الأصيلة، وأساس ومحور صلاتنا وأعمالنا، وهذا مصدر عزتنا وقوتنا، وليس بعد ذلك عزة ولا قوة». (رسالة إلى أى شئ ندعو الناس).

وعن المهمة يقول «أيها المسلمون عبادة ربكم والجهاد فى سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هى مهمتكم فى الحياة، فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون». ومن أوصاف أصحاب النبى ﷺ: «رهبان بالليل، فرسان النهار». المرجع السابق

ثم يتحدث عن ضرورة إيقاظ الأمة من الغفلة التى سيطرت عليها فيقول «علينا أن نوقظ الأمة من غفلتها وأن نقف أمام هذه الموجة المادية الطاغية، ونستعيد مجد الإسلام، ونغزو الدنيا فى عقر دارها حتى يهتف العالم باسم النبى ﷺ، وينتشر ظل الإسلام على الأرض». (رسالة تحت راية القرآن).

ومن هنا نفهم بعض أسرار المطاردة الوحشية والمستمرة للدعاة من المسلمين الذين حددوا أهدافهم بدقة، والتزموا بالنهج الشامل للإسلام، من هنا يبرز السبب الذى يبطل العجب حين نرى الإمام البنا يقتل فى أكبر شوارع القاهرة، وتتآمر الدولة كلها على ذلك، ونرى الإخوان يحال بينهم وبين دورهم فى إنقاذ الأمة اليوم التى وصلت أحوالها إلى مستوى لم يعد خافيًا على أحد،

بينما يتاح السبيل لكل من هب ودب ممن لا غاية له ولا هدف.

إن استمرار هذا الموقف - واليهود على الأبواب وما أقاموا دولتهم الباغية وتجمعاتهم إلا على أساس التوراة والتلمود، وما استنفروا شراذم اليهود إلا بدوافع الإيمان - لهو أمر غريب.

إن استمرار هذا الموقف من الحركة الإسلامية ومطاردة رجالها، وأمريكا تعبث بكل شئ فى ديار الإسلام: تقتل وتسجن وتهدم فى العراق وأفغانستان، وتغير وتبدل فى المناهج، وتأمر وتنهى، والجميع ساكت كلها وغيرها أمور عجيبة وغريبة، وعليها علامات استفهام؛ أفيقوا أيها الناس قبل أن تندموا ولا ينفع الندم.

علامات وملامح:

لقد استشهد الإمام البنا - والدنيا كلها بمن عليها - أهون شئ عنده، إمام قد أضنته العبادة الخاشعة، وقيام الليل الطويل، والأسفار المتلاحقة فى سبيل الله، لقد عرفته المنابر فى جميع مدن مصر وقراها، وهو يسوق الأمة بصوته الرحيم إلى الله، ويجمعها فى ساحة الإسلام، ويؤلف بين القلوب، لقد واجه المادية والإلحاد والاستعمار بكل ألوانهم، وحوله الأبناء من شباب الصحوة، واليقظة الإسلامية، الذين ملأ قلوبهم حب الإسلام والاستمساك به، ولذلك خرج من الدنيا تشيعه الملائكة، خرج محمولاً على أكتاف بناته، لم يستطع أحد من شدة الإرهاب أن يبكى عليه، ولم يترك تراثًا ماديًا، وهو فى الثانية والأربعين من عمره - رضى الله عنه وأرضاه -.

وفى ذكرى موكب البطولات والشهداء، والرجولة الفذة، نقول: يخطئ من يظن أن وسائل القمع والتضييق وإحصاء الأنفاس تفلح فى إبعاد التيار الإسلامى عن الحياة، فهذا فهم خاطئ لا ينطبق على هذه الدعوة، فهى كلمة

الله، وأن المؤمنين بها لا خيار لهم ولا عذر لهم فى تركها والتخلى عنها.

إن هذه الدعوة لابد أن تنطلق من حيث لا يحتسب الذين يضيقون عليها، وتمضى إلى غايتها بإذن الله.

إن دعوة الإسلام فى القرن العشرين، رفع لواءها حسن البنا - المدرس الفقير - تحت قيادة الرسول الكريم «الرسول زعيمنا» وأقام جماعة الإخوان المسلمين التى استطاعت أن تقاوم العواصف وأن يثبت الله أقدام رجالها، رغم المحن والابتلاءات يرحم الله الإمام الشهيد حسن البنا مؤسس هذه الجماعة وواضع نظريات العمل الإسلامى رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء، وتقبله فى الصالحين، هناك فى ظل العرش، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والحمد لله رب العالمين

معانى الهجرة وواقع أمتنا

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
٢٨ من ذى الحجة ١٤٢٤هـ
٢٠ من فبراير ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد

فإن مواسم الخير تعاقبت على حياتنا فى الأشهر القليلة الماضية بما تحويه من دروس وعبر، وما تقدمه من زاد على الطريق، وما تتيحه من فرص أمام قوافل الإيمان لترتقى قدمًا إلى غايتها العظمى: - رضوان الله عز وجل - فبعد عطاء رمضان والصوم جاء عطاء الحج وعيد الأضحى، ثم تأتى ذكرى الهجرة وفيوضاتها، وبدء عام هجرى جديد جعله الله عام بركة ونصر.. وكل عام وأنتم بخير..

لقد كانت الهجرة نصرًا مبينًا كما وصفها الله عز وجل فى قوله: **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٤٠]

ولم يكن خروج النبى ﷺ وصحابته مستخفين من مكة إلى المدينة هزيمة أو فرارًا، فقد بذلت قريش جهودها لمنعه لما تعلم من خطورة هذه النقلة فى حياة الدعوة ورجالها. وقد نجح هؤلاء الرجال فى مغالبة

واقعهم بين ظهرانى الكفر، والصمود فى وجهه، والتوسع على حسابه، ثم نجحوا فى صنع واقع جديد ينتظرهم، حين وجدت الدعوة بين أهل المدينة أنصارًا يتحرقون شوقا لنصرتها، وإقامة دولتها، والتمكين لها..

ولم يكن ذلك التغيير الكبير، وتلك النقلة الهائلة سوى تتويج للجهد المبذول طوال ثلاثة عشر عامًا فى مكة فى الدعوة والتربية، واستخلاص أفضل ما فى ذلك المجتمع من عناصر الخير الذين قدموا التضحية النبيلة، فعُذِّبوا فى بطحاء مكة، وظَفَرَ بالشهادة فى سبيل الله من اصطفاه الله لها، وسجنوا فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات، عرفوا فيها قسوة الحصار والتجويع والمقاطعة، واضطر بعضهم إلى الهجرة من الوطن - الذى تحكم فيه الأراذل والطغاة - إلى الحبشة، وتسابق إلى التضحية منهم القادة والجنود، والأشراف والعبيد، وأوذى رسول الله ﷺ وحوصر، وهاجر إلى الطائف، فما رده سوى الصبيان والعبيد والسفهاء يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان..

ورغم ذلك استمرت حركتهم بالإسلام والدعوة إليه، وكانت تضحياتهم المثيرة دافعًا إلى غزو القلوب التى هزتها نماذج البطولة والصمود من أجل العقيدة والمبدأ، ومضت القيادة الحصيفة البارعة تتلمس أرضًا أخرى أصلح للدعوة، يمكن فيها إقامة الدولة، وتقديم الهداية إلى العالمين.. حتى قدر الله تعالى أن يصطفى لذلك المدينة المنورة وأهلها الذين غدوا أنصارًا للدين الجديد، يبايعون قيادته على الجهاد من أجله، فى بصيرة واعية لمتطلبات ذلك الجهاد، وفى عزيمة صادقة على تحمل تبعاته ونتائجه.

كانت الهجرة إذن نصرًا عزيزًا.. تحقق أولاً فى داخل النفوس المؤمنة التى استعلت على جواذب الأرض وإلف الباطل، وأخلصت لدينها وضحت فى سبيله، وانحازت انحيازًا مطلقًا لخيار العقيدة ومطلوبها، فتركت من أجله العشيرة والوطن الذى ضاق بهم طغاته، ولم تنفسح لهم أرضه، فلما علم الله

فى قلوبهم خيرًا آتاهم خيرًا مما أُخِذ منهم، فوجدوا فى دار مهجرهم الوطن والأهل والعزة جميعًا، وكان الأنصار بالمدينة على ذات المستوى من الوعى بخطورة المستقبل الذى يشاركون فى صياغته، وأهمية الاستعداد للبذل فى سبيله، فكانوا كما وصفهم الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] ولم تكن الهجرة عملاً ممكناً، ولم يكن من المستطاع أن تحقق أهدافها من غير وجود النصرة الراشدة الواعية المضحية.

لقد كانت الهجرة الحدث الأخطر فى مسيرة الإسلام والجماعة المسلمة الأولى، فيه انتقلت الدعوة من طور الاستضعاف والمحنة إلى طور النصر والتمكين، وإقامة الدولة وبدء الجهاد لتبليغ العالمين رسالة الإسلام، ولذا فقد كان عمر بن الخطاب ملهمًا حين اختار تاريخ الهجرة إلى المدينة ليكون بدء التأريخ عند المسلمين، وجعله فى بداية شهر المحرم حيث بدأت فيه هجرة المؤمنين فى أعقاب بيعة العقبة الثانية - فى ذى الحجة -، التى تعد بحق عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى.. وبمجرد وصول النبى ﷺ إلى المدينة بدأ يرسى دعائم هذه الدولة التى تعبر عن شمول الرسالة وكمال الدعوة، فشرع فى بناء المسجد؛ ليكون مقر التربية والقيادة والتوجيه، وأخذ يوطد دعائم الأخوة الإيمانية؛ لتحقيق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ويقرر مبادئ المواطنة العامة لكل سكان الدولة، بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، بعقد معاهدة مع سكانها من اليهود الذين ما لبثوا أن نقدوا عهدهم ومواثيقهم..

التغيير لا يأتى من الخارج:

إن الدرس الذى ينبغى أن نؤكد عليه فى هذا المقام هو أن إقامة دولة

الإسلام الأولى بما مثلت من نصر مبين كانت نتيجة للتغيير الضخم الذى شهدته نفوس الجماعة المؤمنة الأولى التى ارتضت الإسلام دنيًا، وتربت عليه، وضحت من أجله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ولذلك فقد كان نصرًا حقيقيًا باقيًا..، وكل تغيير لا يأتى من داخل الأمة نفسها لا يؤتى ثمرته المرجوة، فكل تغيير تصنعه القوة القاهرة، أو القرارات الفوقية تغيير محدود الأثر.

إن أمتنا تشهد - فى هذه الفترة من تاريخها - محاولات لتغيير واقعها الأليم - الذى يدرك كافة أبنائها أنه قد آن الأوان لتغييره - وإحداث تطور حقيقى فيه، لكن البعض منا يروج لمشاريع تغيير مستوردة من الخارج فى ظل العولمة والقطب الدولى الوحيد.. ويتلمس لنفسه العذر فى ذلك بأن أبواب التغيير من الداخل موصدة بأيدى حكامنا الذين لا يرون فى الإمكان أبدع مما هو كائن، وتتقاصر إمكاناتهم عن آمال شعوبهم، ويزداد حرصهم على مكاسبهم فيزداد تشبثهم بكراسى حكمهم، ويزداد بطشهم بمعارضيهم، والحق أن واقعنا أليم قد أصابه التيبس والجمود، لكننا واثقون - فى الوقت ذاته - من أن الحلول المستوردة الجاهزة لن تحل مشكلاتنا، وأن أعداءنا لا يريدون خيرًا بنا، وأن دغدغة مشاعر البسطاء والمضطهدين بشعارات الحرية الأمريكية لن تفيد، وقد رأينا ثمرة تلك الشعارات فى العراق، ونراها منذ أمد فى فلسطين التى يعانى أهلها مالا يطيقه بشر بفعل الاحتلال الصهيونى الذى تباركه الإدارة الأمريكية.

استراتيجية أمريكية ظالمة:

إننا بإزاء استراتيجية أمريكية تسعى إلى قيادة العالم وتغييره ليكون تابعًا لها، وقد عبر عن ذلك الرئيس الأمريكى بوش بقوله: «من ليس معنا فهو علينا». وتحت شعار محاربة الإرهاب - الذى بات يطلق على كل معارضة لأمريكا

وسياساتها – شنت الحروب ضد المسلمين فى أفغانستان والعراق، واحتلت بلادهم، ونهبت ثرواتهم، وأطلقت يد الكيان الصهيونى فى فلسطين ليعربد كما يشاء، وله فى كل يوم جرائمه وضحاياه.. وتجدد فى كل يوم أيضًا تأكيدات القيادة الأمريكية بدعم الغاصبين، ومما يؤسف له أن تنساق العديد من الدول إلى ذات الطريق، وقد باتوا يعلمون أن الرضا الأمريكى والصهيونى ضرورة لنيل الحظوة والمكانة، وقد نقلت الأخبار أخيرًا تأكيد الرئيس الفرنسى شيراك موقف بلاده من حماية الكيان الصهيونى الغاصب ووجوده، وكأن وجوده مهددًا، وكأنه يفتقد الحماية ويتعرض إلى الخطر، وهو الذى يهدد بأكثر من ثلاثمائة رأس نووى وبترسانة من أحدث السلاح والعتاد جيرانه من العرب والمسلمين.. كما نقلت الأخبار إلينا رفض بريمر – الحاكم الأمريكى للعراق – النص فى الدستور العراقى المنتظر على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع.. وهل يتوقع مسلم عاقل غير ذلك الرفض؟!

وما أقرب الخيارات التى يقدمها لنا النظام العالمى الجديد الذى تقوده أمريكا من خيارات مشركى قريش فى مواجهتهم للنبى ﷺ ليلة الهجرة ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ونحن نوقن أن الله خير الماكرين، وأنه حافظ دينه وأولياءه، وأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرًا.. وأن تضحيات أهلنا فى فلسطين والعراق وأفغاستان لن تذهب سدى، كما لم تذهب تضحيات الجماعة المسلمة الأولى وقائدها محمد ﷺ هباءً، غير أننا نخاطب جماهير أمتنا فى ذكرى الهجرة والنصرة: أين نصرتكم لإخوانكم المجاهدين، أيها المؤمنون ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ كما كان أسلافكم، ولا سبيل لعزتكم غير ذلك السبيل، إن أهلنا فى هذه الأقطار الإسلامية الممتحنة فى حاجة لكل نصرة وتأييد وبذل وعون، إن أكثر

من مليار ونصف من المسلمين قادرون بإذن الله – حين يخلصون نياتهم وينصرون إخوانهم – على أن يُغيِّروا واقعهم بأيديهم، ويفرضوا على أعدائهم احترام كلمتهم ودينهم وأوطانهم.

أفلا تتحرك ضمائرنا ونحن نرى أمة الهجرة والنصرة تفرط فى رصيد إمكاناتها بينما نرى فى دولة الصهاينة معانى الهجرة من أجل الباطل، والنصرة له، فالآن اليهود يهاجرون إلى أرضنا المغتصبة، وبعضهم يضحى بالفعل بوضع مادى متميز عنده ليجد النصرة والمأوى والعون على باطله وظلمه بين ظهرانى من سبقه من الغاصبين فى وطننا السليب.. ولم تتكسر حلقات ذلك التظاهر على الإثم والعدوان إلا بجهاد أهلنا فى فلسطين الذين أثبتوا للعالم كله أن لديهم وطنًا يستحق الفداء، وليس كلأً مباحًا لقطعان الغزاة.. فقلت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بل زادت معدلات النزوح العكسى إلى خارجها ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أيها الأخوة الأحباب:

ومع مطلع عام هجرى جديد نكرر تهنئتكم بالعام الهجرى الجديد، ولنتذاكر معًا أنها فرصة لمحاسبة النفس على عام مضى، وعقد العزم على مواصلة السعى إلى الله فى العام الجديد، ولله الأمر من قبل ومن بعد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حصاد عام هجرى وقفات وتأملات

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى:
٧ من محرم ١٤٢٥هـ
٢٧ من فبراير ٢٠٠٤م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.

مع انصرام عام هجرى (١٤٢٤) وبداية عام جديد يجدر بنا أن نقف لنتأمل فى أهم أحداث ذلك العام الذى ودعنا منذ أيام، فهكذا يجب أن يكون المؤمن حيث أمر الله تعالى موسى - عليه السلام - ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [ابراهيم: ٥] وأمرنا الله تعالى عقب الحوادث الهامة والعظيمة بالاعتبار فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

ونحن لا نقف لنبكى على حالنا وحال المسلمين، أو لنتحسر فقط على ما فاتنا، ولكننا نتأمل الأحداث لنأخذ منها العبرة والعظة ولنعزم على تغيير حالنا إلى ما هو أفضل ولنتذكر مواقفنا فيها، فما وجدنا من خير حمدنا الله على توفيقه لنا، وإن وجدنا غير ذلك صححنا أوضاعنا وأعدنا النظر لعل الله يلهمنا الرشد والصواب ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

لقد كان العام المنصرم مليئًا بالوقائع والأحداث على كل المستويات - عربيًا وإسلاميًا ودوليًا -، ولم نستطع أن نحصيها عددًا أو نقف أمامها جميعًا ويكفينا هنا أن نستعرض أهم الأحداث.

المبادرات الأجنبية:

لم يكد العام أن ينقضى إلا وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية نواياها تجاه المنطقة العربية فى إطار مشروعها الإمبراطورى الجديد وقدمت مبادرة جديدة حول «الشرق الأوسط الكبير» وقد جاءت فى سياق مبادرات عديدة تقدمها أطراف مختلفة داخل الإدارة الأمريكية ومن أوروبا، وسط عجز عربى رسمى وحصار للقوى الشعبية الحية فى الأمة وكما يقول الشاعر:

ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

ومن الواضح أن أمريكا لا تريد إلا التمكين للكيان الصهيونى المغتصب لأرض فلسطين وسط تنامى الرفض الشعبى لهذا الكيان العنصرى، وتريد أيضًا السيطرة على ثروات وأسواق المنطقة وفى مقدمتها النفط، كما تريد حصار التيار الإسلامى المقاوم والرافض لسياستها فى المنطقة عبر تغيير المناهج التعليمية، وتحديث الخطاب الدينى والتدخل فى المعاهد والجامعات الإسلامية إلى الحد الذى وصل لمحاولة إلغاء مادة التربية الدينية، وإحلال مادة دخيلة باسم «الأخلاق» وكأن تدريس الدين الإسلامى أو المسيحى لا يتضمن ولا يكفى لبناء أخلاقى متين، والسؤال: من أين ستستمد أخلاق أمريكا جذورها؟ أمن دين جديد؟ أم من أخلاق الكاوبوى الأمريكى التى أحالت العالم كله اليوم إلى ساحة حروب متصلة؟

إن الحاجة إلى الإصلاح والتغيير قائمة فى بلادنا منذ عقود وإن غياب الحريات الأساسية بسبب استبداد الحكام والذين تدعمهم أمريكا هو الذى أدى إلى الفشل المتوالى على كافة الأصعدة، وإننا قادرون عبر التلاقى الوطنى العام والتلاحم العربى والتضامن الإسلامى على بناء نهضة فتية تعيد للعرب والمسلمين مكانتهم المفقودة منذ قرون، والبداية هى إطلاق

الحريات، وعلى أمريكا أن توفر مبادراتها ويكفينا منها أن ترفع يدها عن المنطقة وأن تتوقف عن دعم الاستبداد وعن رعاية الكيان الصهيونى وإلا فإنها ستخوض حروبًا خاسرة ضد الشعوب التى تتسلح بعقيدتها وإيمانها.

احتلال العراق:

من أبرز أحداث هذا العام احتلال العراق بسهولة وبمساعدة عربية مباشرة أو غير مباشرة وهو الذى شجع الإدارة الأمريكية على تصور سهولة التغيير واستسلام بقية الأنظمة العربية كما حدث مع ليبيا، لكن الذى فاجأ الأمريكيين هو انتفاض الشعب العراقى للمقاومة المسلحة ورفض كل الشعب العراقى للاحتلال وإصرارهم على جلاء القوات المحتلة.

إن المقاومة ضد الاحتلال حق مشروع لكل الشعوب، وإن العام الذى بدأ منذ أيام سيشهد - إن شاء الله تعالى - تصاعد المقاومة العراقية وتميزها عن عمليات العنف العشوائية التى لا يعرف أحد من وراءها، ولا شك أن هذه المقاومة ستتبنى برنامجًا للمستقبل وسيخوضها الشعب العراقى الذى يعانى جراء الاحتلال وفشل الإدارة المدنية للاحتلال فى توفير الأمن والاستقرار وغياب الحاجيات الأساسية للحد الأدنى من المعيشة، وسينضم اليائسون من الحلول السلمية مع الاحتلال إلى صفوف المقاومة كما حدث فى فلسطين السليبة.

فلسطين الصامدة:

إن جرح فلسطين الذى ما زال ينزف واشتد نزفه خلال العام الماضى خاصة مع انكشاف رؤية بوش - شارون على أرض الواقع والتى بددت سحب الدخان التى أطلقتها تصريحاته التى أراد بها تخدير الحكام العرب وخداع الشعب الفلسطينى حول «دولة فلسطين»

على الأرض كان بناء جدار العزل العنصرى الذى ابتلع قرابة نصف أراضى الضفة الغربية أكبر دليل على فشل المشروع الصهيونى، الذى أراد الهيمنة والسيطرة على الأرض والسكان والثروات وأراد الامتداد خارج حدود فلسطين إلى النيل والفرات، فإذا به يحيط نفسه بجدار عازل خوفًا من اشتداد هجمات المقاومة ويبنى «جيتو» جديد أو حارة يهود واسعة ولا شك أن إصرار الشعب الفلسطينى الأعزل على استمرار نهج المقاومة هو الذى سيحطم هذا الجدار - كما تحطم جدار برلين من قبل - وسينهار مع انهياره المشروع الصهيونى كما انهارت الفكرة الشيوعية والمعسكر السوفيتى بانهيار جدار برلين.

علينا أن ندعم جهاد الشعب الفلسطينى البطل وأن نفك الحصار الذى فرضته أمريكا والحكومات العربية على العمل الخيرى والإغاثى، فضلاً عن العمل الجهادى خلال العام الماضى وأن نعمل بكل قوة على وصول الغذاء والدواء وكل صور الدعم إلى المرابطين على أرض فلسطين.

لقد نجح الشعب الفلسطينى فى الالتفاف بكل فصائله - إسلامية ووطنية - وبكل اتجاهاته الفكرية - داخل السلطة وخارجها - حول نهج المقاومة، وأفلت بفضل الله، ثم بجهود المخلصين من خطر الفتنة الداخلية والاقتتال الأهلى، وهذه خطوة طيبة، وها هو اليوم يحقق أولى بشائر الأمل فى إعلان العدو عن نيته الانسحاب من قطاع غزة، ويقيننا أن الشعب الفلسطينى سيوظف هذا الانسحاب الذى جاء تحت اشتداد وطأة المقاومة والانتفاضة لتمتين وحدته الوطنية، ولترسيخ نهج المقاومة حتى تمام الجلاء عن كامل الضفة الغربية وبذلك يمكن تحقيق المرحلة الأولى من الاستقلال بإقامة دولة فلسطينية بسواعد المقاومة، ليس بمنحة أمريكية، دولة قادرة على تحقيق أمانى الفلسطينيين فى استكمال حق تقرير المصير، وجمع

الشتات الفلسطينى ورفع راية الحرية وحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية وفى مقدمتها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة.

الحصار على العالم الإسلامى:

شهد هذا العام اشتداد الحصار العلمى والتقنى المفروض على أمة الإسلام وحرمان المسلمين من الالتحاق بركب التقدم عبر تهديد إيران لتوقف برنامجها النووى السلمى، وإرهاب باكستان وتهديدها واتهامها ببيع التكنولوجيا النووية وإجبار ليبيا على تفكيك برنامجها البدائى، وحرمان مئات الطلاب العرب والمسلمين فى أمريكا من الالتحاق بدراسات العلوم المتقدمة.

كما اشتد الحصار على العمل الخيرى فى أمريكا وأوربا ومطاردة العمل الإغاثى فى كل بلاد الدنيا، بما فيها بلاد العالم الإسلامى.

وفى الوقت الذى تتدفق فيه المعونات والمنح على العدو الصهيونى وعلى الجماعات التبشيرية وعلى الجماعات العرقية الإثنية، يحاصر فيه المسلمون ويمنعون من أداء فريضة من فرائض دينهم وهى الركن الثانى من الإسلام «الزكاة» كما تمنع الفتيات المسلمات من حقهن الطبيعى وحرمانهن من الالتزام بأوامر ربهم بارتداء الحجاب فى المدارس الحكومية الفرنسية، أهى حرب على فروض الإسلام؟! أم هى بداية الحرب على القرآن الذى هو دستور المسلمين كما أعلن ذلك مسئول أمريكى مؤخرًا؟!.

ونحن على ثقة أن ملايين المسلمين لن يزيدهم ذلك إلا تمسكًا بدينهم والتفافًا حول قرآنهم وتطبيقًا لشعائر إسلامهم، ليس تحديًا لأحد، بل خضوعًا لأمر الله تعالى.

وفى مقدمة أوامر الله لنا أن نأخذ بأسباب القوة جميعًا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

﴿اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ومع اقتناعنا أن أسلحة الدمار الشامل مما حرّمه الله لأنها لا تفرق بين محارب وغير محارب، ولا تميز بين مذنب وبرئ، وأنما تزهق آلاف الأرواح، إلا أن الذى بدأ السباق النووى فى العالم هى أمريكا والذى استخدم السلاح النووى هى أمريكا، وأن العالم اليوم وصل إلى حال من الردع المتبادل، والتوازن النووى باستثناء المنطقة العربية التى يترس فيها العدو الصهيونى بأكثر من ٢٠٠ رأس نووى بينما تقف كل الدول العربية عاجزة ومكشوفة أمام ذلك التهديد الخطير، ولا تستجيب أمريكا للدعوات المتكررة لنزع السلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل من المنطقة كلها، وإزاء ذلك التهديد لا تملك الشعوب العربية إلا السعى لتحقيق التوازن فى القوى والردع المتبادل، وهذا ما مارسته كل دول العالم بدءًا بالاتحاد السوفيتى مرورًا بالصين والهند وانتهاء بباكستان ولن تكون الأخيرة.

لقد شهد العام الماضى نهاية لبعض الطغاة مثل صدام حسين وإدوارد شفرنادزة وعند المقارنة نجد أن الأول: زال حكمه بغزو عسكرى وأدى ذلك إلى احتلال بلاد الرافدين، أما الثانى فقد أطاحت به ثورة شعبية وبأيادى وطنية، وأدى ذلك إلى بداية جديدة حيث تمت انتخابات حرة تولى بها رئيس جديد الحكم، فيا للمفارقة، ويا للعجب.

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

ونحن على يقين أن الأمة العربية والإسلامية التى يدين غالبية سكانها بالإسلام واستظل كلهم بحضارته الوارفة، التى تعلى من شأن الحرية «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا» والتى تقرر من أصول الحكم الشورى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قادرة على إدارة مجتمعاتها

بكفاءة واقتدار بعيدًا عن المخططات الأجنبية التى لا تريد بها خيرًا.

موجة العنف الأخيرة

ولقد شهدت بلاد إسلامية عديدة موجة من عمليات العنف التى استهدفت أمن واستقرار هذه البلدان فى «بالى» بإندونيسيا و«الرياض» بالمملكة العربية السعودية و«استانبول» بتركيا، و«الدار البيضاء» فى المملكة المغربية، موجة تشير الشكوك فى توقيت مريب، توقفت بعد ذلك باستثناء مطاردات فى السعودية، وكأنها جاءت لإرهاب الحكومات لتنضم إلى الحرب الأمريكية العالمية على ما تسميه الإرهاب الذى لم تجد له تعريفًا حتى اليوم، وهى لا تستهدف إلا الإسلام المقاوم والمعارض لسياستها وهمينتها.

لقد أدان الإخوان جميع تلك الأحداث وقتها، وأكدوا تمسكهم بنهجهم الإصلاحى السلمى المتدرج، وحذروا الشباب المسلم من الانسياق لمغامرات طائشة وطالبوه بالاستفادة من التجارب الفاشلة السابقة، كما أعلنوا أن هذه النزعة العنيفة لن تتوقف ولن يتم علاجها إلا بعلاج جذورها، وأن فى الالتزام بالإسلام الصحيح الكفاية والعون على منع وتقليل آثار هذه الأحداث.

الأحباب الذين رحلوا

لا نستطيع أن نختم هذه الوقفة مع العام المنصرم إلا بالترحم على الذين فارقونا وفى مقدمتهم ضحايا الزلازل العنيفة التى ضربت عددًا من البلاد الإسلامية خاصة فى «بم» بإيران، عشرات الآلاف فى غمضة عين، دليل على قدرة الله القاهر فوق عباده، وذكرى لنا أن نستحضر دائمًا نية الطاعة والجهاد فى سبيل الله.

كما نتذكر الأحباب الذين رحلوا عن دنيانا وفى مقدمتهم مرشدنا المستشار محمد المأمون الهضيبى، وإخواننا حسن جودة، وعبدالمنعم سليم جبارة، وعز العرب فؤاد وغيرهم كثير، نسأل الله لهم الرحمة والمغفرة والرضوان، كما ندعوه تعالى ألا يحرمنا أجرهم، ولا يفتنا بعدهم، وأن يغفر لنا ولهم. عام مضى بكل أحداثه، لنا فيها العبرة والدروس، وعام بدأ نسأل الله فيه التوفيق والسداد.

﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

***

مشروع الشرق الأوسط الكبير ورؤيتنا للإصلاح

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
١٣ من المحرم ١٤٢٥هـ
٣ من مارس ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

انتهزت الإدارة الأمريكية فرصة وقوع حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وما واكبه من فجيعة وحزن داخل المجتمع الأمريكى، وذهول واضطراب على المستوى الدولى، وانطلقت فى توظيف الحدث لتنفيذ مخططاتها - المعدة سلفا - والرامية إلى السيطرة والهيمنة على العالم، وإخضاعه لتوجهاتها، وإقامة الإمبراطورية الأمريكية وتعزيز مكانتها كقطب أوحد لا ينازعها فيه أحد، وفى سرعة تحسد عليها - وعبر صيحات التهديد والوعيد - أعلنت الإدارة الأمريكية بداية حرب «صليبية» جديدة ضد من أسمتهم بالإرهابيين، وأنها غير مهتمة بتقديم من قاموا بحادث ١١ سبتمبر إلى العدالة، وإنما هى تريد إقامة حرب لا هوادة فيها مع الإرهاب وتتبعه فى كل مكان لاستئصال شأفته واجتثاثه من جذوره، وأنها لا ولن تتوانى فى إيقاع أقصى العقوبة - ولو حربًا - ضد من يساعد الإرهاب أو يؤيه.

واختارت الإدارة الأمريكية أفغانستان لتبدأ حملتها ضد الإرهاب (المزعوم) فقامت بغزوها، واحتلالها، وأقامت فيها حكومة موالية لها، وزرعت فى المناطق المجاورة لها قواعد عسكرية دائمة على مقربة من إيران والصين والهند ودول القوقاز (حيث احتياطى النفط الكبير).

وكانت العراق – حيث أكبر احتياطى نفط فى العالم – هى المحطة التالية.. فغزتها واحتلتها وأقامت بها هى الأخرى قواعد عسكرية تتحكم من خلالها فى منطقة الشرق العربى والإسلامى وتعزز من تواجدها العسكرى فى الخليج، وتؤمّن دولة الكيان الصهيونى فى مواجهة إيران وسوريا، ومصر أيضًا.. وقد تم ذلك دون إرادة المجتمع الدولى كله، وأعادت الإدارة الأمريكية العالم بذلك إلى شريعة الغاب وأن القوى هو الذى يحكم وهو الذى يفرض إرادته وقوانينه.

وإزاء تلك الأحداث الجسام كان موقف الحكومات والأنظمة العربية غريبًا وعجيبًا، متراجعًا وسلبيًا، فالتهديد الأمريكى بتصدير النموذج العراقى إلى كافة الأنظمة العربية أصابها بالخوف والفزع، وبدلاً من اللجوء إلى الشعوب، والتصالح معها ومعاملتها بما يتناسب ومكانتها وقدرها، إذ بها تدير ظهورها لها، بل ويسعى بعضها إلى استجلاب رضاء الإدارة الأمريكية، أو غض الطرف عما فعلت (وتفعل) اتقاءً لشرها والهروب من بطشها.

وفى الوقت ذاته كان شارون وآلته العسكرية الباطشة تقوم – وبدعم كامل من الإدارة الأمريكية – بعملياته الإجرامية ومجازره الوحشية ضد شعب فلسطين فى محاولة منه لقمع وإنهاء المقاومة الباسلة وكسر إرادة الشعب الفلسطينى البطل.

المقاومة تشتد:

وعلى غير ما توقع المحتل الغاصب اشتد ساعد المقاومة فى أفغانستان والعراق، وبدأت الإدارة الأمريكية تشعر بالقلق من خلال قتلاها الذين يتوافدون عليها يوميًا، وأنها غير قادرة – رغم أعمال القمع والاعتقال – على إيقاف المقاومة أو الحد منها، ومما زاد من القلق أن الرئيس بوش مقدم فى نهاية

هذا العام على انتخابات الفترة الثانية له، وهو ما يمثل توقيتًا حرجًا، خاصة وأن أعداءه الديمقراطيون بدأوا فى تأليب المجتمع الأمريكى عليه من خلال إثارة شبح حرب فيتنام وما لقيه الأمريكيون هناك.

أيضًا أدت أعمال المقاومة الفلسطينية فى الأرض المحتلة إلى تكبيد العدو الصهيونى خسائر فى الأرواح، وتراجع فى الاقتصاد، واهتزاز فى النظرية الأمنية له، والهجرة العكسية، فضلاً عن فشل مشروعه الذى راهن عليه.

وقد واكب الأعمال العسكرية الباطشة بالنسبة لأفغانستان والعراق وفلسطين، سياسات وإجراءات أخرى تجاه بقية الدول العربية والإسلامية فى شكل تدخل سافر من الإدارة الأمريكية إغلاق المدارس الدينية، وتطوير المناهج الإسلامية، وتغيير الخطاب الدينى والثقافى بما يتلاءم مع المصالح الأمريكية، وبما يقضى -حسب زعمهم- على المناخ الذى يعمل على تفريخ الإرهاب.. وللأسف تجاوبت حكومات وأنظمة الدول العربية والإسلامية لهذه المطالب التى تعد بحق انتقاصًا لسيادتها وإساءة لكرامتها.

لكن الشعوب العربية والإسلامية كان لها موقف آخر، فقد أعلنت رفضها الكامل عبر المسيرات الضخمة والمؤتمرات الحاشدة لكلا المشروعين: الأمريكى، والصهيونى ولم تزدها أعمال القمع الأمريكى والصهيونى إلا كراهية وازدراءً لها وتعاطفًا كاملا مع المقاومة.

مشروع الشرق الأوسط الكبير:

وفى إطار البحث عن طريقة لفرض الوصاية أو العودة لعهود الانتداب من جديد بشكل كامل وشامل، تفتق ذهن الإدارة الأمريكية عن مبادرة قديمة جديدة أطلق عليها مشروع الشرق الأوسط الكبير، والذى يعتبر الكيان الصهيونى أحد ركائزه الأساسية، وقد اتخذت الإدارة الأمريكية مسألة الاستبداد والطغيان وسحق الكرامة الإنسانية للمواطنين فى العالم العربى

والإسلامى، والعصف بحقوقهم القانونية وحرياتهم العامة، وشيوع الفساد والتخلف الحضارى، وانتشار الفقر، وقلة الإنجازات فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية وما أدت إليه من أزمات ومشكلات فى التعليم والصحة والإسكان والبطالة... إلخ، نقول اتخذت هذا كله مبررًا لإطلاق هذه المبادرة التى تضمنت محاور ثلاثة رئيسية هى: **تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح، بناء مجتمع معرفى، وتوسيع الفرص الاقتصادية**، ونسيت – أو تناست – الإدارة الأمريكية أنها الداعمة القوية لكل صنوف الديكتاتورية والاستبداد، وأنها تخطط دائما لبقاء الدول العربية والإسلامية فى عزلة عن العلم والتقدم، وأنها تستغل الظروف الاقتصادية المتردية للدول لمزيد من التبعية لها والدوران فى فلكها.

وقد تم توزيع هذه المبادرة على الدول الصناعية الثمانى، بهدف إضافة بعد دولى لها، لإسقاط الحساسية والشكوك التى تكونت لدى الشعوب العربية والإسلامية تجاه الإدارة الأمريكية من جانب، ولتوسيع وإشراك أكبر قدر من القوى الدولية فى خط مواجهة واحد ضد الإرهاب المزعوم من جانب ثان، ولإحكام الحصار على الدول العربية والإسلامية من جانب ثالث فلا تجد مناصًا من قبول المبادرة والإذعان لها، وسوف تتخذ الدول الصناعية الثمانى فى يونيو المقبل موقفًا موحدًا – من حيث الإشراف والتنفيذ – إزاء هذه المبادرة على أساس أن المنطقة العربية والإسلامية – بوضعها وتكوينها الحالى – تمثل مصدر خطر عليهم، وبالتالى من حقهم التدخل فيها لإعادة صياغتها وتشكيلها – نظمًا ومجتمعات – للقضاء على هذا الخطر الذى يتهددهم.. ومن نافلة القول: التذكير أن هذه المبادرة يجب ألا تشغلنا وتصرف أنظارنا عما يجرى فى فلسطين، والعراق، وأفغانستان.

موقفنا من المبادرة:

إن مسألة التحديث والإصلاح على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى لابد وأن تنبع من داخل الشعوب العربية والإسلامية.. أولا: حتى تكون متسقة ومتوافقة مع هوية الأمة وخصوصيتها الثقافية وميراثها

الحضارى، وثانيا: لضمان ديمومتها واستمرارها، وثالثا: كى نـدرأ عـن أنفسـنا مغبة التدخل والوصاية وفرض قيم تهدد أمننا واستقرارنا.

ومـن الواضـح أن الإدارة الأمريكيـة ماضـية فـى طريقهـا فـى التـدخل والوصاية، وهو ما يستلزم وقفة جادة من الأنظمة الحاكمة، ومؤسسات المجتمع المدنى والأحزاب والقوى السياسية والشعوب، فالأمر جد لا هزل فيه، وإذا لم نأخذ بزمام المبادأة ونسارع بإجراءات إصلاح حقيقية، ومواجهـة مـا يحـدث – وما سوف يحدث – بروح التحدى والإصرار والمقاومة فسوف يجرفنا الطوفان، والواقع أنه لم يعد هناك خيار، فهذه مرحلة فاصـلة فـى تـاريخ أمتنـا، ولم يعـد هناك وقت للمناورة أو المراوغة، أو استجلاب رضا الإدارة الأمريكية، فإما أن نكون أو لا نكون، وإذا كانت الإدارة الأمريكية تهدد أو تلوح بضـرب بعـض الأنظمة أو فرض عقوبات عليها – دون خجل أو حياء – فإن على الأنظمة أن تحسم أمرها بالانحياز إلى الشعوب والتصالح معها، فهى الملجـأ والمـلاذ، وهـى صمام الأمن والاستقرار، وهى القادرة – بفضـل الله وبمـا لـديها مـن طاقـات وإمكانات – على الخروج من المأزق ومواجهة التحديات.

لذلك نقول: لا مناص من إصلاح سياسى كامل وشامل.. من ديمقراطيـة حقيقية (بمفهومها الإسلامى) تنبع من الشعوب ذاتهـا، وبقناعـة مـن الأنظمـة الحاكمة فى أحقية هذه الشعوب فى أن تعامل المعاملة الكريمة اللائقة بها، فقـد آن لأمتنا أن تتبوأ مكانتها بين الأمم ولكى تتحقق فيها الخيرية التى تحدث عنها القـرآن ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُـمْ مِـنْهُمُ الْمُؤْمِنُـونَ وَأَكْثَـرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] وكفى ما تعانيه هذه الأمة من تخلـف وأزمـات متعددة وإخفاقات فى ميادين شتى.

ويسعى الإخوان إلى قيام نظـام سياسـى يضـمن تحقيـق مبـدأ التكـريم الإلهـى للإنسان، ويحفظ حقوقه وحرياته، ويوجه الجهود لبناء مؤسسات الحكم بما يحقق لهـا

الاستقامة والفاعلية، كما يضمن النزاهة والحرية لعمليات انتخاب الحاكمين وحسن مراقبتهم خلال الفترة الموقوتة لحكمهم اعتمادًا على أسس دستورية تضبط مسار الحكم وتضمن سلامته وإحكام إدارته وتداول سلطته وانتقالها بصورة سلمية.

وأما ما يخص الإصلاح الاقتصادى فإن من المعلوم أن المال هو (عصب الحياة) وأن الاقتصاد ركن أساسى من أركان الدولة، ومن الصعوبة بمكان أن يقوم الاقتصاد بدوره الفعال فى النهضة والتنمية الشاملة فى ظل نظريات اقتصادية غريبة عن المجتمع وهويته وثقافته، وعليه، فلابد من برنامج منطلق من مبادئ الإسلام وقيمه، يعبئ طاقات الشعب الروحية وقواه الاجتماعية، ويتبنى سياسات اقتصادية جادة وجريئة تعتمد الواقعية، وتحقق التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، وبين الاستثمار والادخار، وبين الصادرات والواردات، وتأخذ فى الحسبان مرحلة التطور الاجتماعى والاقتصادى، والإمكانات المتاحة للمجتمع من أجل التغيير المنشود وتحقيق السلام الاجتماعى والرفاه الاقتصادى، والاستقرار السياسى، ولا شك أن التكامل الاقتصادى بين مصر والدول العربية والإسلامية يعتبر أحد الأسباب المهمة فى نهضة الأمة ورقيها.

ويقوم الإصلاح الاجتماعى على تحقيق الربانية والتدين فى المجتمع، والحفاظ على الآداب العامة وتعزيز مؤسسات النظام الاجتماعى، ورعاية الأسرة (المرأة والشباب والطفولة)، ومحاربة الجرائم والفساد، وإحياء نظام الحسبة، وإقامة العدل الاجتماعى وتوفير العمل والكسب، وإصلاح التربية والتعليم، والعناية بالصحة العامة، وتوجيه الإعلام والفن، وتنظيم السياحة والاصطياف (حول أساسيات المشروع الإسلامى لنهضة الأمة) هذه إشارات مجملة سوف يتبعها تفصيل بإذن الله، والله الموفق والمستعان على ما فيه خير الإسلام والمسلمين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.. وهو الهادى إلى سواء السبيل؛

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

مؤتمر القمة العربية والتحدى الخطير أمام العرب والمسلمين

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٢١ من المحرم ١٤٢٥هـ
١٢ من مارس ٢٠٠٤م

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ - سيدنا ونبينا محمد - وعلى آله وصحبه وسلم..

منذ زمن - ليس بالقليل - كشفت أمريكا النقاب عن مشروعها الذى يهدف إلى الهيمنة على الأمة العربية والإسلامية، وسلخها من هويتها وتوهين عقيدتها، وإفساد أخلاقها، وإبعادها عن خصوصيتها الثقافية وسلب خيراتها وثرواتها وتهديد أمنها واستقرارها، وتفتيتها ورسم خريطتها من جديد.

وتحت زعم مكافحة الإرهاب والتبشير بالديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، قامت الإدارة الأمريكية باحتلال أفغانستان والعراق، فضلاً عن دعمها الكامل للعدو الصهيونى الذى يقوم بأعمال التصفية والإبادة، والمجازر الوحشية فى حق الشعب الفلسطينى، فى الوقت الذى وقفت فيه الحكومات والأنظمة العربية عاجزة مشلولة عن فعل أو تقديم أى شئ.

ولقد اقتضت سنة التدافع بين الحق والباطل،

والصراع بين الخير والشر، أن يكون للمؤمنين أعداء يتربصون بهم ويكيدون لهم على مدار التاريخ، لكن العاقبة دائمًا وأبدًا كانت - وسوف تكون - لجند الله وأوليائه وحزبه، شريطة أن يقوموا بواجبهم تجاه إسلامهم وأوطانهم ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وها هى الإدارة الأمريكية تعلن فى صراحة ووضوح - خاصة بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م - أنها لن تسمح لأى جهة بتحدى أو منازعة تفوقها العسكرى على المستوى العالمى، وأنها سوف تستخدم قواتها المسلحة فى هدم كل النظم التى لا تذعن لإرادتها ومطالبها، وإمكاناتها الاقتصادية وقواها «الناعمة» فى أمركة المجتمعات، وأنها لن تتردد فى التصرف بشكل منفرد فى ردع الذين يكرهون أمريكا، فمن لم يكن مع أمريكا فهو ضدها... ونحن بدورنا كإخوان مسلمين نعلن رفضنا الكامل وإدانتنا لهذا الطغيان وهذه الغطرسة، ونرفض أن تعود الإدارة الأمريكية بالعالم إلى شريعة الغاب، ونطالب الشعوب العربية والإسلامية كذلك أن تعلن تمسكها بدينها وإسلامها وهويتها واحتجاجها ضد من يريد استباحة حرماتها ومقدساتها.

ما يحدث فى العراق:

إن المتتبع لما يجرى فى العراق الآن يدرك بما لا يدع مجالا لشك أن هناك أصابع أمريكية خبيثة تحاول أن تغرق العراق فى بحار من الدماء من خلال الدس والوقيعة وإيقاد الفتن والعزف على أوتار المذهبية والعرقية بين السنة والشيعة، وذلك بهدف التخفيف من حدة المقاومة التى تلقاها، والتى يشتد ساعدها يوما بعد يوم، والتى أصبحت تشكل

هاجسًا وقلقًا لدى الإدارة الأمريكية، خاصة وأن انتخابات الرئاسة أصبحت على الأبواب، وأيضًا لإيجاد مبرر لوجود الاحتلال واستمراره فى أرض العراق.

لقد عمل الإمام البنا على التقريب بين السنة والشيعة، وكان هذا السعى يقوم على حصر الجوانب المتفق عليها - وهى كثيرة - فالجميع يعبد ربًا واحدًا، ويصلى إلى قبلة واحدة، ويؤمن بالقرآن ويتبع سيد الخلق ﷺ، وكانت القاعدة التى تطبق دائمًا «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»... هذه القاعدة الذهبية يمليها الواقع وتحتمها ظروفه وضروراته، فحاجة الأمة الإسلامية إلى التقارب والتلاحم فى مواجهة أعدائهم أقرب وأشد ما تكون الآن عنها فى أى وقت مضى.. إن أعداءنا وخصومنا قد اتفقوا واتحدوا على مواجهة المسلمين، وحين نرى تعاون الصهيونية والصليبية الغربية والوثنية الشرقية لابد لنا أن ندعو أهل القبلة الذين التقوا على الإسلام، ليقفوا صفًا واحدًا، فى وجه هذا الطوفان الذى يسعى من خلال المراوغة والكذب، والسلاح والذهب، وصناعة الفتن إلى تهديد أمننا وزعزعة استقرارنا... إن الذى حدث فى كربلاء كان فتنة مدبرة لتفريق الأمة وشق صفها... لذا نهيب بالعلماء ورجال الفكر والثقافة أن يذكّروا الشعوب كيف حضّ الإسلام العظيم على الوحدة والترابط بين المسلمين وجعلها فرضًا من فرائضه... وليتذكروا موقف النبى ﷺ إزاء الفتنة التى أراد بعض يهود أن يبثوها بين الأوس والخزرج، للقضاء على الدولة الوليدة فى المدينة، والتى نزل فيها قرآن يتلى إلى قيام الساعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ

آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ، ١٠١].

إن حقيقة الحرب التى يعلنها الصهاينة وأمريكا والغرب - أمس واليوم، فى كل أرض - ضد الإسلام والمسلمين، هى من أجل عقيدة التوحيد، وهذه المعركة يرفعون لها أعلامًا شتى، للتغطية والتمويه على هدفها الحقيقى... فقد جربوا خلال التاريخ، مدى حماس وتماسك المسلمين واعتزازهم بدينهم وعقيدتهم ومقدساتهم، فكل جولة واجهوا فيها المسلمين، تحت راية العقيدة، هُزموا شر هزيمة، ولذلك فهم اليوم يخفون حقيقة المعركة ويعلنون الحرب، باسم مكافحة الإرهاب حينًا، وأسلحة الدمار الشامل أحيانًا أخرى، وألقوا فى ذهن وخيال البسطاء أن موضوع العقيدة قد أصبح موضوعًا قديمًا، لا معنى له، ولا يصح رفع رايتها، وخوض معارك باسمها، لأن هذا شأن المتخلفين والمنغلقين والمتعصبين!! وكل ذلك ليأمنوا انطلاق العقيدة من جديد، ووقوف أصحابها أمام أطماعهم ورغباتهم وإجرامهم وإفسادهم فى الأرض.

إنهم فى قرارة أنفسهم يخوضون المعركة لتدمير وتحطيم هذه الصخرة الصلبة التى استعصت عليهم طويلاً، فكسرت رءوسهم فى الحروب الصليبية، وفى حروب التتار، وفى معركة حطين، واليرموك، وغيرها على مدار التاريخ.

مؤتمر القمة العربى:

وفى ظل المنعطف التاريخى الصعب الذى تمر به الأمة، نأمل أن يعمل الزعماء والملوك والرؤساء العرب فى مؤتمرهم القادم - بعد أيام - على تبديد سحب الخلاف بينهم، وأن يجتمعوا على كلمة واحدة فيها

صلاح أمتهم وفلاحها، فالتحديات التى تواجهها الأمة شرسة وضارية، ومحاولة التدخل وفرض الوصاية على الأمة العربية والإسلامية أصبحت على الأبواب، وهو ما يفرض عليهم وحدة الصف، ومحاولة اتخاذ إجراءات حاسمة نحو الإصلاح الداخلى، ومد يد العون والمساعدة لقضايا الأمة وعلى رأسها فلسطين والعراق.

ويهمنا فى هذه الرسالة أن نتوجه إليهم بما يلى:

١. إن الإسلام كعقيدة وشريعة وأخلاق وآداب وسلوك هو مصدر قوتنا وعزتنا، وبقدر العودة إليه والالتزام بأحكامه بقدر ما سوف نكون قادرين على الوقوف فى مواجهة التحديات من جانب والنهوض بالأمة من جانب آخر.

٢. إن الحريات العامة، والمحافظة على حقوق الإنسان، ونشر قيم العدل هى السبيل إلى إقامة أمة قوية ناهضة.

٣. ضرورة تعديل ميثاق الجامعة العربية بما يجعلها تقوم بدورها تجاه قضايا الأمة العربية بشكل أكثر تأثيرًا وفاعلية.

٤. إن التكامل الاقتصادى والعلمى والتقنى على مستوى الأمة العربية والإسلامية مطالب ضرورية وحيوية للأمة، وهى واجب يفرضه الإسلام فى مواجهة الكيانات الكبيرة فضلاً عن مواجهة الأخطار التى تحيط بها.

٥. إن الكيان الصهيونى يحاول الآن – وبدعم من الإدارة الأمريكية – ابتلاع ما تبقى من فلسطين، وهو ما يجب أن نقف جميعًا دونه بكل الوسائل والإمكانات المتاحة.

٦. لابد من إعداد الأمة كلها للجهاد الشامل في سبيل الله، وفي سبيل المحافظة على الأوطان... إن وقوفنا تحت راية الإسلام قوة وعزة للمؤمنين، والأمة اليوم وغدًا تتطلع إلى من يقودها باسم الله، ويضع أقدامها على الصراط المستقيم.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

الإسلام طوق النجاة للاستقرار والأمن فى العالم

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٢٨ من المحرم ١٤٢٥هـ
١٩ من مارس ٢٠٠٤م

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا وزعيمنا وقائدنا ومعلمنا محمد ﷺ.. خير من دعا إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة..

يعيش العالم الآن وسط أجواء مضطربة وأمواج عالية هادرة حيث كثرت المؤامرات والفتن وتعددت صور الظلم والطغيان وكشر الإنسان عن أنيابه لأخيه الإنسان، وبات الناس فى قلق وحيرة وسالت الدماء فى كل مكان وأهدرت كرامة الإنسان الذى كرَّمه الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠]، وتظالم الناس وقد نهاهم الله عن ذلك «يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا»، وتصارع الناس على المادة فطغى الأغنياء على الفقراء وأصبح المال دُوْلَةً بين الأغنياء، واعتدى الأقوياء على الضعفاء وغزت ثقافة القوى واجتاحت عقول الجهلاء.

فغلفت الأرض سحابة قاتمة مقلقة ولفها ضباب

كريه، وحملت وتحملت الصهيونية والإدارة الأمريكية أكبر قدر من المسئولية حيال هذه الحالة الغريبة على دنيا الناس، فالصهيونية بعنصريتها وكرهها للإنسان - عموم الإنسان - والأمريكية بغرورها وانقيادها لحركة الصهاينة تعاونا على الإثم والعدوان، وخلال قرن من الزمان نشبت بسبب ذلك حروب عالمية وصراعات إقليمية وقومية، ونشأت فى مواجهة ذلك حركات للمقاومة والتحرر، وكانت جولة خسر فيها الكل بشرًا ومالاً وعرضًا وكرامة وإنسانية وحضارة.. ثم التقط الناس بعض الأنفاس وتهيأت للبعض فرص للتنمية وظن العالم أن الصراع ينحسر وأن الحوار والخير يتصل.. ولكن الصهاينة وحصان «طروادة» الأمريكى بدءا حلقة جديدة من تأجيج الصراع على النحو الذى نراه الآن.

وفى ظل ذلك ظهرت حكومات وحكام لدول كثيرة تظلم شعوبها وتلهب ظهورها بسياط القهر والفقر والتخلف، ولم يستقر الحال لهؤلاء الحكام ولا لتلك الحكومات بسبب ظلمها فلم تهنأ ولم تستقر، وأذاقت شعوبها الهوان وخلفت فيها القلق والاضطراب فلا هى سعدت ولا هى أسعدت شعوبها ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] فكيف السبيل إذا للخروج من هذا المأزق؟

الاستقرار مطلب الشعوب وحاجة الحكام:

والشعوب تتوق إلى التخلص من هذه الحالة من التعب والقرح والعنت والمعاناة، وبطبيعة الحال تسعى - من خلال بعض رجالها وقادتها وأولى النهى فيها - نحو هذه الحالة المستقرة الهادئة التى تنعم فيها بالخير والعدل والراحة والطمأنينة... ولا شك أن سبيل الشعوب فى ذلك هو مقاومة الظلم والطغيان.

والحكام والحكومات أيضًا يتمنون لو استقر بهم الحال وارتاح البال.. ولكن هل يحدث ذلك من غير همة وعزيمة واستعداد للتضحية ولو ببعض السلطات والصلاحيات إن لزم الأمر؟!! فهل يفعلون ذلك؟

عوامل الاستقرار ووسائل السلام:

لا يتصور عاقل أبدًا أن يتحقق الاستقرار والسلام فى العالم، وأن تحقن الدماء وتحفظ الأعراض ويأمن الناس على أرواحهم وعلى ممتلكاتهم وعلى عقائدهم فى ظل هذا الظلم وهذه الممارسات. إن الذين يزعمون أنهم يبحثون عن السلام والاستقرار نحب أن نلفت أنظارهم إلى ما يلى:

١- أن السلام الذى يبنى على الظلم والطغيان لا يؤدى أبدًا إلى الاستقرار وأن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، وأن العدل أساس الملك.

٢- أن الشعوب لا تغلب حين تصر على استرداد حقوقها، وأن مقاومتها للمستعمر والظالم لابد وأن تنتصر.

٣- أن الظالم يدفع ثمن ظلمه وطغيانه مهما طال أمد الصراع وامتد، ودروس التاريخ كثيرة ومعروفة، فأين نابليون؟ وأين بريطانيا التى كانت لا تغرب عنها الشمس؟

٤- اعلموا يا سادة أن للكون إله قادر قاهر فوق الجميع فلا تغتروا بقوتكم فالله أقوى وأعز ولا تتمادوا فى طغيانكم وعدوانكم فالله مولى الذين آمنوا وأنتم لا مولى لكم.

٥- لقد جربتم العدوان والظلم فماذا جنيتم من ورائه؟ هل استقر الأمر لكم؟ هل نمتم ملء الجفون واستشعرتم الطمأنينة وراحة الضمير؟

أفيقوا من غفوتكم وانتبهوا من سكرتكم وتعلموا من التاريخ إن كنتم لا تقدرون الواقع.

٦- ندعوكم إلى ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]؟ وألا يظلم بعضنا بعضًا، فلا تجوروا ولا تطغوا وثوبوا إلى رشدكم وارجعوا عن غيكم، وستجدون الله غفورًا رحيمًا.

٧- نحن نحب الخير - طبقًا لعقيدتنا - للناس كافة ونتمنى لهم الأمان ونحرص على أن يعيش العالم فى سلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١] وربنا يأمرنا ألا نظلم أحدًا أيًا كانت عقيدته أو جنسه أو لونه، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] فهلا مددتم أيديكم وجربتم بر المسلمين وقسطهم، ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

وإلى حكام العرب والمسلمين نقول:

إن الدرس واضح والحال بين والتاريخ يكرر نفسه، والعاقل من يتعظ بغيره، فمدوا أيديكم إلى شعوبكم بالعدل وبالقسط وبالإحسان، واقدروا الأمر قدره وأمامكم الآن فرصة فإن ضيعتموها فلا تلوموا بعد ذلك أحدًا ولوموا أنفسكم يوم لا ينفع اللوم ولا يجدى الندم.

وإلى الشعوب العربية والإسلامية نقول:

العدو أمامكم ووراءكم وليس ثمة إلا الله والجنة، أو الشيطان والنار.. اعلموا يا قومنا وكلكم قومنا أن قوتنا وعزتنا فى وحدتنا وسعادتنا ونجاتنا فى

عقيدتنا ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. إن عدوكم منفوش بالباطل وغرور القوة، ولكنه لا يملك عوامل الاستمرار والاستقرار.

وسيضعف لا محالة – إن استمر فى غيه وظلمه وعدوانه – فدوام الحال من المحال.. فاستمسكوا بما فى أيديكم من حق واتحدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان والأيام دول والله معكم وسينصركم إن أنتم نصرتموه، فعضوا على عقيدتكم بالنواجز واستبشروا ولا تيأسوا ولا تستسلموا لظالم ولا تخافوا من أحد من البشر، وقاطعوا الصهاينة والأمريكان وأعلنوا رفضكم لمخططاتهم ومبادراتهم، وترقبوا الفرج بعد أن تؤدوا ما عليكم.

وكلمة إلى المجاهدين فى كل مكان:

أما أنتم أيها المجاهدون الكرام، يا من تسعون للدفاع عن أوطانكم وتحريرها أينما كنتم وخاصة فى فلسطين، فلقد رأى العالم كله مواقفكم الصلبة واطمأن إلى عدالة قضيتكم حتى وإن أظهرت بعض الحكومات الخائفة غير ذلك، فبشراكم بشراكم إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، لقد أحيا الله بكم موات الأمة وأيقظ الله بجهادكم قلوبًا كاد الران أن يقضى عليها، الله معكم، ونحن إخوانكم نقف وإياكم فى خندق واحد ضد هذه الهجمة الشرسة علينا جميعًا، وسوف يكون جهادكم وثباتكم وتضحياتكم سببًا – إن شاء الله – لعودة الحقوق إلى أصحابها وإلى استقرار تاقت إليه المنطقة وافتقدته منذ أكثر من قرن من الزمان، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

وللإخوان أيضًا لنا وصية:

أيها الإخوان المسلمون فى كل مكان اعلموا أن الإسلام دين العدل

والسماحة والوسطية، وهذه أهم دعائم الاستقرار فلا تفريط ولا إفراط، وإنما دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وما حدث فى مدريد منذ أيام نرفضه وندينه كما رفضنا وأدنا قبله ما حدث فى الرياض وفى الدار البيضاء وفى غيرها.

أيها الإخوان إن أمتنا اليوم فى حاجة إلينا جميعًا، وإسلامنا يحتاج إلى التضحية فى سبيله وأنتم بفضل الله أهل لذلك، فلا غفلة ولا تكاسل ولا تراجع ولا ترك ولا تقصير وإنما جهاد متواصل وعمل دائم وانتشار بالحق بين الناس فأنتم كما قال إمامنا الشهيد حسن البنا: «روح جديد يسرى فى هذه الأمة فيحييها بالقرآن». ولا تقلقوا مما ترون على الساحة من استكبار الباطل وجبروت الظالمين، فإن ذلك كله كبيت العنكبوت فما أوهنه.. لا تقنطوا من روح الله واعلموا أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرًا فهلا أديتم ما عليكم فسعدتم بذلك وأسعدتم أمتكم وأرضيتم ربكم!!

فالثبات الثبات كالشم الراسيات وإن للمحن رجالاً، وأنتم -إن شاء الله- الرجال ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] ولا تنزعجوا من هؤلاء الذين يمدون أيديهم بالسؤال إلى عدوكم وبالسوء لكم فهم إلى زوال، واعلموا أن الله مولاكم فنعم المولى ونعم النصير..

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

***

المشهد العربى.. انكسارات وتراجعات واحتلال

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
٥ من صفر ١٤٢٥هـ
٢٦ من مارس ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مع ارتفاع وتيرة الظلم الذى يقع على أمتنا ومع تزايد حالة التراجعات والانكسارات والارتكاسات التى تتعرض لها هذه الأمة نعتقد أن تأمل المشهد يدفعنا إلى الاعتقاد بأننا لا يمكن أن نفصل ما يجرى على الساحة الفلسطينية عما يجرى على الساحة العراقية وكذلك ما يجرى على الساحة الأفغانية لا يمكن أن نفصله عما يجرى على الساحات السابقة ولا ما يجرى فى السودان أو الشيشان أو ما يجرى فى البلقان أو ما يحدث داخل أروقة الجامعة العربية..؛ إن خارطة الأمة التى تكونت بألوان الدماء ربما تعكس بوضوح طبيعة الأزمة واستحقاقات المرحلة.

إن قارة المشهد العربى بكل أجزاءه وتفاصيله وبكل أبعاده وأطرافه تفتح الباب أمامنا لفهم طبيعة الجريمة الشنعاء التى قام بها الكيان الصهيونى الإجرامى يوم الجمعة الماضية داخل جنبات المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ فإننا نسأل ونقرع الآذان هل كان بوسع هذا المجرد شارون أن يرتكب جريمته ويدنس مقدساتنا وينتهك حرماتنا

ويقتل المصلين ويعتدى عليهم ويطلق صواريخه وطائراته ليسخن فينا الجراح ويواصل جرائمه ضد إخواننا فى فلسطين هل كان بوسعه أن يفعل ذلك لو أن فى الأمة رجالاً قادرين على ردعه؟ ولو أن فى الأمة حكامًا قادرين على الثأر بل قادرين على أن يلتقوا لمجرد أن يلتقوا؟ وبرغم أن هذه الجرائم التى ارتكبت بحماية أمريكية وبتواطؤ دولى، كما ارتكبت سائر الجرائم الأخرى ضد الشعب الفلسطينى الأعزل من قتل كان أبرزه اغتيال الشيخ الشهيد أحمد ياسين وإخوانه بتلك الوحشية المروعة، وكذلك قتل النساء والأطفال والشباب وتدمير المنازل والمزروعات بل وتدمير كل شئ، فهل يمكن أن نقرأ هذا المشهد بعيدًا عن عجز الحكام العرب أن يجتمعوا وأن يعقدوا قمتهم بعيدًا عن الإملاءات الأمريكية؟!

وهل يمكن أن نقرأ هذا المشهد بعيدًا عما يجرى فى جنوب الوادى فى السودان الشقيق الذى يعرف تاريخيًا بأنه سلة غذاء الأمة ففى السودان ٢٢٠ مليون فدان صالحة للزراعة يمكن أن تغطى كل احتياجات أمتنا غير أن قوى الاستكبار العالمى التى لا تريد لنا خيرًا وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لا تريد للسودان أن يأخذ فرصته ويؤدى دوره ويستجمع قواه فيزرع أرضه ويحصد إنتاجه، فيمكن أمتنا من توفير احتياجاتها، ولكن هذه القوى الاستكبارية رأت أن تنهك السودان فى حروب متعددة ومؤامرات كثيرة بحيث لا يستطيع أن يتلقط أنفاسه ويظل عاجزًا عن القيام بهذا الدور الهام حتى تظل كل بلداننا تنتظر ما يقدمه الأمريكان وأتباعهم من قمح ومحاصيل أخرى معروف سلفًا أثمانها الباهظة فى ممارسة الهيمنة على إرادتنا وقرارنا واستقلالنا، ولهذا فعلى الجميع أن يتبصر وأن ننصر السودان وأن نخرجه من كبوته كى يؤدى دوره.

إن ما يجرى على الساحات الفلسطينية والسودانية وداخل أروقة الجامعة العربية ليس ببعيد عما يجرى فى العراق المحتل وما يعانيه الشعب العراقى من

جرائم الاحتلال ومن إرهاب الاحتلال ومن نهب الاحتلال، وبرغم أن دائرة المقاومة صارت تتسارع الآن وتتسع وتيرتها وبرغم أن محاولات الاستكبار العالمى فشلت فى ضرب وحدة الشيعة والسنة فإن هذا لا ينسينا أن فى هذا الأسبوع سوف تحل الذكرى الأولى لسقوط بغداد عاصمة الرشيد وعاصمة الخلافة الإسلامية تحت سنابك المحتل الأمريكى البريطانى، وبغداد بالنسبة لنا ليست سان فرانسيسكو التى ضمتها الولايات المتحدة إليها، وإنما بغداد هى حاضرة الأمة هى بالنسبة لنا عاصمة الفقه والفقهاء، وعاصمة المحدثين وعلماء الحديث، وعاصمة الشعر والشعراء، وعاصمة الفلاسفة والمتكلمين، هى إحدى مراكزنا الثقافية والحضارية، وهى إحدى محطاتنا التاريخية، بل هى جزء من ذاكرة الأمة.. وتلك هى التى يركض فيها الاحتلال الذى جاء لينهب ثرواتها وبترولها ويحطم مقدراتها ويعيد رسم خارطتها خدمة للكيان الصهيونى وتحقيقًا لأهدافه وأجندته.

إن الدفاع عن العراق وكل دول المسلمين السليبة والمحتلة هو واجب وطنى ودينى وضرورة استراتيجية، وأصبح هذا مستقر فى شريعة الأمة، كما هو مستقر فى وجدانها بعد أن أصبح فرضًا عينًا يتوجب على الكافة القيام به.. وحتى نحمى قيمة عوالمنا المركزية والتاريخية المعرضة للنهب والمرشحة للاستلاب.

إننا نعتقد أن القاعدة التى ينبغى أن ننطلق منها ونحن نتابع المشهد العربى ونحلل أوجاعه، ونرصد تراجعاته وأنماطه، هى أن يظل ملف الإصلاح مطروحًا على أجندتنا الوطنية ويجب أن تصر كل القوى الحية والقوى الوطنية الفاعلة داخل المجتمع على أن يكون الإصلاح السياسى إصلاحًا حقيقيًا، وهذا يتطلب عقدًا اجتماعيًا جديدًا تقوم بمقتضاه مصالحة بين الحكام والمحكومين، وأن يعاد للشعوب العربية والإسلامية أهليتها السياسية وأن يكرم المواطن داخل وطنه وألا تنتهك حرماته وحرياته بسبب معتقداته وأراءه السياسية لابد من إيجاد تعددية حزبية حقيقية وفتح المجال أمام الصحافة الحرة مع حرية

إصدار الصحف وحرية التعبير وحرية التظاهر، ولابد من تغيير القوانين المكبلة للحريات والاستثنائية والعسكرية وعلى رأسها قانون الطوارئ وقوانين محاكم أمن الدولة، وأن يحاكم المواطن أمام قاضيه الطبيعى فهذا هو المدخل الصحيح لمواجهة التحديات ونحن فى مرحلة تاريخية حاسمة وفارقة تتعرض فيها أمتنا لمخاطر واسعة واستهدافات كثيرة ونعتقد أن الظرف التاريخى يجعل من الأولى بالحكام أن يترسوا بالأمة وأن يحتموا بالشعوب. فهى الوحيدة القادرة على حمايتهم والزود عنهم بشرط أن نكرم هذا الإنسان الذى كرمه الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].

فإذا عصفت بنا الأنواء – لا قدر الله – وإذا جد الجد فإن الشعوب هى التى تقف فى المقدمة وهى التى تقوم بالمواجهة ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]

كلمة أخيرة:

هذه كلمة نقولها بمناسبة الانتخابات الرئاسية الجزائرية التى تجرى فى هذه الأيام والتى نتمنى من الله أن يلهم الشعب الجزائرى لاختيار من سيكون خادما لهذا الشعب ومدافعًا عن دينه وعقيدته وآماله وتطلعاته، كما نحى الشعب الجزائرى والمسئولين فيه، فهم برغم ما جرى من أحداث مؤسفة فى بلدهم إلا أنهم حافظوا على الشكل الديمقراطى، فهناك خمسة مرشحين لمنصب رئيس الجمهورية، وهى ظاهرة تستحق التحية لأنها غابت عن الكثير من الأقطار العربية، التى نرجو الله أن يلهم الجميع الصواب وأن يعيد العافية إلى أهلنا فى فلسطين والعراق وسائر أقطار الأمة حتى تدمر الاحتلال والأعداء.

﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

الشيخ أحمد ياسين

شهيد الأمة

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٥ من صفر ١٤٢٥هـ
٢٦ من مارس ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ، وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦]

فقدت أمتنا العربية والإسلامية ابنًا بارًا من أعز أبنائها، وقائدًا فذًا من خيرة قادتها، وعالمًا ربانيًا وعاملاً مخلصًا، ومجاهدًا قل نظيره على مدار التاريخ.. هو أمير الشهداء الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى فلسطين، فى جريمة بشعة ارتكبتها عصابات الصهاينة المحتلين، وأشرف على تنفيذها رئيس وزرائهم السفاح شارون حيث قصفت طائراته - الأمريكية الصنع - الشيخ الجليل المقعد الأشلّ وهو خارج من مسجده، بعد أن أدى صلاة الفجر، يوم غرة صفر ١٤٢٥هـ/ ٢٢ من مارس ٢٠٠٤م، فأردته شهيدًا ومعه جماعة من رفاقه وآله، فى عمل جبان ارتج له ضمير الأحرار فى العالم كله.

وإننا إذ ننعى شهداءنا الأبرار ومجاهدنا العظيم الشيخ ياسين، وإذ تتألم نفوسنا لفراقه فى وقت تحتاج أمتنا فيه حكمته ومصابرته وعطاءه لندرك فى الوقت ذاته أن الشيخ ياسين لم يكن رمزًا لجماعته وإخوانه

فحسب، ولم يكن مفخرة لأمته فقط، بل كان حجة على العالم بأسره، حين قدم للبشرية نموذجًا فريدًا لإنسان استعلى على حاجات نفسه، وإعاقة بدنه، وقسوة ظروفه، ليكون محركًا لأمته وهو قعيد، مزلزلاً للظلم والظالمين وهو أشل، موقظًا للضمير العالمى وبقية الخير فى دنيا الناس لنصرة المستضعفين والمضطهدين، ومقيمًا للحجة على هؤلاء المستضعفين - فى الوقت نفسه - أن لا يستسلموا لعوامل ضعفهم، وقهر أعدائهم..

كان الشيخ الشهيد نموذجًا للإيمان فى استعلائه وشموخه وعزه، ودليلاً على قدرة الإسلام العظيم على صياغة النفوس وقوة الإرادة ومضاء العزم، واستنهاض الهمم، وتجاوز الصعاب، واستشراف النصر، وتغيير الواقع، وتحويل مسار التاريخ.

إننا إذ ننعاه نهنئه بتلك الشهادة على ذلك النحو الفريد، تلك الشهادة التى أمضى عمره يتمناها، ويسعى من أجلها، لا يفتر عن التذكير بفضلها، وبيان آثارها، وتربية أصحابه على الحرص عليها، والدعاء إلى الله تعالى بالظفر بها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وهل من مقام أفضل من مقام الشهيد عند ربه مع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ وهل من سبيل إلى مغفرة الذنوب أسرع من الشهادة فى سبيل الله حيث يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه؟ وهل من رفعة أعز من رفعة الشهيد حين يلبس حلة الكرامة يوم القيامة على رءوس الأشهاد؟؟

ما أبقى عذرًا لأحد:

نرجو أن تكون روح الشيخ الطاهرة قد تعانقت مع أرواح إخوانه

فحسب، ولم يكن مفخرة لأمته فقط، بل كان حجة على العالم بأسره، حين قدم للبشرية نموذجًا فريدًا لإنسان استعلى على حاجات نفسه، وإعاقة بدنه، وقسوة ظروفه، ليكون محركًا لأمته وهو قعيد، مزلزلاً للظلم والظالمين وهو أشل، موقظًا للضمير العالمى وبقية الخير فى دنيا الناس لنصرة المستضعفين والمضطهدين، ومقيمًا للحجة على هؤلاء المستضعفين - فى الوقت نفسه - أن لا يستسلموا لعوامل ضعفهم، وقهر أعدائهم..

كان الشيخ الشهيد نموذجًا للإيمان فى استعلائه وشموخه وعزه، ودليلاً على قدرة الإسلام العظيم على صياغة النفوس وقوة الإرادة ومضاء العزم، واستنهاض الهمم، وتجاوز الصعاب، واستشراف النصر، وتغيير الواقع، وتحويل مسار التاريخ.

إننا إذ ننعاه نهنئه بتلك الشهادة على ذلك النحو الفريد، تلك الشهادة التى أمضى عمره يتمناها، ويسعى من أجلها، لا يفتر عن التذكير بفضلها، وبيان آثارها، وتربية أصحابه على الحرص عليها، والدعاء إلى الله تعالى بالظفر بها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وهل من مقام أفضل من مقام الشهيد عند ربه مع إخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ وهل من سبيل إلى مغفرة الذنوب أسرع من الشهادة فى سبيل الله حيث يغفر للشهيد عند أول قطرة من دمه؟ وهل من رفعة أعز من رفعة الشهيد حين يلبس حلة الكرامة يوم القيامة على رءوس الأشهاد؟؟

ما أبقى عذرًا لأحد:

نرجو أن تكون روح الشيخ الطاهرة قد تعانقت مع أرواح إخوانه

فوق منابر المساجد فى غزة بقوة حجته، وصدق لهجته، ثم رأس المجمع الإسلامى فى غزة ليقدم من خلال نشاطاته الاجتماعية الحلول المدروسة لقضايا مجتمعه وهموم قومه، ومضى يحشد الصفوف ويميط حجب الغفلة، ويقدم فى كل ذلك القدوة والأسوة، فما رده اعتلال صحته، وما عاقته سجون العدو ومعتقلاته ومحاكماته العسكرية الجائرة.. ثم انتقل إلى طور التكوين الجهادى الصريح فأسس حركة المقاومة الإسلامية حماس سنة ١٩٨٧م ليكون ذلك نقلة نوعية للجهاد المبارك فى أرض الأقصى الأسير.. وليعلن فى وضوح أنه امتداد للحركة الإسلامية العالمية فنص البيان الأساسى لحماس على أنها «الذراع الضارب لحركة الإخوان المسلمين فى فلسطين المحتلة»..

وضوح رؤيته الجهادية:

لقد أعلن الشهيد مرارًا أن فلسطين وقف إسلامى، لا يجوز لأحد التفريط فى شبر منه، لأنه ليس لأحد الحق فى ذلك، وأن الجهاد هو السبيل لتحرير فلسطين، بعد أن تاهت الأمة عقودًا من الزمن فى سراديب المفاوضات العاجزة، والحلول الموهومة، والأمل الخداع بأن أوراق القضية وحلولها فى أيدى أمريكا أو غيرها من عواصم العالم ودوله.. وأنه من الممكن أن يسفر التعاطف الدولى المراوغ عن أمل حقيقى للوطن السليب إن تخاذل عنه أهله... وقرر الشهيد العظيم أن تحرير فلسطين فرض عين على المسلمين لا يجوز التهاون بشأنه، وأن ساحة الوطن هى ساحة الجهاد التى ينبغى حشد كل القوى داخلها.. كما أعلن مرارًا تحريم الدم الفلسطينى على كل فلسطينى، وأن الوحدة الوطنية بين أبناء فلسطين هى الدعامة الأولى لاستمرار الجهاد وحفظ مكتسباته..

وقد أثمر جهاد الرجل وصحبه، ولم تضع تضحيات أبنائه ودماؤهم، رغم

أن جهادهم وافق عجزًا عربيًا مهينًا، وتآمرًا دوليًا ثقيل الوطأة، ودعمًا أمريكيًا للكيان الصهيونى غير محدود، وعلى كافة الأصعدة، وبعد سنوات من الجهاد أصبحت قضية فلسطين فى قلب الأحداث العالمية، قضية بلد يسعى إلى الحرية بالدم والجهد بعد أن سدت أمامه سبل الحلول السلمية الممكنة، وقضية شعب يقول للعالم: إن الأمة التى لا تجيد صناعة الموت لا تستحق الحياة.. ولم يبق وطن فى العالم يعانى الاحتلال العسكرى الصريح غير فلسطين، ثم أخيرًا العراق.. وأصبح الجهاد هو السبيل فى وعى ذلك الشعب العظيم وتلك الأمة الممتحنة.. وتوارت محاولات الاستسلام المهين، والتسويات المذلة..

ولم يكن ثمن ذلك الإنجاز رخيصًا.. بل كان ألما ومعاناة وتجويعًا وهدمًا للبيوت وقتلاً وتشريدًا ونفيًا ومصادرة وتشويها لنبل الجهاد وغاياته.. وقدم الشيخ ياسين الأسوة بنفسه.. فحوكم فى بلد تدعى الديمقراطية والحرية.. وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، ثم خمس عشرة سنة تزيد على ذلك!! وتوالى الشهداء من صحبه وبنيه أمام ناظريه فما رده ذلك عن قناعته بحتمية الجهاد وقرب النصر ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وماذا بعد استشهاده؟

لقد توحدت الأمة كلها فى مشاعرها الفياضة خلف الشيخ الشهيد، تودعه بقلوبها، وتعاهده على استمرار المسيرة.. إن الدم المهراق لن يذهب هدرًا، وأعداؤنا يعلمون ذلك، وقد كان فى شهادته – كما كان فى حياته – عاملاً على وحدة القوى والجهود فى الوطن المحتل، وكانت جنازته المهيبة تعبيرًا حرًا عن وفاء ذلك الشعب المجاهد لشيوخه وقادته ومناضليه، ومن خلفهم ملايين المسلمين والأحرار فى العالم كله تدعم جهادهم وتتحرق شوقًا لمشاركتهم..

غير أن ذلك الهدير الشعبى الغاضب يفجر فى نفوسنا تساؤلات حارة متأملة لحكامنا وأولى الأمر فينا: ماذا عندكم؟ وماذا أنتم فاعلون؟ هل لديكم ما يشفى غليل شعوبكم ويطفئ جمرة الغضب؟ هل نرتفع إلى مستوى الحدث الجليل فندرك عبثية الطنطنة بالحل السلمى والخيار الاستراتيجى الخانع مع عدو متغطرس وقيادة تعشق دماءنا ولا ترتوى؟ هل نعلو لتكون ردود أفعالنا على ما نحن بصدده متمايزة عن ردود أفعال عواصم الغرب الذى أدان واستنكر، ثم عاد إلى صمته المريب؟ وهل من أمل أن تتوافق خيارات حكامنا مع خيارات شعوبنا التى باتت واثقة من أن الجهاد هو السبيل لرد العدوان ونيل الكرامة؟.. وهل من سبيل إلى وضع خطة مدروسة للخروج من نفق الخوف والاستسلام والتردد والضعف؟ خطة تحترم عقيدة الأمة وهويتها ورغباتها، وتعتمد على إمكاناتها الحقيقية المهدرة.. وتوقن أن الإصلاح المنشود لن يأتى إلا من داخل هذه الأمة، وأن تحرير الوطن السليب ومقدساته لن يأتى عبر موائد التفاوض السرى الذى تتبدى من خلاله عورات ضعفنا وسوءات عجزنا..

إن الأمة تنتظر من الحكام والملوك والزعماء العرب فى قمتهم بتونس موقفًا حاسمًا من الكيان الصهيونى، ليس أقل من قطع العلاقات – كل العلاقات – معه وطرد سفرائهم من بلادنا، وتقديم شارون لمحاكمة دولية كمجرم حرب.. الأمة تنتظر قرارًا ينشلها من وهدة التخلف والعجز ويحشد الطاقات والإمكانات والقدرات، علميًا وتقنيًا واقتصاديًا وعسكريًا واستراتيجيًا على مستوى العالم العربى والإسلامى لمواجهة التحديات الصعبة التى تواجه الجميع.. لقد صبرت الأمة طويلاً وما عاد فى القوس منزع، وحرى بنا أن نعطيها الفرصة – وهى حقها – فى المشاركة فى صنع حاضرها وتقرير مصيرها.

إن الحديث عن أوسلو ومدريد وخارطة الطريق بات مستفزًا للمشاعر الغاضبة، باردًا وسط الدم الحار المسفوح لأهلنا وقادتنا كل يوم.. وإن أمريكا هى النصير الأول لعدونا، بل هى العدو الأقرب الذى تعصف بنا طائراته وصواريخه ودباباته التى سلح بها عصابات الصهاينة فى فلسطين، أو قوات جيشه هو فى العراق.. وهل استشهد أحمد ياسين ورفاقه إلا بطائرات أمريكا ودعمها؟ أليست إدارة بوش هى التى شحذت أسنان الصهاينة ضد شعبنا يوم أن وصمت الجهاد العادل فى فلسطين بأنه إرهاب دموى؟ ويوم أن وصفت جماعة حماس وغيرها من جماعات المقاومة فى فلسطين بأنها جماعات إرهابية لأنها تتصدى للحليف الاستراتيجى لأمريكا؟ وهل كان استشهاد السيخ أحمد ياسين إلا نتيجة لعجز الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية وتراجعها أمام المشروعين الصهيونى والأمريكى؟

بقيت لنا كلمة:

إن استشهاد الشيخ أحمد ياسين لن يفت فى عضد المقاومة ضد المحتلين الغزاة فى فلسطين، بل سيزيدها اشتعالاً وتوهجًا بإذن الله، وإن ملايين المسلمين فى العالم اليوم تهتف فى قرارة نفوسها بأنه لا سبيل إلا أن «نموت على ما مات عليه» ونحن إذ نشد على أيدى إخواننا فى أرض الأقصى من كافة الفصائل الفلسطينية المجاهدة، وعلى أيدى إخواننا فى حركة المقاومة الإسلامية حماس، لندعو جماهير أمتنا العربية والإسلامية إلى دعم ذلك الجهاد فى هذه المرحلة الفارقة من تاريخنا، لقد دنا النصر - إن شاء الله -، وأفرغ العدو آخر ما فى جعبته من كيد، وإن مع العسر يسرًا، كما ندعو تلك الملايين الحاشدة من الأحرار الذين هزتهم الجريمة المنكرة إلى مناصرة تلك القضية العادلة، وهم حين يناصرونها إنما يخضدون شوكة عدو قد توحش وطغى، فما عاد خطره - عند ذوى الألباب - بقاصر على أمتنا وحدها.. وإن سنة الله فى

خلقه أن ينصر من نصره، وإننا على موعد من ربنا بالنصر ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، أما أنت يا أمير الشهداء فنم قرير العين، ونعاهد الله ونعاهدك أن نظل أوفياء لهذه الدعوة ولشجرة الجهاد المباركة التى رويتها بدمك الطهور..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

***

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
١٢ من صفر ١٤٢٥هـ
٢ من أبريل ٢٠٠٤م

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ ومن والاه...

تمر أمتنا العربية والإسلامية بتحديات ضخمة وظروف عصيبة تقتضى من الحكام كما تقتضى من الشعوب اليقظة والوحدة والارتفاع إلى مستوى الأحداث...

فأمامنا: تحدى احتلال العراق، بلاد الرافدين، ومهد الحضارة الإنسانية، وموئل الخلافة العباسية، وتحدى المذابح فى فلسطين لشعبها البطل واغتيال شيخ المجاهدين أحمد ياسين ورفاقه الأطهار، وتحدى الإصلاح الداخلى الذى بات ملحًا وضروريًا ولا يمكن تأجيله بحال من الأحوال، وتحدى إصلاح الجامعة العربية لتؤدى الدور الذى يجب أن تقوم به، وتحدى مواجهة الضغوط الأمريكية ومشاريع الهيمنة الواضحة التى تريد سلخ هذه الأمة من عقيدتها وثقافتها وحضارتها... إلخ إلخ

إنها تحديات تفرض علينا إما أن نكون أولا نكون..

إما أن نخرج العرب من كبواتهم وعثراتهم إلى أمل

وأفق جديد، وإما أن يخرج العرب من التاريخ ولو إلى حين.

إن القادة والملوك والرؤساء والزعماء العرب أمام مسئوليتهم التاريخية، فهل ينجحون؟!

إن القرار المنفرد الذى اتخذته القيادة السياسية فى تونس بإلغاء – أو إرجاء – الاجتماع الدورى للقمة العربية وضع القادة أمام اختبار تاريخى حقيقى.

وإذ نرحب بالدعوة التى وجهها الرئيس مبارك لعقد القمة فى مقر الجامعة بالقاهرة لنرجو من الرؤساء والزعماء أن يعملوا على التجاوب معها والحرص على تجاوز الخلافات الشكلية، والمحافظة على الجامعة العربية، خاصة فى هذه المرحلة الفاصلة فى تاريخ أمتنا.

لقد ظهر بوضوح تام بعد المسافة بين مشاعر وآمال وطموحات الشعوب العربية، وبين قدرات وإمكانات ومواقف الزعماء العرب.

إننى أطالب الزعماء العرب فى هذه الظروف العصيبة أن يرتفعوا فوق خلافاتهم وأن يلتقوا على كلمة سواء، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا، وليبدأ كل منهم إصلاحًا داخليًا حقيقيًا فى بلده الذى استرعاه الله إياه، وأن يلتقوا ليتفقوا على الحد الأدنى المطلوب فى هذه المرحلة وهو:

١) رفض الاحتلال الأمريكى فى العراق، وعدم الاعتراف بأى إجراءات يقوم بها الاحتلال لتقسيم العراق، وأن تنتقل المسئولية عن العراق إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية كى يتم انتخاب جمعية تأسيسية تضع دستورًا للعراق يحقق الاستقلال التام وسحب القواعد الأمريكية كما يحقق وحدة العراق كدولة واحدة، ولابد من دعم المقاومة العراقية التى تمثل ورقة الضغط الحقيقية على الاحتلال.

٢) إعلان واضح بالتخلى عن الاستراتيجية الفاشلة فى التعامل مع العدو الصهيونى، وعدم تقديم مبادرات من أجل السلام، وعدم تجديد المبادرات القديمة التى لم يعبأ بها العدو بكل فصائله، والإعلان عن تقديم كل ألوان الدعم للشعب الفلسطينى ولفصائل المقاومة.

٣) الاتفاق على الحد الأدنى من الإصلاح الداخلى فى البلاد العربية وهو:

- إلغاء حالة الطوارئ وإطلاق الحريات وإخلاء المعتقلات من كافة سجناء الرأى.
- إجراء انتخابات حرة لاختيار برلمانات حقيقية فى إطار نظام دستورى نيابى.
- تحقيق المصالحة الوطنية داخل كل بلد عربى.

٤) تشكيل لجنة مصغرة لبحث كافة المبادرات المتعلقة بتطوير الجامعة العربية كرافعة للعمل العربى المشترك، وتحديد مدة زمنية لها واعتماد إجراءات سريعة لإزالة الحواجز المصطنعة بين الدول والشعوب العربية.

الوحدة العربية.. والجامعة العربية:

إن اهتمام الإخوان المسلمين بالوحدة العربية وبالجامعة العربية ليس حديثًا، بل هو اهتمام قديم قدم دعوة الإخوان.

وأود فى هذه الظروف أن أذكر الإخوان المسلمين والناس جميعًا بمواقفنا الثابتة فى هذا الصدد.

إن الإسلام فرض على كل إنسان أن يعمل لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته، وبذلك فإن المسلم هو أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعًا لمواطنيه.

والإخوان المسلمون يحبون أوطانهم ويحرصون على وحدتها القومية، وهذا الإسلام الحنيف نشأ عربيًا ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين.

وقد جاء فى الأثر: «إذا ذل العرب ذل الإسلام» فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه، والإخوان المسلمون يعتبرون العروبة كما عرفها النبى ﷺ «إلا أن العربية اللسان.. ألا إن العربية اللسان» رواه ابن كثير عن معاذ بن جبل.

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرًا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه.

ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

فالإخوان كما يحترمون قوميتهم الخاصة، ولا يرون بأسًا بأن يعمل كل إنسان لوطنه وأن يقدمه فى الوطن على سواه، هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض، ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامى العام، وبعد ذلك فإن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، فكل منها يشد أزر الأخرى ويحقق الغاية منها.

هذا ما أكده الإخوان على لسان مؤسس دعوتهم وبانى جماعتهم الإمام الشهيد حسن البنا الذى لم يكتف بالكلام بل ساهم فى وضع ميثاق الجامعة العربية باقتراحات ظهر معظمها فى الميثاق، ومن تلك الاقتراحات العملية التى لازال هناك أمل بوضعها موضع التنفيذ رغم مرور ستين عامًا على كتابتها ما قاله الإمام الشهيد فى مذكرته التى أرسلها فى ١٨ سبتمبر ١٩٤٤م إلى «رئيس وأعضاء اللجنة التحضيرية لمؤتمر الوحدة العربية»

وكانت فى بنود ستة هى:

١- تحقيق مظاهر الوحدة العامة فى الوطن العربى.

٢- تحقيق الأمانى القومية، ومساعدة الأمم الناشئة على نيل استقلالها واستكمال نهوضها.

٣- الكيان السياسى العام للأمم العربية المتحدة.

٤- تحديد الصلة بين البلاد العربية وجاراتها من الممالك الإسلامية غير العربية.

٥- المطالبة بحقوق الشعوب الإسلامية المظلومة ورعاية الأقليات المسلمة فى مختلف البلاد والأقطار.

٦- دراسة لون الحضارة التى يجب أن تصطبغ بها الأمة العربية؛ لأن الناحية الاجتماعية لا تقل أهمية عن الناحية السياسية، إن لم تزد عليها.

وقد طالب وقتها الإمام الشهيد بمطالب عملية - مازالت تعبر عن آمال الشعوب العربية - مثل:

- رفع الحواجز الجمركية بين البلاد العربية.
- منح حرية المرور والتنقل بين البلاد العربية وإباحة الهجرة والاستيطان على نطاق واسع.
- التعاون الاقتصادى وتكوين الشركات العربية المشتركة.
- تنمية التعاون الثقافى والتشريعى والعسكرى بتوحيد برامج التعليم ومناهجه وتوحيد منابع التشريع وقواعده.

كما دعا الإمام الشهيد إلى دراسة متأنية لتكوين «الحكومات العربية المتحدة» التى تحقق الكيان السياسى للأمم العربية المتحدة، مع ترك الحرية لكل شعب عربى فى اختيار نوع وشكل الحكومة التى يرجوها.

وختم مذكرته بقول مازال جديرًا بالتأمل إلى يومنا هذا فى مواجهة الضغوط الأجنبية نذكر به القادة والشعوب العربية:

«إننا حين نريد لأوطاننا وشعوبنا الحصول على كامل الحرية والاستقلال لا ننكر ولا نغفل أن بيننا وبين دول العالم وأممه وشعوبه صلات يجب أن تبقى ومصالح يجب أن تنظم حتى يقوم التعامل على أساس من الحب والتعاون والإنصاف»

إن هذه الآمال وتلك الاقتراحات وهاته المطالب مازالت قائمة مما يدلل بوضوح على مدى التفريط الذي قامت به الحكومات العربية المتتابعة منذ ستين عامًا، ولعل السبب هو الاعتراف الصريح الذى قاله الرئيس الأمريكى بوش فى لحظة صدق نادرة حيث أعلن أن أمريكا ساندت الديكتاتوريات فى

البلاد العربية لمدة ستين عامًا، فالاستبداد والحرص على البقاء فى كراسى الحكم رغم أنف الشعوب، هو الذى أدى بنا إلى الفشل، والتفرق والتنازع هو الذى كرس هذا الفشل، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

هل نحن على مستوى التحدى؟

إن دم الشيخ الشهيد أحمد ياسين ودماء شهداء العراق وفلسطين معلقة فوق رؤوس الحكام العرب تناديهم أن يرتفعوا إلى مستوى الأحداث وأن يراجعوا أنفسهم وأن يتخذوا القرارات الصعبة فى هذه الظروف العصيبة.

إن القمة العربية يجب أن تنعقد دون تأخير ولكن انعقادها دون اتخاذ قرارات جادة قد يعنى باختصار: نهاية مرحلة من تاريخ العرب، وبداية فوضى لا ندرى ما الذى ينتج عنها وما الذى ستدمره فى أتونها... وأذكّر القادة العرب أن العواصف القادمة تستلزم التترس والاحتماء – بعد الله – بالشعوب.

وإننى أخاطب الشعوب العربية اليوم:

إن حلم الوحدة العربية لم ولن يسقط، وإن الفشل الذى تسبب فيه بعض الزعماء لن يحطم آمالنا ولن يصيبنا بالإحباط أو اليأس، فاليأس ليس من أخلاق المؤمنين.

وإن الملايين التى خرجت تعلن ولاءها لله ولرسوله، وللجهاد فى سبيل الدين فى أعقاب اغتيال شيخ المجاهدين، هذه الملايين قادرة – إن حولت كلامها إلى عمل، وهتافها إلى نشاط، وحماسها إلى خطط – أن تحقق آمال

العرب والمسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فابدأوا بأنفسكم ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

***

الجهاد والاستشهاد هما طريق العزة والنصر

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٢٦ من صفر ١٤٢٥هـ
١٦ من أبريل ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].

تمر البلاد العربية والإسلامية بفترة من أصعب الفترات فى تاريخها الحديث يشهد على ذلك ما حدث فى حروب الخليج، وما آلت إليه أحوال العراق من احتلال سلب ثرواته، وانتهك أعراضه، ويتم أطفاله وثكّل نساؤه فضلاً عن إثارة الفوضى فى كل أرجائه نتيجة القضاء على مؤسساته، فضلاً على المحاولات المستمر لإهانة وإذلال شعبه وإثارة الفرقة بين طوائفه، وما هم ببالغيه بإذن الله.

هذا بالإضافة إلى ما يحدث على أرض فلسطين الحبيبة من مجازر وحشية لأطفاله ونسائه ورجاله، وتجريف أرضه وهدم منازله وإقامة المستوطنات عليها، والاعتداء على مقدساته، وعدم احترام المواثيق الدولية، ونكث الوعود والاستهانة بكل عرف ودين، وما قصة الجدار العازل منا ببعيد.

وبفضل الله وكرمه فإن كل ما حدث ويحدث،

أيقظ الشعوب ووحد القلوب وألهب المشاعر ووحد الأهداف والمقاصد بين جميع طوائف هذه الأمة، بالرغم من الصمت المريب من معظم الأنظمة العربية، التى كنا نود من حكامها أن تتبادل هذه المشاعر وتتجاوب مع شعوبها، وتترس بهم حتى يصير الجميع كالجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ويومها يكون الحكام حماة الأوطان الذين يضحى من أجلهم.

ألا يستحق ما يجرى على أرض العراق وما حدث فى مدينة الفلوجة بالذات من عدوان غاشم واعتداء وحشى على يد المحتل الأمريكى الغاصب موقفًا موحدًا من الجامعة العربية وعلى وجه السرعة ليشعر المعتدى أن وحدة الصف ووحدة الهدف كفيلان بردعه ومراجعة حساباته كى يحترم هذه البلاد وشعوبها، فيكف أذاه، ويعلم أن قواه المادية لا تغنى عنه شيئا أمام وحدة الصفوف والقلوب التى هى من أهم عوامل النصر، والأمل فى الله كبير..

الشعوب هى الأمل:

لقد ثبت فى كل المواقف - خاصة تلك التى تهدد الأمن والاستقرار، والتى تحاول أن تنال من ثوابت الأمة - أن الشعوب كانت على مستوى الحدث، وأن رؤيتها كانت هى الصائبة، وأن إيجابياتها فى مواجهة التحديات كانت مرتفعة.. ولأن الأنظمة تخلفت عن تحقيق - ولو بعض - ما هو مطلوب منها، فقد أصبحت الشعوب هى الأمل ومعقد الرجاء، وبالتالى فهى الأولى بالخطاب، وهى الأولى بالاهتمام، لعل حكامها يتجاوبون معها، ولو أن حركة هذه الشعوب كانت واعية، منضبطة، مستمرة، منظمة، محيطة بكل ما يجرى حولها ولديها أهداف واضحة فهى إذن المرشحة - فى هذا الحال - للقيام بدور الريادة وتحقيق الآمال والانتقال بالوضع العربى من التشرذم إلى الوحدة،

ومن التخلف إلى التقدم، ومن الانكسار إلى الانتصار، ومن الإحجام إلى الإقدام، ومن التردد إلى الحسم، من الضعف إلى القوة..

لذلك لابد أن تستمر الشعوب فى الوقوف إلى جوار النخب والقوى السياسية والوطنية التى تنادى بضرورة تأييد ودعم المقاومة، ماديًا ومعنويًا، فى فلسطين والعراق وأفغانستان، أولاً: حتى تشعر الشعوب الواقعة تحت الاحتلال وتعانى من الاعتداء الوحشى والعدوان الهمجى بمن يهتم بأمرها، فإن ذلك يعمل على مزيد من الصمود، والثبات، وثانيًا: حتى تشعر الإدارة الأمريكية، والكيان الصهيونى أن الشعوب – صاحبة الحق الأصيل – لا تستكين ولا تلين حتى تنال حقوقها كاملة مهما كانت التضحيات، وثالثا: حتى تعلم الأنظمة الحاكمة فشلها وأنها ليست على مستوى المسئولية.

لابد أيضًا أن تواصل الشعوب الاستمرار فى الضغط المعنوى على الأنظمة الحاكمة، من خلال التظاهرات – المنضبطة والتى لا تؤدى إلى فوضى – كى تقوم بالإصلاحات الداخلية المطلوبة (وعلى رأسها الإصلاح السياسى من جانب، وكى تقف بإيجابية تجاه القضايا القومية من جانب آخر)

ولابد كذلك من المشاركة فى المؤتمرات والندوات التى تتم وتقوم بها مؤسسات المجتمع المدنى والقوى الوطنية، وقد جاء فى النداء الذى أعلنه علماء المسلمين أنهم ينظرون بعين الإعجاب والاعتزاز للتلاحم الوطنى الذى أظهره الشعب العراقى على اختلاف مذاهبه وتوجهاته، وحس المسئولية العالى لإحباط مؤامرة افتعال حرب أهلية طائفية يأبى العراقيون أن ينزلقوا إلى شركها المنصوب لهم، ويتمنون أن يزداد هذا التلاحم الصلب، لأن العدو لا يميز بينهم، والضرر الوحيد فى العراق اليوم هو بين مقاوم للاحتلال ومؤيد له، كما أنهم يناشدون العالم المتحضر والمجتمع الدولى التدخل الفورى والحازم لثنى

الإدارة الأمريكية عما تقوم به من أعمال وحشية فى العراق، ويعتقدون أن من الواجب أن تأخذ الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامى وجامعة الدول العربية دورًا فاعلاً فى نصرة الشعب العربى إزاء المحنة التى يمر بها».

أملنا أن تقوم الحكومات التى تؤيد وتدعم الإدارة الأمريكية بسحب قواتها من العراق، فإن وجود مثل هذه القوات يعمل على هدم القوانين والأعراف والمواثيق الدولية، كما يؤكد تكريس المبدأ الذى تستهدفه الإدارة الأمريكية وهو شرعية القوة.. شرعية الغاب..

أملنا أيضًا أن تكون مؤسسات المجتمع المدنى فى كل بقاع الأرض لها موقف قوى تندد فيه بالسياسة الأمريكية.

وللعلماء دور:

إن للعلماء دورًا فى استنهاض الهمم، وتقوية العزائم، وتوجيه الطاقات وتحديد الأولويات وتجميع الصفوف لدى الشعوب، خاصة إذا كانت التحديات خطيرة وكثيرة، وعليهم أن يعملوا على نشر ثقافة الجهاد والاستشهاد، إن المقاومة ضد الاحتلال حق مشروع لأهل البلد المحتل، كفله الإسلام، وأكدت عليه القوانين والأعراف والمواثيق الدولية، ويعتبر الإسلام المقاومة جهادًا فى سبيل الله وأنه فرض عين على أهل البلد الذى يتعرض للاحتلال، وهو مقدم على غيره من الفرائض، حتى إن المرأة لتخرج إلى الحرب بغير إذن زوجها ويؤذن للصبيان بالقتال، وقد شرع الجهاد فى هذه الحالة للدفاع عن العقيدة والشريعة بمقاصدها الخمسة (الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال) والذود عن الأوطان، وحماية المقدسات والمحرمات، وتعتبر المشاركة فى الجهاد (القتال) فرض كفاية على البلدان المجاورة للبلد

المحتل، فإذا فشل الأخير فى طرد المحتل الغاصب وتحقيق الاستقلال، تحول فرض الكفاية إلى فرض عين على هذه البلدان، فإذا لم تستطع هذه تحقيق الهدف المرجو، فإن فرض الكفاية يتحول إلى فرض عين على كل بلاد المسلمين، هذا- كما جاءت الأحاديث - لأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وأنه فريضة ماضية إلى يوم القيامة «وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا» وأن الأمة التى لا تجيد صناعة الموت لا تستحق الحياة..

لقد كان العدوان الهمجى والاعتداء الوحشى الأمريكى على العراق سببًا فى توحد الشعب العراقى تحت مظلة واحدة سنة وشيعة، كما كانت المجازر الوحشية وآخرها استشهاد الشيخ أحمد ياسين على يد العدو الصهيونى سببًا فى توحد فصائل المقاومة الباسلة على أرض فلسطين، بل وفى يقظة الأمة كلها.. لقد بدا واضحًا تهافت وتردى هذا الطابور الخامس الذى يدعو إلى ثقافة الاستسلام والارتماء فى أحضان الإدارة الأمريكية، إما عمالة وخورًا وبعدًا عن الإسلام، وإما عجزًا وفشلاً وخوفًا وفزعًا.. وفى النهاية فإن النصر للإسلام مهما كاد له الكائدون ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

استشهاد الرنتيسى

واستهداف الأمـــة!!

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٣ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ
٢٣ من أبريل ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإننا نحتسب عند الله تعالى أخانا الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى وصحبه الذين استشهدوا بصواريخ الغدر الصهيونى، ليلحقوا بمن سبقهم من إخوانهم، وتزدان بهم قوافل الشهداء تحت عرش الرحمن جل وعلا، ونسأل الله أن يكونوا ممن صدقوا عهدهم مع ربهم، ووفوا بيعتهم، وأدوا رسالتهم، وأقاموا بجهادهم النبيل وشهادتهم الدامية الحجة على القاعدين والعاجزين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وإننا لنتصبر على فجيعتنا فيه وفى إخوانه الأبرار، وألمنا لفراقهم - بعد أقل من شهر من استشهاد الشيخ أحمد ياسين - نتصبر بما ندركه من عظيم أجر الشهداء، ونحسبهم عند الله كذلك، وهو حسيبهم، وأن ما هم فيه الآن من نعيم الجنات ورحمات الله ورفيع الدرجات، حيث لا صخب ولا نصب، خير مما غادروه فى الدنيا حيث غدر من يجهر بالعداوة، وغيظ من يدعى الصداقة، ومهانة من يطلب الحياة

بذلة، وأن ما أسعدهم فى الدنيا من جهاد العدو وصحبة الأولياء وعزة المجاهدين، قد آن لهم أن ينالوا جائزتهم من رب كريم، يغفر الذنب ويجزل العطاء.

وإننا لعلى يقين أن دماءهم لن تذهب هدرًا، ولن تضيع سدًى، وأن الراية التى طالما أعلوها وحافظوا عليها قد تلقفها خلف عدول سيبذلون فى سبيلها الغالى والثمين، ويهتفون من أعماق نفوسهم وبكل ضمائرهم أن الجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا، إنه لسبيل واضح: صبر وجهاد، فإما نصر أو استشهاد، وهل من بديل أمام مسلم يتلو قوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] ويتردد فى سمعه قول المرأة المجاهدة تبصّر ولدها: والله لضربة بسيف فى عز خير من ضربة بسوط فى ذل.. وإن من عظمة هذه الدعوة المباركة أن يتقدم قادتها الصفوف صدقًا مع ربهم، وقدوة لإخوانهم.. وأن يردوا كرامة الإيمان وعزة الإسلام بالدم الطهور والنفوس الزاكية، وإن لنا فى الإمام الشهيد حسن البنا والشيخ أحمد ياسين لأسوة.

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِّما

فلا نامت أعين الجبناء، ولا قرّت نفوس القاعدين، وإن لكل نفس أجلاً لا يؤخر، فطوبى لمن أحسن صناعة الموت العزيز ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا

عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧ - ١٦٩].

سلاح الاستشهاد

إن الأمر أصبح جليًا، وقد كان كذلك منذ بدئه، ولكن لا عذر اليوم لجاهل، إنها الحرب على الإسلام نفسه، وليس على أفراد - وإن كانوا قادة عظامًا فقط - ولا على جماعة - وإن كانت مجاهدة مصابرة فحسب - وما عاد أعداؤنا يخفون ذلك، بعدما ظلوا عقودا يستترون خلف أكاذيبهم المضللة، وقد أعلنوا ذلك مضطرين، بعدما وجدوا الإسلام يقود الجهاد ضدهم، وكانوا يبذلون كل جهودهم لإبعاده عن ساحة الصراع.. واليوم باستهداف الشيخ ياسين والدكتور الرنتيسى وإخوانهما يريد الأعداء أن يبلغوا رسالة واضحة، أن الخندق الأخير الذى يتخندق فيه الوطن - وهو سلاح الشهادة - قد أصبح مستهدفًا، ليصلوا من وراء ذلك إلى إشاعة اليأس والإحباط فى نفوس المسلمين، يريدون أن يقولوا: حتى الشهادة لن تنفعكم، ولن توقفنا، فماذا أنتم فاعلون؟ وهم مخطئون فى ذلك أشد الخطأ، فإن مليارًا ونصف مليار من المسلمين هم مشاريع شهادة فى سبيل الله، وإن استمرار العدوان على ذلك النحو لن يحقق اليأس من جدوى الشهادة، بل سيحقق اليأس من جدوى الاستسلام المهين، والقعود المذل، والتسوية الموهومة، بل إنه حتى التسوية والسلام الذى طالما خدعوا به السذج والغافلين ما عادوا يقدمونه ولا يتحدثون عنه.. ألم يعلن أركان النظام الصهيونى مرارًا أنهم لا يجدون شريكًا يتفاوضون معه من أجل السلام؟! ألم يطرح سفاحهم شارون خطته من أجل الحل المنفرد للصراع الذى يفرضه علينا فرضا؟، ولا رحم الله خريطة الطريق البائسة، ولا اتفاقات مدريد وأوسلو ووای ريفر.. فلم تعد تجد عندهم باكيًا، وإن طال

أمامها نحيب المخدوعين عندنا الذين لا يريدون دفع ضريبة الحرية ولا ثمن العزة، ويتحدثون فى استخزاء مهين عن العودة إلى مائدة المفاوضات، وأهمية السلام كخيار استراتيجى لا بديل عنه!!!

عن أى سلام يتحدثون؟

عن أى سلام يتحدث حكامنا؟ وأية مفاوضات يريدون استئنافها، بل بعثها من القبور؟ هذا هو الهزل فى موطن الجد، والعبث فى مواجهة الخطر الجسيم، وهو عبث بمستقبلنا وحاضرنا، وبأرضنا ومقدساتنا، وبكرامتنا وقيمنا، بل بديننا وإسلامنا، فهل يدرك حكامنا أن أوضاعهم فى خطر وكراسيهم فى مهب الريح، وأن شعوبهم فى واد وهم فى آخر؟ هل يدركون حجم الغضب فى الشارع العربى والإسلامى؟ وأن حديثهم عن السلام المزعوم مع شارون ويداه مملوءتان بدمائنا، قد بات حديثًا مستفزًا أكثر من أى وقت مضى، بل إنهم أصبحوا بحديثهم عن حتمية التفاوض فى واد، وشارون نفسه وعصابته والإدارة الأمريكية الداعمة له فى واد آخر.

إننا ننصح فى صدق وإخلاص حكام الأمة من المضى فى ذلك الطريق، ومن الاستمرار فى إغماض العين وإغلاق السمع عن حال أمتنا، ونداء جماهيرها وغضب أبنائها، إن أوضاعنا شديدة التفجر والخطر، وإن الهوة بيننا وبين حكامنا تزداد اتساعًا، وذلك نذير شؤم فى هذا الوقت العصيب، ولا سبيل أمامهم إلا إرضاء ربهم والأخذ بيد شعوبهم، إذ لابد من مصالحة تاريخية يجتمع فيها شمل الأمة وحكامها، وإن حدث ذلك فسيسارع العدو المتمنع الآن بطلب التفاهم معهم.

إن عدونا لا يفهم غير لغة القوة، وعلى القوة وحدها قامت الولايات

المتحدة الأمريكية، وعلى القوة وحدها قام الكيان الصهيونى، والقوة وحدها هى التى أجبرت الصهاينة على الانسحاب الذليل من جنوب لبنان، والتفكير الجدى فى الانسحاب من غزة، والقوة وحدها هى التى عرّت العدوان الأمريكى على العراق، وفضحت تهافت حجته وضعف موقفه وقد بدأ أنصاره يعيدون التفكير فى مواقفهم، وبدأ تحالفهم الأثيم يتفكك، وإن قرار أسبانيا بسحب قواتها من العراق باكورة ذلك إن شاء الله.

وبسبب جنون العظمة وغطرسة القوة تقف أمريكا والصهاينة منا هذا الموقف، وإننا لننبه بقوة إلى خطورة الضمانات الأمريكية الممنوحة لشارون فى زيارته الأخيرة لواشنطن، وهى تعبر بوضوح عن الاستهانة الأمريكية بمشاعر المسلمين، فمن أجل ضمان بوش أصوات اليهود فى الانتخابات المقبلة، بل للتعبير عن حقيقة عقيدته الصليبية التى أعلنها سافرة يوم قرر غزو العراق، منح بوش لشارون الحق فى عدم الانسحاب إلى حدود ١٩٦٧م، وزعم قانونية المستعمرات الصهيونية فى الضفة الغربية، وإلغاء حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم وأرضهم، هكذا فى صلافة وتبجح تقرر مصائرنا دون علمنا.

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأمرون وهم شهود

وهكذا تنظر أمريكا إلى ما تسميه بالشرعية الدولية، وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بالقضية، فتقضى بما يخالفها ويناقضها، وهى قرارات سبق أن أيدتها أمريكا نفسها ووافقت عليها، وليس من العجيب أن السيد «كيرى» المرشح الجديد للرئاسة الأمريكية قد رحب بضمانات بوش لشارون وتعهد - فى حال فوزه بالرئاسة - أن يستمر فى دعم الكيان الصهيونى.

ثم برح الخفاء عن خطة شارون للانسحاب من غزة، فى ظل الغطرسة الصهيونية والدعم الأمريكى فإذا الأمر كله أمر إعادة توزيع للقوات الصهيونية، لتترك الشوارع والأحياء السكنية وترتكز على الحدود، وتظل معها أمور السيادة السياسية والعسكرية، بل إمكانية الرجوع إلى احتلال الأحياء السكنية وفعل ما شاءت فى أى وقت تريد!

تلك هى النهاية غير السعيدة لمشاريع السلام مع الصهاينة والأمريكان.. فهل نفيق؟ إن أمريكا هى العدو الأول، ولولاها ما كان لدولة الصهاينة بقاء، ولولا دعمها ما استباح الصهاينة دماءنا، وليس آخرها دماء الشهيد عبدالعزيز الرنتيسى وإخوانه الذين أمر شارون بقتلهم فور عودته من واشنطن، التى أعلنت أن من حق الصهاينة الدفاع عن أنفسهم وأن حركة حماس وأخواتها من فصائل الجهاد الفلسطينى حركات إرهابية.. الإدارة الأمريكية لا تقل عداوة عن الكيان الصهيونى، وجرائمها تلك لا تقل عن جرائمها فى العراق حيث تحاصر قواته الهائلة بلدة صغيرة تدعى «الفلوجة» وتهدر دماء من فيها من أهلنا، لأن منهم من تحرك وقاوم الاحتلال الأجنبى والمغتصب الأمريكى!!

نسأل الله لأهلنا فى العراق الثبات والوحدة ولزوم الجهاد حتى يتحقق النصر لهم إن شاء الله، ونسأل الله لهم الصمود فى وجه التدمير الأمريكى وقصف المساجد وقتل المصلين، وحصار المدن، وإرهاب الدولة العظمى، وما أعظم الشبه بين الفعل الصهيونى فى فلسطين والصنيع الأمريكى فى العراق.. وإن مما يؤكد اليقين فى عظمة الإسلام أن المؤمنين به هم أبرز الذين يتصدون لقوى الاحتلال والغزو، وأن الدعاة إليه هم المدافعون الأول عن حرية الأوطان واستقلالها وعزتها،

سواء فى فلسطين أو العراق أو أفغانستان وكشمير وغيرها من بلدان الإسلام الممتحنة.

واجب العلماء والشعوب:

وإننا فى هذا الظرف العصيب، وبين يدى شهيد جديد من قيادات العمل الإسلامى الوطنى هو الأخ الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى، لنوجه حديثنا إلى علماء أمتنا، وهم ورثة الأنبياء والقائمون على الحق وأعلام الهدى، إن الأمة أشد ما تكون احتياجًا إليكم، تبصيرًا لها بمعالم الطريق، وتثبيتًا على مشاق الجهاد، وتحذيرًا من خداع العدو، وبثًا للأمل بقرب النصر، وعظيم المثوبة، وإن الله سائلنا جميعًا عن ذلك.. وإن واجبنا تجاه شعوبنا ينبغى ألا يلفتنا عن واجبنا تجاه حكامنا، فالدين النصيحة، وإننا لنشفق عليهم من عظيم التبعة أمام الله، ثم أمام التاريخ الذى لا يرحم، وإن لكل شهيد ولكل قطرة دم مهراق حقًا فى رقابهم، فهم الذين أسلموهم لعدوهم، وخذلوهم فى جهادهم، ولم يقوموا تجاههم بحق المسلم «والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»، ولم يقوموا تجاههم بحق الوطن، وهم صفوة المدافعين عنه، ورأس الرمح فى أحشاء العدو الذى إن تفرغ لنا لم يَبْقَ لحاكم عرش ولا لمحكوم أمان..

وإن شعوبنا المؤمنة الصابرة التى حيل بينها وبين فرض الجهاد - وهو فرض عين على كل مسلم إن استبيح وطنه ودينه - لمدعوة إلى إبراء الذمة أمام الله بدعم إخوانهم المجاهدين بالمال والسلاح والدعاء وتوضيح قضاياهم.. وبالثبات على الحق المر، والاستمساك بالدين القويم الذى يستهدفه أعداؤنا، لأنهم يعلمون قدر عظمته، وعبقرية قدرته على البناء والمواجهة وصنع الرجال، وقيادة الأمم وإسعاد العالم..

ولتكن دماء أخينا الشهيد وليكن جسده الممزق وروحه الطهور زادًا لنا على الطريق حتى نلقى الله، ونموت على ما مات عليه الصالحون غير مغيرين ولا مبدلين ولا خزايا ولا مفتونين إن شاء الله.. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

***

ميلاد خاتم الأنبياء

****

وواقع الأمة!!

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
١٠ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ
٣٠ من ابريل ٢٠٠٤م

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[التوبة: ١٢٨]

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم

يعيش المسلمون هذه الأيام ذكرى طيبة عزيزة علينا جميعًا، هى ذكرى مولد النبى ﷺ.. خاتم النبيين وصفوة الله من خلقه أجمعين، اختاره ربه ليحمل رسالته إلى الناس كافة أبيضهم وأسودهم عربهم وعجمهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] بل تعدت رسالته الإنس إلى الجن وأمروا أن يتبعوه ويطيعوه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾

[الجن: ١].

ومن سنن الله فى الكون أن المعانى المجردة فى كثير من الأحيان لا تكون متصورة ولا مفهومة عند أكثر الناس، فلابد لها من واقع تتمثل فيه، هذا الواقع يظهر فى صورة شخص يعيش بين الناس بهذه المعانى متجسدة فيه.

فشاء الله سبحانه أن تكون مبادئ الإسلام

وشريعته الفيض الذى تمثل فى حياة المصطفى ﷺ، فأقامه المولى سبحانه مثالاً عمليًا «كان خلقه القرآن» يمثل قمة الفضائل والشمائل والكمالات فى كل شئ، ومن هنا دعى الناس جميعًا لصياغة حياتهم وفق هذه الرسالة وحاملها إليهم ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

فإذا تسابق المسلمون فى ميادين التضحية بالأنفس والأموال فهو الاقتداء برسول الله، وإذا تقربوا إلى الله بكل أنواع الطاعات فهو الأسوة برسول الله.

وهكذا فى كل ما جاء به، فرسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للإنسانية كلها، وهو معين دفاق لا ينضب خيره ولا يتوقف عطاؤه، ومتى فكر المسلم أن تكون له غاية أو أن يتخذ لنفسه مثالاً فى أية قيمة من قيم الحياة بعيدًا عن رسول الله، فليعلم أنه بدأ يسير فى غير الطريق وأن حياته قد أخذت تميل هنا وهناك ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥] ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ومن هنا يتضح معنى شعار الإخوان المسلمين «الرسول زعيمنا» فهو القائد المطاع والقدوة المتبعة إلى يوم الدين.

صفحة بيضاء :

لقد شب رسول الله ﷺ وحياته من جميع جوانبها هادئة نظيفة صادقة ولذلك لقبه قومه بالأمين.

روى ابن جرير الطبرى عن سيدنا على ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، وفى كل

ذلك يحول الله بينى وبين ما أريد، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله - عز وجل - برسالته، فإنى قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معى بأعلى مكة: لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: افعل، فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفًا بالدفوف والمزامير فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذنى فنمت، فما أيقظنى إلا مس الشمس، قال: فجئت صاحبى، فقال: ما فعلت؟ قلت: ما صنعت شيئًا ثم أخبرته الخبر، قال: ثم قلت له مرة أخرى مثل ذلك فقال: افعل، فخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة فجلست أنظر فضرب الله على أذنى، فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبى فأخبرته الخبر، ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمنى الله - عز وجل - برسالته».

الله أعلم حيث يجعل رسالته:

يحدثنا ﷺ عن اختيار الله له فيقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» رواه مسلم، وفى حديث آخر يقول: «أيها الناس من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، قال: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إلا أن الله - عز وجل - خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين فجعلنى من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل فجعلنى من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلنى من خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نفسًا» [رواه أحمد.]..

عيد الحرية:

إن ميلاد رسول الله ﷺ هو ميلاد حرية البشرية وبداية عهدها وجهادها،

فيا شباب الإسلام إن الدنيا تتحرك فلا تقفوا فهذا دوركم لخدمة أمتكم ولرفعة دينكم، أنتم ورثة الإسلام، فأقيموه حيث أقامه الله دستورًا خالدًا ونظامًا وتشريعًا وما أصدقها كلمة رحم الله قائلها: «أقيموا دولة الإسلام فى قلوبكم تقم على أرضكم»

لقد كان رسولكم ﷺ الداعية العابد لله يتحرك بدعوته وتعيش فى قلبه ومشاعره وحياته كلها، وكان المربى الذى وصف الله أمته ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكان ﷺ القائد المجاهد الذى يقول: «وددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»، وكان ﷺ النموذج الكامل فى كل أقواله وأعماله، وهو القائل «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، «ولو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعى».

واقع الأمـــــة:

ويأتى على الأمة الإسلامية هذا العام مولد المختار ﷺ وذكريات المجد والعزة والسيادة، وأمجاد الانتصارات والبطولات تتمثل فى تاريخهم أمام أعينهم، لكن الواقع الأليم يكشف عن أحوال الأمة التى تغيرت لدرجة أن غيرها صار يبيع ويشترى فيها علنًا ويتصرف فى أحوالها، فبعد مرور ٨٧ عامًا من وعد بلفور المشهور والمشئوم، الذى أعطى لليهود وطنًا فى فلسطين بغير حق، جاء وعد بوش اليوم لشارون، والأول لا يملك، والثانى لا يستحق، وتصرف بوش هذا كأن بلاد الإسلام (عزبة) خاصة به وبعائلته، وهذا الوعد الظالم الجديد يعطى شارون – لا قدر الله – الاندفاع كالثور الهائج، لابتلاع ما تبقى من أرض الإسراء والمعراج وطرد الفلسطينيين، حفاظًا على دولة اللصوص المجرمين ودولة الاحتلال، دولة الكيان الصهيونى.

والغريب لم يبادر أحد من حكام العرب والمسلمين باتخاذ موقف إيجابى

ضد هذه التصريحات والقليل منهم اكتفى بمجرد الاستنكار والشجب، ونرجو أن تفيق الأنظمة العربية وأن تؤدى دورها، فى وقف هذا الزحف الصهيونى، والطغيان الأمريكى ومقاطعته، ومواجهته، والعمل على حفظ دماء المسلمين فى العراق، التى أهدرتها أمريكا وحلفائها، وفى أفغانستان، إيقاف هذا النزيف بأى ثمن، ومن العمل من خلال المنظمات الدولية وغيرها.

ويجب أن نذكر فى هذه المناسبة العظيمة أن الحق تبارك وتعالى ربى محمدًا ﷺ وصنعه ليربى به العرب، وربى به العرب ليربوا العالم، ويخرجوه من عبادة الكهان، إلى طاعة الرحمن، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

فما العرب بغير الإسلام، وما قيمتهم بغير هذه الرسالة؟ وما هى الفكرة التى يملكون تقديمها للبشرية إذا تخلوا عن هذه الدعوة؟ وتركوا هذا الميراث؟

إن العقيدة الإسلامية هى التى رفعت هذه الأمة إلى مكان القيادة والصدارة حين التزمت بها، ومن يوم أن تخلى المسلمون عنها لم تعد لهم وظيفة فى الأرض، ولا كيان بين الدول، ولم يعد لهم فى التاريخ دور، وصدق الله العظيم: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

لقد كان العرب فى أحط دركات الجهل والعماية، ورغم هذا فالإسلام هو الذى خلد ذكرهم، وأعلى شأنهم، وأوجد لهم حضارة، وإن شئت فاقرأ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ومن أجل هذا لن يعود المسلمون إلى سالف أمجادهم إلا بالعودة إلى محكم دينهم.

عيد تحرير سيناء:

سيناء – تلك البقعة العزيزة من أرض مصر، أرض الإسلام – لها مكانة خاصة فى نفوس المسلمين، فقد ورد ذكرها فى القرآن فى أكثر من موضع، مما

يدل على منزلتها، فهى المكان المقدس الذى خاطب الحق تبارك وتعالى فيه سيدنا موسى - عليه السلام - يقول الحق جل شأنه ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾ [القصص: ٢٩] ويقول سبحانه ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

ويتوافق مع ذكرى المولد النبوى الشريف هذا العام ذكرى تحرير سيناء من دنس الصهاينة الذين احتلوها عام ١٩٦٧م وإنا لنذكر بفخر واعتزاز ذلك اليوم من عام ١٩٧٣م.. الذى قام فيه جنود مصر البواسل بعبور القناة، وشعارهم التكبير والتهليل والاعتزاز بدينهم وإسلامهم، حيث دفعوا الكثير من التضحيات فى سبيل استرداد ما احتله اليهود... وقد تحقق بجهادهم وكفاحهم، ودمائهم تحرير هذا الجزء المقدس من الوطن. وإن كل مسلم ليرجو أن يأتى اليوم الذى تتحرر فيه فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وكل أرض يقال فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما تحررت سيناء.

السنن الإلاهية:

وفى ذكريات المولد النبوى العظيم لابد أن نُذكِّر إخواننا بأن سنن الله - جل جلاله - فى هذا الكون لا يمكن أن تتغير أو تتبدل، وهى ذات معايير ثابتة، ونواميس مطردة، اختص الله بها نفسه، فهو سبحانه المهيمن والمتفرد بصفات الجلال والكمال، والمسيطر على مجريات الأمور وتسيير دفة النظام الكونى، ليس هذا لأحد من خلقه، ومن نازعه من خلقه فى شئ من ذلك، سلبه منه وأخذه أخذ عزيز مقتدر، وإذا أخذه لم يفلته... ولقد مضت نماذج كثيرة من تاريخ الأمم تبرهن على ذلك.. واقتضت سنته سبحانه وتعالى أن يكون الهلاك قرين الطغيان، سواء على مستوى الفرد أو الأمم، فإذا طغى فرد قصمه الله، وإذا طغت أمة محقها الله، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ

مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

[القصص: ٥٨].

ونحن نرى أن الطغيان والتفرد والتعالى، كله غرور وصلف وتطاول على رب العزة جل وعلا، وهو علامة على قرب نهاية المغرورين، لأنه يناطح سنن الله فى خلقه، ويسبح عكس تيار حركة الكون وهو أيضا دلالة على قرب نهاية هذا النظام العالمى الجديد الذى ولد فى الحقيقة ميتا لأنه مخالف لكل النواميس.

خطوات ضرورية:

وإزاء كل ذلك فإننا نرى أن هناك ثلاث خطوات أساسية يجب على الأمة أن تراعيها لتضطلع بمسئوليتها وتقوم بدورها وتأخذ مكانتها:

١. أن تستعيد الأمة العربية والإسلامية الثقة بنفسها وإحساسها بكرامتها الإنسانية وقدرتها على استرداد حريتها السياسية.

٢. أن تختار الأمة منهاجها الذى يحقق لها العزة والسعادة فى الدنيا والآخرة، وهى لن تختار إلا الإسلام، وما أبعدت عنه إلا مكرهة مقهورة.

٣. أن تختار القيادة القوية الأمينة على مصالح الأمة والقادرة على حشد طاقات العالم العربى والإسلامى، لأن مواجهة الخطر اليهودى ليس واجبًا عربيًا فحسب، بل هو واجب إسلامى، وتحرير فلسطين والعالم العربى من قبضة الصهيونية هو واجب كل مسلم جاد على ظهر الأرض.

وحينئذ يتحقق موعود الله لخير أمة أخرجت للناس - أمة محمد ﷺ -

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ [النور: ٥٥] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾ [الإسراء: ٥١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

أمريكا ذلك الجبار.. سينهار ويهزم

.....

فالله أعلى وأعز

.....

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى
١٧ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ
٧ من مايو ٢٠٠٤م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه... وبعد،

يشهد العالم الآن حالة من الظلم والعدوان ومن القرصنة والإرهاب ومن الوحشية والطغيان، تتمثل بكل ما تحمل هذه الكلمات من معانى فى الممارسات الأمريكية البشعة التى تعود بالإنسانية إلى الوراء، وتقنن لشريعة الغاب وتتراجع بعالم الإنسان الذى كرمه الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الاسراء: ٧٠] إلى عالم الحيوان المفترس آكل لحوم البشر...، ويتجلى ذلك واضحًا للناظر فى تاريخ العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن حيث ظهرت حماقة وصلف وبربرية أمريكا المدفوعة بجنون القوة الغاشمة وبمكر الصهيونية العالمية التى تعادى كل البشر... فلقد ضربت أمريكا اليابان بالقنابل النووية فى (هيروشيما ونجازاكى) بعد أن حسمت الحرب وانتهت فسالت دماء مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء وتم القضاء على كل أنواع الحياة فى هذه الجزر.. ومازال الناس يعانون من آثار السلاح المحرم دوليًا حتى الآن؛ ثم ضربت أمريكا الفيتناميين بالنابلم فأحرقت البشر والشجر فى مأساة لم يُعرف لها مثيل فى التاريخ...، ثم وقفت أمريكا إلى جانب

الصهيونية واغتصبت أرض فلسطين من أهلها ومكنت لليهود فيها بمعاونة ومباركة من بريطانيا وغيرها لتنسج خيوط مأساة إنسانية مازالت قائمة حتى يومنا هذا وعلى مدار أكثر من خمسين عامًا.

ثم وقفت أمريكا مع الصهاينة فى عدوانهم على مصر عام ١٩٦٧م وساندتهم بالسلاح وبالمال وبالمواقف الداعمة لهم على طول الخط فى الأمم المتحدة، وساعدت أمريكا إسرائيل فى ضرب أطفال مصر فى مدرسة (بحر البقر).

وكانت أمريكا حليفة إسرائيل وقاتلت معها ضد قواتنا فى حرب عام ١٩٧٣م وأيدتها وأمدتها بكل ما تحتاج إليه.

ودأبت الإدارة الأمريكية على إحداث الفوضى فى العالم ونشر الفتن وبث الكراهية داخل المجتمعات، ومارست فى ذلك العديد من أعمال الاغتيالات والانقلابات والتدخل السافر فى شئون الدول حتى طال الأمر الاتحاد السوفيتى السابق الذى انهار... وخلا لأمريكا العالم لتبيض وتفرخ وتمكر وتتآمر وتخطط وتدبر وتعتدى وتدمر وتبطش وتقتل كيفما يحلو لها... ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ولقد تفاقمت الأحداث وادلهمّ الخطب فى السنوات الأخيرة وظهر الأمر واضحًا جليًا وبات الناس يرون أمريكا ذلك الجبار الظالم المتغطرس رأى العين، فها هى أمريكا تقف بكل قوتها وبطشها فى خندق واحد مع الصهاينة ضد الفلسطينيين العزل من السلاح وتستخدم حق النقض (الفيتو) أكثر من ثمانين مرة لصالح الدولة العبرية التى تقتل بالسلاح الأمريكى الأطفال والنساء والشيوخ وتهدم البيوت وتقتلع الأشجار والزروع ولا ترقب فى الناس إلاً ولا ذمة، وتستخدم أخس الأساليب وأحط الوسائل لتغتال الرجال المجاهدين من

أبناء المقاومة الفلسطينية، وتبارك أمريكا ذلك بل تشجع إسرائيل عليه.

وها هى أمريكا تغزو العراق وتهدم بنيانه وتنشر الفوضى فى ربوعه، كما فعلت من قبل فى أفغانستان، وتدعى فى وقاحة وتبجح أنها تريد أن تحرر الناس وتنشر الديموقراطية!! أى حرية تلك؟ وأى ديموقراطية هذه؟ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً﴾ [الكهف: ٥] زعموا أن الهدف أسلحة الدمار الشامل فلم يجدوا منها شيئًا، وكذلك قالوا: إنهم يريدون تخليص الشعب فى العراق من ظلم الديكتاتور ومن عدوانه على الناس وتعذيبه إياهم واعتقاله لهم!! فماذا يفعلون هم الآن!؟ ماذا يفعلون فى (جوانتاناموا) وفى سجن (أبوغريب)؟ هؤلاء هم جند أمريكا الخاطئون يعتدون - كما شهد الشهود منهم - على كرامة الإنسان بأبشع صور العدوان... يا لها من مأساة حية وصرخة مدوية ووصمة عار فى جبين الإنسانية - إن صمتت عليها - إنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان؛ ما هذا السفه؟ وما هذه الحيوانية البشعة ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

هل هذه هى الحضارة الأمريكية!!؟

هل هذه هى حقوق الإنسان؟

هل هذه هى الحرية؟

هل هذه هى الديموقراطية؟

«ما هذا إلا إفك مبين»

لقد عاش الناس فى العالم أكثر من ألف عام فى ظل الحضارة الإسلامية فما وجدوا منها إلا العدل والحق وصيانة الحقوق لغير المسلمين

سواءً بسواء مثلما كانت مصانة للمسلمين واسألوا التاريخ ماذا فعل عمر بن الخطاب مع ابن عمرو بن العاص -والى مصر- عندما اشتكى منه القبطي؟ اسألوا التاريخ ماذا كان موقف عثمان بن عفان مع من قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؟ ولم يكن القاتل مسلمًا؟ اسألوا التاريخ كيف نزح اليهود من الأندلس مع المسلمين إلى شمال أفريقيا إلى دول المغرب الإسلامى وإلى تركيا بحثًا عن العدل والرحمة وحُسن الجوار، فى ظل الخلافة الإسلامية، وهذا سر وجودهم حتى الآن فى تلك البلاد، اسألوا التاريخ ماذا فعل المسلمون - وما زالوا - مع أقباط مصر - إخواننا وشركائنا فى الوطن -؟ اسألوا التاريخ لماذا لم يصلى عمر بن الخطاب داخل الكنيسة فى فلسطين؟

تلكم كانت حضارتنا، وها هى حضارتكم تطل علينا وقد استعرت النيران فى قلوب هؤلاء الأمريكان وبدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أعظم وباتوا أعداءً مع الصهاينة للبشر فماذا تظنون وما هو سبيلكم للخروج من هذا المأزق الذى وضعتم فيه العالم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

نحن نعرف ماذا نريد وما الذى يجب علينا أن نفعله مع أنفسنا ومعكم فاسمعونا وتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم قبل أن يغشاكم الطوفان وستهزموا ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ اسمعونا قبل فوات الفرص وقبل ضياع ما تبقى من إنسانية على الأرض:

أولاً: أيها الشعب الأمريكى أنتم تدفعون ثمن بغض العالم لكم بسبب حماقة قيادتكم، فهل أنتم عن ذلك راضون؟ غيِّروها إن لم تكونوا!! وقفوا أمامها لتكف بطشها وظلمها عن العالمين.. ونحسبكم على ذلك قادرون،

ونظنكم عن تصرفات حكوماتكم غير راضين، فمدوا أيديكم لنا ونحن نحب أن نقول لكم: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] وأنتم أولوا علم وبصر فافعلوها ولن تجدوا منا إلا كل خير.

ثانيًا: أيها العالم الحر المتحضر، يا شعوب الأرض ويا حكام الدول: أنتم مسئولون عن التغول الأمريكى الذى اعتلى ظهره الصهاينة... وإن سكتُّم فعليكم سيحل الدور لا محالة..، فتحركوا وأوقفوا هذه التصرفات الحمقاء من عصابة بوش والصهاينة قبل أن يؤدى ذلك - لا قدر الله - إلى حرب عالمية أخيرة تأتى على الأخضر واليابس.

ثالثًا: يا شعوب العرب والمسلمين هاأنتم تعيشون مرحلة العدوان عليكم والتهديد المستمر لأبنائكم ونسائكم وأطفالكم، فماذا تنتظرون؟.. لابد أن تقفوا ضد أمريكا - نعم كلنا ضد أمريكا وضد الصهاينة - مع المقاومة فى فلسطين ومع المقاومة فى العراق، قاطعوا أمريكا، اغضبوا ولا تتعاملوا معهم ولا مع من يتعامل معهم، لا تشتروا بضائعهم، لا تروجوا لمنتجاتهم، لا تزوروهم ولا تستقبلوهم، ارفضوا ثقافتهم ونموذج حياتهم، طالبوا حكام بلادكم بقطع العلاقات معهم فلا تجارة مع أعداء البشر والمعتدين على كرامة وشهامة وإنسانية الرجال والنساء، أين أنتم يا أحرار؟ أين أنتم يا أحفاد صلاح الدين.. وقطز.. والعز بن عبد السلام؟ ادعموا إخوانكم المقاومين بالمال.. بالدعاء.. بالوعى.. بالتواصل.. وبغير ذلك، ولن تعدموا الوسائل لنصرتهم.

رابعاً: أما حكامنا فنقول لهم: سامحكم الله، ماذا فعلتم بنا؟!! وماذا أنتم فاعلون الآن مع أعدائكم وأعدائنا؟ وامعتصماه.. وامعتصماه..

وامعتصماه..؛ لاتنسوا أنكم غدًا ستقفون بين يدى الله سبحانه القادر القاهر فوق عباده المعز المذل وستُسألون: ماذا قدمتم لشعوبكم؟ ماذا فعلتم مع من اعتدى على أعراضهم؟... أعدوا لذلك إجابة يوم لا ينفع الحارس ولا الحراس ولا الحاجب ولا بطانة السوء.

مازالت أمامكم فرص.. ومازال الوقت لصالحكم إن تصالحتم مع شعوبكم وانحزتم إليها، فأرونا فى مؤتمركم - إن انعقد - ما يجعلنا لكم جنودًا فى الحق إن أردتم... فهل أنتم فاعلون؟ نحن لا نطالبكم بإعلان حرب ولا بضرب عدو، فقط نطالبكم باستنفاذ ما دون ذلك من وسائل.. وهو كثير، اقطعوا العلاقات أو على الأقل جمدوها أو حتى راجعوها!! أعلنوا العصيان وقولوا لأمريكا: نحن مع الشعوب ولسنا معكم ولا مع إسرائيل؟ لقد سقطت أوراق التوت ولم يعد هؤلاء وهؤلاء يحترمون أحدًا واذكروا أننا نؤكل جميعًا يوم أُكلت فلسطين والعراق.

نصبر معكم على الجوع ولكننا أبدًا لن نصبر على الذل ﴿... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [المنافقون: ٨].

خامسًا: إلى أهلنا فى العراق وفى فلسطين نقول لكم: صبرًا صبرًا فالله معكم ونحن معكم - والله - بكل ما نملك فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين.

ولقد رأينا والدنيا معنا والله من فوق سبع سماوات أنكم مظلومون ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، ولكنكم رجال صادقون - وما شهدنا إلا بما علمنا - تقاومون الظلم وتأبون الضيم، أوجعتم الأعداء فى قلوبهم بجهادكم الصادق فبات الصهاينة فى خوف وقلق وحار الأمريكان وذلوا وتخبطوا وخسئوا ومازالوا، وما أحداث الفلوجة عنا ببعيد ﴿لا

﴿يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، فاتحدوا وتعاونوا وشدوا على عدوكم وكونوا على قلب رجل واحد والله ناصركم ومؤيدكم وإن تخلت عنكم الدنيا، وكفى بالله نصيرًا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

سادسًا: وإلى أبناء الدعوة الذين يحرصون على الموت حرص أعدائهم على الحياة - ولا نزكيهم على الله - نقول لهم: الإسلام بخير والمسلمون - إن شاء الله - منتصرون، ولكن لابد لهم أن يدفعوا ثمن النصر وضريبة الحرية والتمكين، ولقد استيقظ الإسلام فى نفوس أبنائه بفضل الله ثم بفضل صبركم وثباتكم وحكمتكم فاحرصوا على ذلك وادعوا إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة وكونوا دائمًا رسل الخير والرحمة فى مجتمعاتكم أينما كنتم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.. هذه دعوتنا.. هذا إسلامنا.. الإسلام الصحيح الكامل كما تنزل على رسول الله ﷺ نقدمه للناس كافة، فى تواضع وعزة من غير إفراط ولا تفريط ننصر إخواننا ونحسن إلى جيراننا ونحرص على هداية الناس أجمعين، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الوحدة الإسلامية

. . . .

فريضة وضرورة!!

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٢٤ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ
١٤ من مايو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه..

يفرض الحديث عن الوحدة الإسلامية نفسه هذه الأيام إزاء ما يشهده عالمنا ومنطقتنا من تطورات.. فضعف واقعنا وتردى أحوالنا يستوجب البحث عن أسباب القوة وعوامل النهوض، وفى مقدمتها تحقيق وحدتنا، ورص صفوفنا، وضم جهودنا.. وقرب اجتماع مؤتمر القمة العربية القادم فى تونس يجدد الأمل فى إمكان السير - ولو بقدر - نحو تضامن عربى أو وحدة عربية أصبح لا محيص عنها، للخروج من النفق المظلم الكئيب الذى وضعنا فيه تخاذل أولى الأمر منا الذين طالما صمّوا آذانهم عن نداء شعوبهم، وأشواق أمتهم، وضرورة واقعهم بضم شتات الأمة فى وحدة جامعة.

توسيع الاتحاد الأوربى:

غير أن أقوى ما يثير فى النفس الحديث عن الوحدة الإسلامية هو ما قرره الاتحاد الأوربى من توسيع نطاق عضويته ليضم إليه عشر دول جديدة من وسط وشرق القارة الأوربية، ليصبح اتحادًا عملاقًا

يضم خمسًا وعشرين دولة، وهى خطوة جديرة بالنظر والتأمل من قوم أقوياء يبحثون عن تعزيز قوتهم فى عالم لا يحترم إلا منطق القوة، ولا يقيم وزنا للضعفاء والمستضعفين الذين لا يحسنون غير التشكى والألم.. ولقد كانت تلك الدول منذ عقود يسيرة من الزمن تنقسم فيما بينها أشد الانقسام، وتتحارب حرب إفناء، وتتوارث الضغائن والإحن.. ألم تشهد أوربا فى القرن الماضى حربين عالميتين تركتا كثيرًا من دولها خرابًا، ومن مواطنيها قتلى ومصابين، وخلَّفت ذكريات مريرة من العداء؟ ثم انقسمت بعد ذلك إلى فريقين متعاديين: رأسماليين وشيوعيين، ثم ها هى ذى اليوم تتناسى ذلك كله، وتجتمع فى صعيد واحد على اختلاف نظمها وأعراقها، وتباين قوى اقتصادها، فما أنفت دولها الغنية من ضم دولها الفقيرة، بل هى تمد لها يد العون حتى تعلو جميعها معًا.. وهو اتحاد يحتفظ – مع ذلك – بنقائه الدينى ما استطاع، بعدما خدعتنا دوله طويلاً بأنها علمانية لا شأن لها بالدين، فلا يضم إليه حتى الآن إلا دولاً مسيحية، وقد أبى أن تدخل فيه تركيا المسلمة، وآثر ضم دولة القبارصة اليونانيين، ونفى عنه القبارصة الأتراك المسلمين، رغم رفض الأولين مشروع الأمم المتحدة لتوحيد شطرى الجزيرة، واستهانتهم بتهديدات دول أوربا إن لم يقبلوه، فى حين قبله المسلمون فما نالوا من أوربا بغيتهم..

لقد ذابت عصبيات الشعوب التى تنتمى إلى أصول سلافية وجرمانية ولاتينية ويونانية لتكون اتحادًا واحدًا، وتناسى الألمان والفرنسيون والإنجليز سنوات الصراع بينهم، ودخلت بولندة والمجر واستونيا ولاتفيا الشيوعية سابقًا فى أحضان الدول الرأسمالية العتيقة دون حرج أو تأفف.. وأصبح المواطن الأوربى يجوب دول الاتحاد من شرقها إلى غربها بجواز سفر أوربى واحد.

وفى ذلك الدرس المبين لأمتنا العربية والإسلامية، أمة القرآن الواحد

والإله الواحد والتاريخ الواحد والمصير الواحد؛ تلك الأمة التى لا تعرف دولها صراعًا عرقيًا أو مذهبيًا يحول دون وحدتها، لكنها أبتليت باستبداد سياسى وخيم، وقصور نظر وأنانية ضيقة لدى نظمها الحاكمة المتسلطة التى تعلو لدى أصحابها قيمة كرسى الحكم على مستقبل الأمة، مع أن ما يحيطها من خطر لن يُبقى كراسى ولا محكومين.

وحدتنا الإسلامية:

إن السمة الأبرز لهذه الأمة الإسلامية هى أنها أمة التوحيد والوحدة.. ومن الواضح عبر مسيرة التاريخ أن هذه الأمة لا تصل إلى الوحدة الحقيقية إلا من خلال استمساكها بعقيدة التوحيد الحق، وبقدر تفريطها فى عقيدتها تصيبها آفة التفرق والاحتراب الداخلى، ويربط القرآن الكريم بين التوحيد والوحدة فى نصوص واضحة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

ويسعى القرآن الكريم دائمًا إلى تذكير المسلمين بحقيقة أنهم أمة واحدة، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وينهى أشد النهى عن التفرق والاختلاف ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى ناعيًا على أهل الأهواء تفرقهم بكفرهم، محذرًا من سلوك سبيلهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

فالتفريق بين المؤمنين سبيل الشيطان ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] وهو سبيل أعداء الأمة المتربصين بها من الداخل والخارج، فمن الداخل يجتهد المنافقون فى إثارة العداء والفرقة بين المؤمنين، حتى لو كان ذلك من خلال لافتات براقة خدّاعة تشق الصفوف، وتوقع الفساد فيها ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وإثارة الفرقة هو سبيل الفراعنة المتجبرين الذين يخشون وحدة أهل الحق وجند الإيمان ويرون عزهم فى إذلال المؤمنين وفرقتهم ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

أما الكافرون فمنذ القدم كان شعارهم مع المؤمنين «فرِّق تسد»، وما استطاعوا أن ينالوا من المؤمنين إلا بتفرقهم وضرب بعضهم ببعض.

تعميق الإسلام للأخوة:

رسخ الإسلام هذه الأخوة من خلال تشريعاته وأخلاقه ومعاملاته، فجاءت أركان الإسلام الخمسة جميعًا تكرس معنى الوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية.. والمسلمون جميعًا على امتداد الأرض يخضعون لتشريع إلهى واحد يجمع بينهم، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، ويفترض الإسلام انقياد المسلمين جميعًا لمنهج سياسى واحد، وفرض عليهم طاعة أولى الأمر منهم ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

ويأمر أتباعه أن ينهضوا جميعًا لصد أعدائهم، ويعد الجهاد فرض عين إذا اعتدى على أى أرض مسلمة، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ونصرة المستضعفين من المؤمنين فريضة ما أمكن ذلك ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وذلك استشعار بمبدأ الأخوة الإسلامية التى تسعى إلى إعزاز المسلمين جميعًا ورفع الضيم عنهم ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ووضع الإسلام قواعد أخلاقية إيمانية لدعم الأخوة الإيمانية وحمايتها من كل ما يعكر صفوها، ويعرقل سبيل عملها.. فأمر بالتعاون على البر والتقوى، وترك الإثم والعدوان، وقال ﷺ «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

وأمر الإسلام بالإصلاح بين المؤمنين حين يتناوشهم الشيطان، ويوقع بينهم العداوة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وأقر للمسلم فى عنق أخيه حقوقًا «المسلم أخو

المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» وقال ﷺ: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس».

ومن أجل الأخوة الإسلامية نهى الإسلام عن كل ما يسىء إليها، قال ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، بحسب أمر مسلم من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، فإن ظهر بين المسلمين تظالم وبغى كانت الأمة كلها مطالبة برده والتصدى له من خلال تشريع الإسلام الخالد بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقيام الأمة المسلمة بتلك الفريضة هو سر خيريتها وأفضليتها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

الأخوة شرط النصر والتمكين:

إن تحقيق الأخوة بين المسلمين شرط لتحقيق النصر على أعدائهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، فإن فقدت من معسكر الإيمان أو تراجعت وضعفت حلت بهم الهزيمة ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

درس التاريخ:

لما كان المسلمون أمة واحدة سادوا الدنيا بالعدل قرونًا من الزمان، ومن يراجع حالات الانتصار الإسلامى سيجدها جميعًا رهينة بتحقق وحدة هذه الأمة، سواء فى غزوات الرسول ﷺ، وفتوحات المسلمين التى شملت معظم أرجاء العالم المعروف آنذاك، أو فى رد فعل المسلمين على هجوم أعدائهم فى حالات ضعفهم الطارئ عليهم.. كما حدث فى استعادة القدس من الصليبيين ثم طردهم من بلاد الإسلام، وكما حدث فى مواجهة التتار وكسر موجة طغيانهم التى هددت الحضارة الإنسانية بأسرها..

فلما ضعف توحيد الأمة ضعفت وحدتها.. وتكالبت عليها قوى الأرض.. وقد فطن أعداؤنا إلى أن سر قوة المسلمين فى توحدهم ووحدتهم، فأضعفوا التزامهم بدينهم، وزينوا لهم شهوات الأرض، ثم ضربوا وحدتهم السياسية التى ظلت سياجًا للأمة الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى حين استشرى الاستعمار الغربى لبلادنا، واستفحل الغزو الفكرى، وتمت تنشئة أجيال من المسلمين على عين الغرب، جعلوهم صفوة مجتمعاتنا ورواد نهضتنا، وهم فى الحقيقة سر نكبتنا، ورسل الغزاة فينا.. وبدل الوحدة الإسلامية العامة تم الترويج للوطنية الضيقة والقوميات العمياء، وجعلوا من هذه وتلك عدوًا للفكرة الإسلامية، لا سبيلا إليها.

الوحدة هى الرد على محاولات الإذلال:

إن الحديث عن الوحدة الإسلامية ليس حديثًا فكريًا باردًا، ولا ينبغى أن يكون، إنه حديث عن أصل من أصول التصور الإسلامى، لا يكون تصورنا للإسلام صحيحا إلا به.. وهو حديث عن ضرورة واقعية لا محيص عنها لتغيير

واقعنا نحو الأفضل.

إن ما يتعرض له المسلمون فى شتى بقاع الأرض من عدوان وعنت وتآمر وكيد لا سبيل لمواجهته إلا بالوحدة، وما كان ذلك العدوان ليحدث لو كان المسلمون أمة واحدة، مَنْ للمسلمين فى بورما والفلبين وأفغانستان والشيشان ونيجيريا والسودان؟ ومَنْ لجرحنا الدامى فى فلسطين والعراق؟ مَنْ لهم فى ظل غياب وحدتنا وضياع هيبتنا؟..

لقد دميت قلوبنا وشعورنا بالخزى جميعًا ونحن نرى أعراضنا تنتهك على يد الأمريكان والإنجليز فى سجون العراق، ورجالنا عراة تسخر منهم فتيات المحتل وصبيته المرتزقة المأجورن، وقادتهم الحاقدون، مع صمت عربى مريب، فلم نجد حاكمًا من حكامنا ثار لكرامة أبناء أمته، حتى الإدانة والشجب خرست دونها الألسنة، وكيف يدينون ويشجبون وهم يرتكبون ما هو أخزى فى سجونهم مع معارضيهم ومخالفين؟ وحسبنا الله نعم الوكيل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿هَـذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [ابراهيم: ٥٢].

***

فى ذكرى اغتصاب فلسطين... المقاومة تفتح آفاقا جديدة

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى
غرة ربيع الاخر ١٤٢٥هـ
٢١ من مايو ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿... فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه، وبعد...

تمر بنا هذه الأيام ذكرى أليمة حيث اغتصب الصهاينة فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٨م أرض فلسطين وبيت المقدس - مسرى رسول الله ﷺ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين - بوعد ظالم من بريطانيا وبدعم وتأييد سافر من أمريكا وبإشراف من الأمم المتحدة التى سيطرت عليها أمريكا فصارت وما زالت وكأنها إحدى الإدارات التابعة للبيت الأبيض، ومنذ ذلك الحين والصهاينة يعيثون فى أرض الأنبياء الطاهرة فسادًا يقتلون الأطفال و يَسْتَحْيُونَ النساء وفى ذلكم بلاءٌ أىُ بلاء، والعالم ينشغل أو يتشاغل عن هذه المأساة إما خوفًا من أمريكا أو طمعًا فى اللحاق بتحالف البغى والعدوان... والدول العربية وجامعتها عاجزة عن أن تقدم للقضية ما تحتاجه من جهد يدفع الظلم والعدوان الذى يقع على أهل فلسطين.

لقد أوقد العدو الصهيونى نيران الحروب فى

المنطقة بدعم من أمريكا وقياداتها المتتابعة بالسلاح وبالمال وبالمواقف السياسية فكانت حرب ١٩٤٨م، وعدوان ١٩٥٦م على مصر بالتعاون مع بريطانيا وفرنسا، ثم كانت الهزيمة المرة من خلال عدوان ١٩٦٧م حيث استولى الكيان الصهيونى على سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة، ثم أذن الله بنصر ١٩٧٣م، ليكون لنا عبرة ودرسًا بأن الله ينصر من ينصره، ومن ينكص فإنما ينكص على نفسه وما الله بغافل عما يعمل الظالمون... وكادت الآمال أن تتحقق وحاق بالصهاينة مكرهم وما كانوا يعملون، إلا أن أمريكا بمكرها ودسائسها مع عجز الحكام وميل بعضهم إلى الدعة والراحة وترك الجهاد أعطى لأحفاد القردة والخنازير الفرصة ليكروا علينا مرة أخرى وتلك الأيام نداولها بين الناس، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

[آل عمران: ١٥٢].

إن الدماء الزكية التى سالت على أرض فلسطين فى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى فى ملحمة جهاد الرجال المخلصين من العرب والمسلمين فى كتائب الإخوان المسلمين لم تذهب أدراج الرياح؛ بل كانت ﴿... كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وإن ما تلا ذلك من مقاومة للاعتداءات على بلاد المسلمين عبر أكثر من خمسين عامًا كانت الزاد الدائم والمعين الذى روى تلك النبتة الأولى، ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ، إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وتفجرت المقاومة فى فلسطين من جديد منذ أكثر من عشر سنوات فأقضت مضاجع الصهاينة وأقلقت سادتهم وكبراءهم فى أمريكا وأعضاء التحالف وتنادوا لمواجهتها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ولم يفلحوا أن يوقفوا هذا المد الربانى المتدفق.. وهل يستطيع بشر أن يطفئ نور الله؟ ولما بغى الأشرار واعتدوا على العراق هب الشعب العراقى وبذات الزخم ليقاوم المحتل الآثم المتكبر، وها هو الشعب العراقى الآن يقدم ثمنًا غاليًا مباركًا لنيل حريته وطرد المستعمر الأجنبى من فوق ترابه، وتلوح فى الأفق أقواس نصر لعله يكون قريبًا بإذن الله، ومع ذلك فالإدارة الأمريكية ما فتئت تهدد دولاً أخرى حول العراق كسوريا وإيران، وتلوح بالتهديد للسعودية ومصر، وتروج للانفصال فى جنوب السودان لإضعافه، وتحاول فرض هيمنتها على المنطقة كلها بمبادراتها المرفوضة.

الطغاة وحزب الشيطان المستعمرون من الصهاينة وجيوش أمريكا وبريطانيا يعتدون ويتعاونون على الإثم والعدوان، والشعوب العربية والإسلامية وأهل الأرض المقدسة ومن حولها يقاومون ويقفون فى تحد وشموخ ضد هذا الحلف الباغى المتجبر والله معهم ولن يترهم أعمالهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فحَىَّ على المقاومة... والله من فوق سبع سماوات يسمع دعوات المظلومين ويرى ظلم الظالمين، وهو من ورائهم محيط.

وفى الغد القريب تنعقد القمة العربية لقادة دول المنطقة، فهل يخرج عن اللقاء قرارات ومواقف لصالح المقاومة؟

١- إن المقاومة تحتاج لمساندة شعوب المنطقة جميعًا، فهل يترك الحكام

شعوبهم لتساهم فى المقاومة؟ أم يقفون - كما يفعل البعض منهم - ضد شعوبهم فيضعفونها ويباعدوا بينها وبين أن تؤدى دورها فى دعم وممارسة المقاومة؟ الشعوب تريد أن تفك أغلالها لتقاوم مستعمرى القرن الحادى والعشرين الذين يستهدفون الحكام والشعوب، وتوشك هذه الجماهير المخلصة أ ن تكسر القِيد وتأسر السجان، فيا أصحاب القمة: اتركوا البخار يخرج من قدره ليحرق أعداءكم وأعداء شعوبكم... يا قادة القمة: لاتقتلوا أبناءكم ولا تعتقلوا أسود بلادكم وخلوا بينهم وبين المستعمرين وإلا فضباع المستعمر ستأكلكم أنتم!! ونظنكم ترون ذلك رأى العين الآن.

٢- والمقاومة تحتاج إلى الدعم السياسى بمواقف الدول فهل تفعلونها؟ وتكونوا جبهة واحدة فى المؤسسات والمنظمات الدولية ويكون دائمًا رأيكم على قلب رجل واحد.. نعم للمقاومة ولا للاستعمار والهيمنة.

٣- والمقاومة تحتاج إلى المال لشراء الطعام والدواء والكساء، والبعض يتبرع بماله لجمعيات حقوق الحيوان فى الغرب!!! ألا ترون أن الواجب والنخوة العربية والأخوة الإسلامية تحتم عليكم أن تدفعوا لأهل المقاومة بعض زكوات أموالكم؟ ولا تحسبوا لهراء أمريكا والصهاينة أى حساب حين يهددون بأن ذلك دعم للإرهاب، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

٤- والمقاومة تحتاج إلى فتح الحدود مع الشعوب المقاومة لتسهيل وتسيير قوافل الغوث بالغذاء والدواء وإسعاف الجرحى، فهل تفعلون ذلك؟!

٥- والمقاومة تحتاج إلى التدريب وإلى السلاح، وأمريكا تفتح أبواب ترسانة أسلحتها للصهاينة ليأخذوا ما شاءوا وليفعلوا به ما يشاءون وتستخدم جيوشها كل أنواع الأسلحة ضد شعب العراق المُعتدى عليه، فما هى الغرابة فى أن تمدوا المقاومة بالسلاح؟

٦- والمقاومة تحتاج لإضعاف أعدائها، فهل تعلنون المقاطعة الكاملة للصهاينة والأمريكان فى كل المجالات لتكون هناك فرصة للاعتماد على الذات وعلى كل ما هو عربى وإسلامى؟

٧- والمقاومة تحتاج إلى الدعم الإعلامى الذى يفضح ممارسات الصهاينة والأمريكان، ويُعلى شان المقاومة والمقاومين، ولذلك أثر كبير على معنويات الرجال وعلى نتائج المعركة، فهل تتفقون على توظيف وسائل الإعلام فى ذلك؟

٨- والمقاومة تحتاج إلى فتح مكاتب لها فى عواصمنا العربية والإسلامية لتكون منافذ ومتنفسات للمقاومين الواقفين على خط الدفاع الأول عن الأمة بأسرها، فهل تتخذون هذا القرار؟

٩- المقاومة تحتاج إلى عقد المؤتمرات والندوات والتعريف بطبيعتها وإظهار حق الشعوب فى الدفاع عن نفسها وتعريف العالم بالظلم والطغيان الواقع على الشعوب فى هذه المنطقة، فهل تتعاونون على ذلك؟

١٠- المقاومة تحتاج لكم أنتم... أن تشجعوها وتظاهروها وتعلنوا وقوفكم فى خندقها بالقول والفعل، ولِمَ لا والعدو أعلن عن أهدافه وأبان عن نواياه وامتشق سيفه وهَمَّ بضرب الرقاب وأنتم أيضًا مستهدفون، فلا تترددوا واحزموا أمركم واعملوا على نصرة

المظلومين... فانصروا شعوبكم تكن لكم، وانصروا الله ينصركم، ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، وتذكروا أن النصر قادم من عند الله والشعوب المقاومة ترفع راياته.. فإما أن تسيروا أمامها أو على الأقل تلحقوا بها، وإما فالطوفان لا ينظر تحت الأقدام.

هذا ما نتمناه ونرجوه منكم ندعوا الله أن يوفقكم له، والشعوب تقف وقفتها الآن وتشتاق إلى العدل والإنصاف لتؤدى دورها وتدفع ثمن حريتها واستقلالها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

أما أبناء الدعوة.. العاملون تحت راية الإسلام فهم - بفضل الله - بخير، يحبون أوطانهم ويحرصون على التضحية فى سبيل عزتها وسلامتها.. ونقول لهم: - وهم إن شاء الله عند حسن الظن بهم - ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، ويا أيها المجاهدون الكرام: ﴿... اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا، والله الله على جلاديكم، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فاللهم ارزقنا الصبر وسعة الصدر والثبات على الحق، إنك على ما تشاء قدير، ﴿... وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم

***

حديث عن نتائج القمة العربية والإصلاح

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
٩ من ربيع الآخر ١٤٢٥هـ
٢٨ من مايو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فقد انعقد مؤتمر القمة العربى بتونس - أخيرًا - ثم انفض، وهو أكثر تلك المؤتمرات إثارة للجدل وأشهرها، بعدما تعرض للتأجيل من قبل فى شهر مارس الماضى، وتكاتفت الجهود لإنقاذه لينعقد بعد نحو شهرين فى ظروف غاية فى الحرج والدقة والصعوبة تمر بها أمتنا، وتعانى فيها شعوبنا، ليصبح مجرد انعقاده واجتماع القادة العرب فيه محمدة ونعمة، إذ يُبْقى على كيان الجامعة العربية الذى أصابه الضعف والهزال، ولو انهار ذلك الكيان فى هذا الظرف التاريخى العصيب لكان من الصعب أن يعود مع ما نشهده من عجز سياسى عربى عن الفعل والبناء..

لقد سبق تأجيل موعد انعقاد هذه القمة العربية على نحو مفاجئ وغير لائق فى مارس الماضى، وقبلها بأيام كان اغتيال شيخ المجاهدين فى فلسطين أحمد ياسين – رحمه الله - فى حادث مهيب هز ضمائر ومشاعر المسلمين والعرب قاطبة، وكان مطلوب من القادة العرب آنذاك أن يجدوا إجابة شافية للسؤال الكبير الذى يطرحه الشارع العربى: ماذا أنتم فاعلون؟؟ وربما وجد بعضهم فى تأجيل الاجتماع منجاة من الحرج، وتلافيًا

للإجابة.. ولكن السؤال المتجدد والأليم عاد يتردد عشية انعقاد القمة فى مايو الحالى، إذ سبقه الغزو الصهيونى المريع لغزة، والجرائم التى ارتكبت فى رفح، من قتل وتشريد وهدم المنازل وضرب المتظاهرين بالقنابل والصواريخ، وليعلن الصهاينة عن نواياهم فى توسيع الشريط الحدودى مع مصر – فيما سموه محور فيلادلفيا – لمسافة تزيد عن كيلو مترين، وإقامة خندق مغمور بالمياه بعمق عشرين مترًا وعرض من ٦٠ إلى ٨٠ مترا، وبطول يمتد من ساحل البحر المتوسط بمحاذاة الحدود المصرية إلى ١٥ كيلو مترا.. فى سبيل ذلك تهدم بيوت أهلينا فى فلسطين على رؤوسهم، وتزال بالجرافات..

وكان السؤال نفسه: ماذا أنتم فاعلون؟ يواجه القادة العرب إزاء ما يحدث فى العراق من جرائم لا إنسانية، تجاوزت حد استباحة الدماء إلى حد استباحة المقدسات الإسلامية وأماكن العبادة.. لقد قتل من أهلنا فى العراق فى شهرى إبريل ومايو فقط زهاء ألف شخص، وقتل المصلون فى المساجد، واقتحمت قوات الاحتلال النجف وكربلاء بكل ما تمثله هاتين المدينتين من مكانة دينية.

أما أخبار التعذيب فى سجن أبى غريب وغيره، وصور انتهاك الأعراض واستباحة الحرمة، فقد امتلأت بها صفحات الجرائد وشاشات التلفاز ومواقع الإنترنت، واعترف بها المسئولون الأمريكان والإنجليز، وغدت عارًا يطارد أبناء الحضارة الغربية بما تحويه من عنصرية وصلف وادعاء كاذب عن احترام الحريات وحقوق الإنسان.

كان كل ذلك يواجه القادة العرب.. أما أمنيات الإصلاح الداخلى وإصلاح جامعة الدول العربية التى دغدغت مشاعر ملايين العرب فى الفترة الأخيرة فقد تجاوزت حد الأمنيات حبيسة الصدور، بعدما وعد حكامنا أن الإصلاح آت من الداخل، بدل أن يفرض من الخارج، «وبيدى لا بيد عمرو»...

حديث استطلاعات الرأى:

ثمة مؤشرات عدة على أن قطاعات من الجماهير العربية لم تكن تعقد آمالا حقيقية على القمة.. وهذا من المؤسف حقًا.. لقد طالعتنا استطلاعات الرأى بما يؤكد ذلك، ففى استطلاع أجراه موقع CNN بالعربية على الإنترنت صوَّت ٩٣٪ من المشاركين فيه بالنفى على سؤال يقول: هل ستكون قرارات القمة العربية على قدر التحديات فى المنطقة؟، فى حين صوَّت ٧٪ فقط بالإيجاب.. وفى استطلاع آخر أجراه موقع قناة الجزيرة القطرية على الإنترنت صوت ٨٨٪ بالموافقة على الرأى القائل بأن اجتماع القمة العربية بتونس سوف يعمق الخلافات العربية!!

وهى نتائج مؤلمة حقًا، وبخاصة أنها تصدر عن جماعات من المثقفين النشطين الذين يشاركون فى مثل هذه الاستطلاعات.. وهى واضحة الدلالة على فقدان قطاعات مهمة وكثيفة من جماهير أمتنا ونخبتها المثقفة والفاعلة الثقة فى قدرة النظام السياسى العربى على التعبير عن آمال الجماهير، وقدرة الحكام العرب على الارتفاع إلى مستوى الأحداث الجسام التى تواجهها أمتنا والتفاعل الإيجابى معها.

وتلك الدلالة شديدة الخطر، فنحن نعيش مرحلة تاريخية عصيبة تستلزم التحام الجماهير بقياداتها، وثقتها فى قدراتها وفى تعبيرها عن قناعاتها، وإن تلك الحال من العلاقة المتردية بين الشعوب والحكام لا تبشر بخير، ولا تخدم إلا أعداء الأمة، ولا أحد يستطيع أن يطالب الشعوب بالثقة فى حكامها قبل أن يطالب الحكام بأن يكونوا على قدر آمال شعوبهم، وإلا فإن مشروعيتهم - المفترض أنها تُستمد من هذه الشعوب - تغدو موضع شك كبير.

الواقع يعزز هذه الشكوك:

ومن المؤسف أيضًا أن تأتى الوقائع بما يعزز هذه الشكوك، فرغم خطورة أوضاعنا - وما تستلزمه من جد فى التناول وصدق فى الأداء - رأينا بوادر التخاذل تسبق اجتماع القمة، حيث اعتذر قرابة نصف حكام العرب عن

حضورها، وأنابوا عنهم من يمثلهم، وغادر آخرون الاجتماع فى جلسته الأولى، أو قبل جلسته الأخيرة، وجاءت صياغة البيان الأخير للقمة وما سمى بوثيقة العهد والتضامن – التى لم تجد عددا كافيا من الزعماء للتوقيع عليها، فوقع عليها وزراء الخارجية بالأحرف الأولى – صدمة للكثيرين، وتعبيرا عن العجز العربى لا تخطئه عين..

• فقد تأجل ملف إصلاح جامعة الدول العربية – رغم إلحاحه وضرورته – إلى القمة القادمة بالجزائر بعد عام.

• أما قضية فلسطين فلم يزد المجتمعون عن ترديد المواقف التقليدية تجاهها، دون اتخاذ خطوة عملية واحدة جديدة، ولما فكروا فى شىء عملى لم يجدوا إلا إعادة تسويق المبادرة العربية - التى أقرتها قمة بيروت منذ عامين – لدى الدول الكبرى.. وإلا نشدان العون من اللجنة الرباعية والولايات المتحدة والأمم المتحدة.. وهو حديث يصدم المشاعر ويثير الغضب، وربما كان عدمه خيرًا من وجوده..، بل إن الدعم المالى لأهلنا الصابرين والمحتسبين هناك لم يحظ من السادة المجتمعين إلا بتكرار المطالبة بالوفاء بالتعهدات المالية المقررة سلفًا لإغاثة أبناء فلسطين، وهى تعهدات نعرف أنها لم تجد كثيرًا من الوفاء فيما مضى..

ومن المؤسف – حقًا – أن بعض الصياغات التى تفتق عنها ذهن القادة العرب، كانت تراجعًا عن المواقف المعلنة قديمًا، ومن ذلك «إدانة العمليات ضد المدنيين بغير تمييز»، مما قد يفهم منه إدانة عمليات المقاومة الفلسطينية ضد المستوطنين اليهود، وكذلك حديثهم عما يجرى فى فلسطين على أنه «عنف وعنف مضاد»..

• أما فيما يخص العراق فلم يتجاوز الأمر الشجب والإدانة لممارسات الاحتلال و«الاستخدام المفرط للقوة»، وانتهاكات حقوق الإنسان، ومن الناحية العملية رأى القادة العرب أن إجراءات إنهاء الاحتلال ملقاة على

عبء الأمم المتحدة فى المقام الأول، وعليها «اتخاذ الإجراءات اللازمة لإنهاء الاحتلال، وانسحاب قوات الاحتلال من العراق، ومساعدة الشعب العراقى على استعادة كامل سيادته على أرضه»..

• ولم يتغير منطق حكامنا حين تحدثوا عن مأساة شعب الصومال الذى يعانى الحروب الأهلية منذ ١٣ عامًا مع ما يلازمها من الفقر والمرض، وتردى الأحوال، وانهيار مؤسسات الدولة، فناشد البيان الرفقاء المتقاتلين الجلوس لمباحثات السلام، وخوَّفهم من تدخل القوى الكبرى لفرض السلام عليهم إن لم يصلوا هم إليه.. إنه ذات المنطق العاجز الذى يرى الحلول كلها آتية من الخارج.. وأنه ليس أمامنا إلا مناشدة الآخرين ورجاء عدلهم وغوثهم.

• أما الحديث عن الإصلاح الداخلى للنظام العربى فكان عجبًا.. إذ لم يعالج أشواق الشعوب نحو الحرية والكرامة إلا بمزيد من الوعود، تلك الوعود التى ملت منها أمتنا طوال عقود من الزمن، ولم تسفر إلا عن مزيد من القيود والتضييق والعنت، لقد تحدث قادتنا طويلاً عن حقوق الإنسان العربى وحريته فى التعبير، وعن «تعميق أسس الديمقراطية والشورى، وتوسيع المشاركة فى المجال السياسى وفى الشأن العام، وفى صنع القرار»..

ولم يقل لنا السادة الحكام العرب ما الذى يمنعهم من ذلك؟.. ما الذى يحول بينهم وبين تنفيذه؟ ولماذا لم يقم حاكم عربى واحد بإعلان عتق شعبه وإغلاق المعتقلات، وإطلاق سراح أهليها، وإنهاء القوانين الاستثنائية، وإعطاء الحرية الكاملة فى إصدار الصحف وتأسيس الأحزاب والمؤسسات، وامتلاك محطات خاصة للإذاعة والتلفاز؟ ولو فعلوا ذلك - بل لو فعله واحد منهم - لكان دليلاً على احترام عقول الناس، بدل تبنى مفردات منظمات حقوق الإنسان فى الدفاع عن الحريات وتأكيد الحق فيها.. وكأن المسئول عن غيابها واغتيالها قوم آخرون!

لقد أضاع حكامنا فرصة تاريخية نادرة لتبنى مبادرة إصلاح عربية حقيقية نابعة من داخلهم بدل أن تفرض عليهم فرضًا.. وليرسلوا رسالة واضحة إلى العالم كله.. أننا أحياء نشعر بما يدور حولنا، ونتفاعل معه، ولسنا مومياوات تتحرك خارج إطار الزمن..

دعوة حكامنا إلى إصلاح الذات:

إن حديث القمة العربية وتداعياتها ينتهى بنا إلى لمس موضع الداء الحقيقى فى حياتنا السياسية والاجتماعية، إن أمر الإصلاح لا يأتى إلا من داخل النفس ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] وإن إصلاح النفس يا حكامنا لا يأتى إلا إثر توبة نصوح، أو لنقل بتعبير معاصر: إثر مكاشفة للنفس ونقد لها ورغبة فى تعديل مسارها، ولا إصلاح إلا بتوبة حقيقية عن كل ظلم وطغيان ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٦٠] ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ [آل عمران: ٨٩] ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦] ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

وعلى حكامنا – إن أرادوا إصلاحًا – أن يصلحوا أولاً ما بينهم وبين الله، وأن يتذكروا أنهم ميتون ثم مبعوثون، وبين يدى ربهم موقوفون ومحاسبون، والحق أنه بغير ذلك المدخل يصبح الحديث عن الإصلاح صرخة فى وادٍ، أو نفخة فى رماد.

ولا توبة بغير استشعار لعظمة الله تعالى، والعبودية الحقة له، وإدراك أن مظاهر الملك والاستعلاء فى الدنيا عما قليل تزول، ثم يمضى الحاكم إلى ربه لا يطلقه من قيوده إلا العدل، فى يوم لا ملك فيه إلا لله تعالى ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، إنه لا حرية للإرادة بغير عبودية لله وحده..

يا حكامنا.. والله إنا لكم ناصحون.. وإنا عليكم مشفقون، وإنا لنستشعر الألم والحسرة حين نرى بعضكم يحسب لأعداء الأمة ألف حساب، ويسعى لإرضاء جبروتهم سرًا وجهرًا، بينما شعبه يئن تحت بطشه ومظالمه، فممن يستمد قوته وشرعيته؟

وإن مما يزيدنا ألمًا أن نرى ذلك الحديث الزائف لديكم عن الحرية وحقوق الإنسان، ونحن نراكم مازلتم تذيقون المعارضة لكم صنوف الأذى، وكأن كل من يجهر بمعارضتكم عدو لكم وللأمة جميعًا، ومنذ أيام قليلة سبقت انعقاد القمة العربية جرت اعتقالات جديدة للإخوان المسلمين فى مصر دون مبرر.. أفى هذا الوقت العصيب تتفتت الأمة؟ وتُضرب قوى الخير والصمود فيها؟ وتُحاك ضدهم الاتهامات الكاذبة؟ ولمصلحة من يجرى مثل ذلك؟

مسئولية الشعوب والعلماء:

وحتى يأذن الله تعالى بصلاح حال حكامنا – وهو ولّى ذلك والقادر عليه – نوجه حديثنا إلى جماهير أمتنا الصابرة، فإن عجز حكامنا وجمود إرادة التغيير عندهم يلقى بالمسئولية المضاعفة على شعوبنا، فإن عليهم واجب البصر الحصيف بالتحديات التى تواجه الأمة، والمشاركة الفعالة فى التصدى لها، إن الذى يدفع الثمن غاليًا فى فلسطين والعراق اليوم هم الشعوب، والذى يتصدى لمواجهة العدوان ويتحمل تبعاته ويقدم الرجال للمقاومة ويدعم جهادهم هم الشعوب.. وقد آن الأوان أن تتخلى قطاعات عريضة من أمتنا عن حياة اللامبالاة بما يدور حولها، والغفلة عما يراد لها، وإن ما تعانيه شعوبنا من الترويع والخوف والقهر لا ينبغى أن يحول بينها وبين المطالبة بحقوقها كاملة، بكل السبل المشروعة المتاحة.. وما ضاع حق وراءه مطالب.. وإن أول الطريق أن نحسن علاقتنا بالله تعالى ونجدد التوبة له ونصدق العهد أن نكون جنودًا أوفياء لهذا الدين

كما نذكّر بأن دعم المجاهدين فى أماكن المواجهة مع العدو فرض عين - فرضه الإسلام - وضرورة حياة، حيث إن دعم خطوط المواجهة الأمامية يحول دون وصول العدو إلى ما وراء ذلك.

وإن التبعة أكبر على علمائنا الذين حباهم الله بموقع الريادة من الأمة، فصوتهم لديها مسموع، وفعلهم مناط التأسى والاقتداء، فلتتكاتف جهودهم، فهذا أوان الجد والخطر، ولمثله تدخر الأمة أفضل رجالها..

ذكرى تحرير جنوب لبنان:

ويأتى حديثنا عن الذكرى الرابعة لتحرير جنوب لبنان على أيدى المجاهدين المسلمين من حزب الله - مدعومين بقوى الخير فى أمتنا - موصولاً بحديثنا إلى شعوب أمتنا وقياداتها الفاعلة من العلماء وأصحاب الرأى، وتأكيدًا على أنه لا عزة ولا نصر بغير تضحية وفداء، وإن الشهادة فى سبيل الله هى أمضى أسلحة المواجهة لعدو لا يفهم إلا لغة القوة، ففى ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٠م انسحبت قوات الصهاينة من جنوب لبنان تحت ضربات المقاومة الإسلامية، بعد طول معاناة وتضحيات.. حيث قدم المجاهدون أكثر من ألف وخمسمائة شهيد - فضلاً عن جموع المدنيين من سكان لبنان - وتكبد العدو نحو ألفًا وسبعمائة قتيل ومئات الجرحى، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]

وإنا ونحن نهنئ إخواننا فى لبنان بهذه المناسبة لندعو فى ذات الوقت أن يكلل الله جهود إخواننا فى فلسطين والعراق بالنصر، وإنه لآت لاريب فيه ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]

فى ذكرى النكبة ٥ يونيو عام ٦٧.. هل استوعبت الأمة الدرس؟

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
١٦ من ربيع الآخر ١٤٢٥هـ
٤ من يونيو ٢٠٠٤م

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين. وبعد؛

فتمر بنا هذه الأيام ذكرى حدث النكبة الكبرى، نكبة ٥ يونيو عام ١٩٦٧م، حيث أصيبت الأمة فى مقتل وذلك بهزيمتها على يد الكيان الصهيونى، والذى لا شك فيه أن خبر الهزيمة وقع على الشباب والرجال والنساء كالصاعقة، إذ لم يكن يتصور أحد – ولو فى الخيال – أن تحدث هذه الكارثة، وبهذا الشكل المأساوى المهين، لقد كانت هزيمة قاسية بكل المقاييس، ومأساة دامية بكل المعايير، تمخض عنها احتلال أرض العروبة والإسلام (سيناء وفلسطين والجولان) وراح ضحيتها عشرات الألوف من الأرواح، ومع كل ذلك الإحساس بالذلة والهوان والشعور بالخيبة والعجز والفشل والعار.. لقد عاش الناس (قبل هزيمة ٥ يونيو) فى وهم كاذب وسراب خادع طيلة خمسة عشر عامًا ظنوا فيها – من خلال الإعلام الزائف وأبواق الكذب التى كانت تطل عليهم بالليل والنهار –، بأنهم ملكوا الدنيا بأسرها وأنهم قادرون فى غمضة عين على القضاء على الدولة التى صنعها الصهاينة على أرض فلسطين، وأن المسألة

لا تعدو أن تكون نزهة خلوية فى ليلة صيف... وحين وقع المحظور أصيب أكثر الناس بالذهول والحيرة والضياع، وعدم الفهم لما جرى، وكيف ولماذا جرى؟! ومرت على الأمة أيام عجاف وليالى نحسات، وأدركت الشعوب - ولكن بعد فوات الأوان - أنها دفعت ثمن الطغيان والاستبداد والجرائم التى ارتكبت فى حقها على يد حكامها من ناحية، وعن خذلانها وصمتها وسكوتها عن هذه الجرائم من ناحية أخرى.

مقدمات النكبة:

إن هناك مؤشرات ومقدمات أدت إلى نكبة ٥ يونيو عام ١٩٦٧م، وتكاد تكون هى هى نفس المقدمات التى تسبق النكبات عادة... فالطغيان والديكتاتورية والاستبداد وحكم الفرد وضياع الحريات، وامتهان كرامة الإنسان أصل كل فساد وسبب كل تخلف، ووراء كل مصيبة وكارثة تحل بالأوطان... وكل هذه المعانى أو بعضها يزرع فى الشعوب الخوف والنفاق، ويؤدى إلى ظهور حملة المباخر وسدنة المعابد (وما أكثرهم) الذين يأكلون على كل الموائد ويتلونون بكل ألوان الطيف... هذه الطغم الفاسدة تنجح عادة فى الالتفاف حول الحكام الطغاة - كما يلتف السوار بالمعصم - وتقوم بعزلهم تمامًا عما يجرى وعما يجب فى حق الشعوب، بل إنها تحاول إخافتهم وإيغار صدورهم عليها وإيهامهم بأنها تتآمر عليهم، وتستعد لقلب أنظمتهم بالقوة، وهو ما يستدعى وأد الحريات ومزيد من الاستبداد، وضرورة إحاطة الحكام بألوف من الجند المدربين على عمليات القمع والبطش وتوجيه الضربات الإجهاضية لكل من تسول له نفسه أن يجهر برأى أو يعترض على قرار...، وتلعب هذه الفئات السيئة دورًا فى تأليه الحكام الطغاة من خلال إضفاء صفات الزعامة والعبقرية والإلهام عليها، فتزداد طغيانًا على طغيان، فالرأى رأيها، والقانون قانونها، والدولة دولتها ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ

سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

كما تسعى أيضًا – بما أتيح تحت أيديها من أدوات وأجهزة ووسائل – إلى تخويف الشعوب وإثارة الفزع والهلع فى نفوسها، وذلك عن طريق البطش بالأفراد والهيئات وقيادات الجماعات، وتلفيق التهم لهم ظلمًا وعدوانًا، وإلقائهم فى غياهب السجون والمعتقلات وإهدار آدميتهم والاعتداء على كرامتهم سنين طويلة.

ولا يفكر الحكام الطغاة إلا فى المحافظة على سلطانهم والاستمرار فى حكم الشعوب أبد الدهر – إن استطاعوا – حتى ولو أدى ذلك إلى استباحة الأعراض والأنفس والأموال، ولا يفيقون – عادة – من غيهم وضلالهم إلا بعد وقوع البلاد فى قبضة الاحتلال.

ويلعب صمت الشعوب الدور الأكبر فى إزكاء الديكتاتورية لدى الحكام الطغاة، ولذا لا ينبغى أن تُعفى من اللوم، فهى الجانى مثلما هى المجنى عليها، وذلك لتفريطها فى حق نفسها وتهاونها فى الدفاع عن حريتها وكرامتها وعزتها، وقد قيل «كما تكونوا يول عليكم»

وقوع الكارثة:

لقد أدت الديكتاتورية والاستبداد وسحق كرامة المواطنين وتغييب الأحرار فى السجون والمعتقلات والخوف من الصدع بكلمة الحق فى وجه الطغيان إلى ضياع الأخلاق وفساد الذمم وخراب الضمائر وفتح الباب على مصراعيه أمام الشيوعية، وهو ما انعكس على التخلف والتقهقر فى شتى الميادين العلمية والتقنية والعسكرية والاقتصادية والزراعية.. إلخ، وكان تخلفًا حضاريًا بالمفهوم الشامل لهذه الكلمة.

وبهذه المقدمات كانت مصر مهيأة كفريسة سهلة أمام عدوان ٥ يونيو

١٩٦٧م، إذ خلال ست ساعات فقط ضُربت مدارج المطارات والطائرات وهى رابضة فى مواقعها، وعاد الجيش المسكين – الذى لم يحارب معركة – منسحبًا من سيناء التى تم احتلالها عن آخرها وأصبحت أجواء مصر مكشوفة تمامًا أمام مقاتلات العدو الصهيونى... حتى الجولان، تلك الهضبة ذات التضاريس الصعبة تم الاستيلاء عليها فى دقائق، وانهار كل شىء، وانكشف المستور، وفاحت رائحة الخيانة، خيانة شعب بأسره، شعب اعتدى على شرفه وعزته وسيادته...، وأفاقت مصر على هول الكارثة، لقد كنا فى الواقع نعيش هزيمة قبل الهزيمة، هزيمة للقيم والحرية، والإرادة، والإنسان، الإنسان الذى اعتدى على كرامته وامتهنت آدميته.

ولم تكن هذه نكبة على مصر وحدها، وإنما كانت نكبة كبرى على مستوى العالم العربى والإسلامى، فقد أخّرت مصر حضاريًا عشرات السنين وفقدت بذلك دورها المنتظر فى القيادة والريادة وأصبح معظم الدول العربية كالأيتام على موائد اللئام، وانتشرت جراثيم الوهن فى العالم العربى، الأمر الذى أضعف حيوية الأمة العربية وقدرتها على النهوض والتوحد والدفاع عن نفسها ووجودها وحقوقها.

كان من الممكن أن تكون مصر هى القاطرة التى تشد العالم العربى والإسلامى نحو الرقى والتقدم.. وكان من الممكن أن تكون مصر هى الركيزة الأساسية فى تكتل عربى واحد من النواحى الاقتصادية والسياسية والعسكرية والحضارية... وكان من الممكن إنقاذ فلسطين من الكوارث التى ألمت بها، وكان من الممكن ألا تكون هناك حروب فى الخليج، أو إقامة قواعد عسكرية أجنبية بها، أو استيلاء على ثروات الأمة.. وكان من الممكن ألا يكون هناك احتلال للعراق.. وكان وكان.. لكن هكذا كانت نتيجة الطغيان والاستبداد.

وكانت حرب الاستنزاف.. ثم الاستعداد والإعداد الفذ لحرب العاشر من رمضان عام ١٩٧٣م والتى بدأت تباشيرها برفع راية العلم والإيمان، وإعطاء الشعب حقه فى الحرية والإحساس بالأمن والأمان.. وأعيد للجيش المصرى انضباطه وشعوره بالثقة والقدرة على تحقيق النصر واستعادة الأرض والكرامة.

واليـــوم:

واليوم يعيش العالم العربى والإسلامى - بشكل عام - تراجعًا حادًا على المستوى العلمى والتقنى والاقتصادى والعسكرى والحضارى، كما أنه يعانى من تردٍ واضح فى الحريات العامة وانتهاكات حقوق الإنسان، وغياب الديمقراطية، وتزييف إرادة الشعوب، وفى ظل التحديات الخطيرة التى تواجهها أمتنا لم يعد مقبولاً ولا معقولاً أن تُعامل الشعوب على أنها قاصرة لم تبلغ سن الرشد بعد، وأن الديمقراطية يمكن أن تفسدها إذا حصلت عليها جرعة واحدة.

إن الديكتاتورية والاستبداد وحكم الفرد سوف يقودنا لا محالة إلى مالا يحمد عقباه، واقرءوا التاريخ وخذوا منه الدرس والعبرة، إن الإدارة الأمريكية - تحت زعم التبشير بالديمقراطية وحماية حقوق الإنسان - تريد أن تتدخل فى شئوننا، وتفرض الوصاية علينا، وهو أمر جد خطير...، لابد أن نستيقظ قبل فوات الأوان، وأن تحدث هناك مصالحة حقيقية وجادة مع الشعوب، فهى الوحيدة القادرة على مواجهة التحديات والوقوف بصلابة فى وجه من يريد تركيعنا والنيل من سيادتنا... نريد أن نبدأ بالإصلاح السياسى، فهو المدخل الحقيقى لكافة أنواع الإصلاح، ويوم أن تشعر الشعوب بهذه الرغبة الصادقة، فسوف تعطى ثقتها ونصرتها وولاءها لحكامها، وسوف تقف معهم صفًا واحدًا، وسندًا قويًا فى مواجهة أعداء الأمة.

وعلى الشعوب من ناحية أخرى ألا تتراخى أو تتوانى فى المطالبة بحقوقها السياسية والدستورية، وأن تصر – وبالوسائل السلمية – على استرداد مكانتها ومشاركتها فى صنع الحياة وتقرير المصير.. إن الشعوب الحية هى القادرة على إحداث النهضة المنشودة والتقدم المطلوب، وهى القادرة أيضًا على التصدى لكل قوى البطش والعدوان.

المقاومـــــة:

وبرغم ما تعانيه الأمة من تخلف على كافة الأصعدة، إلا أن هناك بشائر نصر تلوح فى الأفق.. فالمقاومة ضد المحتل الصهيونى الغاصب لأرض فلسطين، وكذلك ضد قوات الاحتلال فى العراق تقوم بدورها كحق مشروع فرضه الإسلام وكفلته كافة الأعراف والمواثيق والقوانين الدولية.. ولا شك أن هذه المقاومة تمثل خط الدفاع عن كرامة الأمة وشرفها، ومن ثم لابد من دعمها بكافة أنواع الدعم والمساندة والوقوف إلى جوارها وتأييدها، وما نراه الآن من غليان وغضب واحتجاج على مستوى الشارع العربى والإسلامى يدل على حيوية الأمة وأنها لن تستكين ولن تلين أمام الغاصبين ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

***

مشروع [الشرق الأوسط الكبير] .... والقضايا القومية!!

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٢٣ من ربيع الآخر ١٤٢٥هـ
١١ من يونيو ٢٠٠٤م

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ ومن والاه..

اجتمعت دول القمة الصناعية الثمانى فى جيورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية فى الثامن من يونيو الجارى للنظر فى اتخاذ موقف موحد بشأن مشروع الشرق الأوسط الكبير الذى تقدمت به الإدارة الأمريكية للإصلاح – حسب زعمها – لدول العالم العربى والإسلامى، وقد تمحور هذا المشروع حول ركائز ثلاثة رئيسية هى: إقامة الديمقراطية والحكم الصالح، وبناء مجتمعات معرفية، وتوسيع الفرص الاقتصادية.

وليس هناك من شك أن هذا المشروع سوف يكون «معركة» بوش الثانية (فى حالة فوزه بفترة رئاسة ثانية) بعد «معركة» العراق فى فترة الرئاسة الأولى.. وقد طالبت قيادات المجموعة الأوربية – فى وقت سابق – بألا يكون المشروع مجرد شعار أمريكى يرفعه بوش فى عام الانتخابات الرئاسية، بل يجب أن يكون استراتيجية أمريكية ثابتة!! وهو ما يعنى التوافق الكامل أو بمعنى أدق انصياع المجموعة الأوربية التام للإدارة الأمريكية فى النظرة تجاه دول العالم العربى والإسلامى.

ويسعى مشروع الشرق الأوسط الكبير إلى بسط الهيمنة والنفوذ والسيطرة على دول المنطقة كمقدمة للسيطرة على العالم، وذلك عبر إقامة نماذج ديمقراطية خاضعة للإدارة الأمريكية (كما هو حادث فى أفغانستان والعراق) لا عن طريق استخدام القوة العسكرية الباطشة، ولكن عن طريق استخدام القوة الناعمة من خلال إجراء إصلاحات فى النظم السياسية وتغيير مناهج التعليم، وتطوير الخطاب الدينى والثقافى، وعولمة أو (أمركة) الإعلام، ولا بأس - عند الحاجة - من التلويح باستخدام عصا العقوبات الاقتصادية.

وتقوم الإدارة الأمريكية بتوزيع الأدوار - كل فيما يخصه - على دول القمة الثمانى، مع الوضع فى الاعتبار أن تكون هناك أدوار رئيسية وأساسية فى المشروع منوطة بالكيان الصهيونى وتركيا، وذلك عن طريق إدماج الأولى فى دول المنطقة، وتسويق الثانية على أنها النموذج الذى يمكن أن يلقى قبولاً لدى دول العالم العربى والإسلامى.

ويرى الإخوان المسلمون أنه من الضرورى أن يكون هناك إصلاح داخل الدول العربية والإسلامية، لكنه إصلاح ينبع من داخلها (يتفق مع هويتها وخصوصيتها الثقافية)، لا أن يفرض عليها من الخارج، وليكن الإصلاح السياسى هو المدخل لذلك، فليس هناك من شك فى أن الإصلاح السياسى سوف تنعكس آثاره إيجابًا على كافة أنواع الإصلاح الأخرى: الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والتقنية... إلخ... نحن فى حاجة إلى بناء دول ناهضة قوية قادرة على مواجهة التحديات وإدارة الصراع بشكل صحيح وواعٍ مع المشروع (الصهيو أمريكى) الذى يسعى إلى تركيع الأمة، وتفكيك المنطقة، وإعادة رسم خريطتها من جديد..

ويؤكد الإخوان المسلمون على أن الحريات العامة وإقامة الديمقراطية - كاملة - وحماية حقوق الإنسان، وإيقاف العمل بقانون الطوارئ، وإلغاء

القوانين والمحاكم الاستثنائية، واستقلال القضاء، وسيادة القانون، وإجراء انتخابات حرة ونزيهة تعبر بحق وصدق عن إرادة الناخبين هى مطالب أساسية وضرورية ولازمة لنهضة أى دولة وتقدم أى شعب،.. ومن هنا يجب أن تشرع الحكومات والأنظمة بشكل جاد وفاعل فى اتخاذ التدابير والإجراءات المطلوبة نحو الإصلاح؛ أولا: لنهضة وتقدم مجتمعاتنا وأمتنا. وثانيا: لقطع الطريق على أصحاب مشروع الشرق الأوسط الكبير من أن يتدخلوا فى شئوننا أو أن يفرضوا الوصاية علينا.

القضية الفلسطينية:

بعد المقاومة الفلسطينية الباسلة التى واجهها الكيان الصهيونى فى قطاع غزة، بدأت فكرة الانسحاب منه تعاوده مجددًا، وقد اعتمدت حكومته خطة مؤخرًا تضمنت انسحابًا جزئيًا من القطاع على أربعة مراحل - وإن كانت دون جدول زمنى - وأن كل مرحلة منها فى حاجة إلى قرار من الحكومة، وهو ما يعطى انطباعا بأن الأمر سوف يمتد لسنوات.. لكن لا ينبغى أن يغيب عن بالنا أن الأهداف الأساسية من وراء خطة الانسحاب هى:

١- التخفيف من حدة الخسائر والتكاليف الأمنية والعسكرية الناجمة عن المقاومة فى قطاع غزة.

٢- الهروب من قطاع غزة، وتركيز المواجهة بين الكيان الصهيونى والمقاومة الفلسطينية فى الضفة الغربية فقط.

٣- السعى إلى توريط مصر فى قطاع غزة لأسباب يأتى على رأسها: التغطية السياسية لعملية الانسحاب حتى لا يستثمر من قبل المقاومة، كما فعل حزب الله بجنوب لبنان، وكى تقوم مصر من جانبها بالضغط على الفلسطينيين (وبخاصة ياسر عرفات) فيما يخص الترتيبات الأمنية فى القطاع، وتصفية المقاومة بديلاً عن العدو الصهيونى، وأن تقوم مصر بحماية وتأمين الكيان الصهيونى من أية عمليات استشهادية.. من ناحية أخرى يقوم الكيان

الصهيونى بتسويق فكرة مفادها أن حماس تسعى لإقامة دويلة إسلامية بقطاع غزة، وأن هذه الدويلة سوف يكون لها آثارها وتداعياتها السلبية على المنطقة ككل، وعلى مصر بالذات، وهو ما يجب أن يعمل له حسابه.

إن هناك بلا شك مشكلات سوف تواجه مسألة الانسحاب الجزئى الصهيونى من حيث الدور الذى يراد لمصر أن تقوم به، وما هو مطلوب من السلطة الفلسطينية تنفيذه، وعلاقة ذلك بالمقاومة... إذ يحاول الكيان الصهيونى - من خلال الإدارة الأمريكية - الضغط على مصر بسلاح التغيير ومشروع الشرق الأوسط الكبير، واتهامها بعدم التعاون مع أمريكا فى تهدئة الأوضاع فى المنطقة، وذلك بهدف دفع مصر للتدخل والمساعدة فى تسوية الوضع الأمنى فى قطاع غزة... وإذا كان الكيان الصهيونى يريد - حسب خطته - أن يكون له الحق فى الدخول والخروج من قطاع غزة، وقتما يريد وبالطريقة التى يرى، وعلى القوات الأمنية الفلسطينية أن توفر له الغطاء الأمنى، وإذا كان أيضًا يفترض البقاء الضرورى لقواته على الشريط الحدودى الفاصل بين قطاع غزة ومصر (محور صلاح الدين)، وأن هذا البقاء هو حاجة أمنية حيوية له، فإن هذا يعنى أن الكيان الصهيونى يستهدف توجيه دور مصر لخدمته، وهو ما يعتبر فى التحليل الأخير مكسبًا لرئيس وزراء الكيان الصهيونى.

نحن نحذر أيضًا من أن الدولة الفلسطينية المرتقبة سوف تكون فقط فى قطاع غزة، مع وجود شكل واهٍ وضعيف من أشكال التواصل مع الضفة الغربية دون أن يكون للسلطة الفلسطينية سيطرة عليها.. لذا نحن نطالب بعدم التعاطى مع هذا المشروع الذى لا يخدم سوى الكيان الصهيونى فى القضاء على المقاومة وتكريس الاحتلال، ونرى ضرورة عودة تنشيط وتفعيل الحوار بأسرع ما يمكن بين الفصائل الفلسطينية وبعضها البعض من جانب، وبينها وبين السلطة الفلسطينية من جانب آخر، وذلك من أجل التوصل إلى رؤية

سياسية واضحة ترتكز على خيار المقاومة كحل وحيد فى مواجهة الاحتلال الصهيونى الذى لا يتوقف عن مجازره الوحشية، وأعمال التصفية والإبادة وهدم البيوت وتجريف الأراضى الفلسطينية.

العـــــراق:

وفيما يخص العراق فإن الإخوان المسلمين يؤكدون على أن الاحتلال هو المصيبة الكبرى، وأن ما حدث للعراق من فوضى ونهب وسلب طال كل شئ حتى التراث الثقافى النادر، ومن إهدار لكل القيم الإنسانية - على نحو ما فعلته قوات الاحتلال بالسجناء العراقيين فى سجن أبو غريب - ومن تفكيك لمؤسسات الدولة ومحاولات تقطيع أوصال الشعب العراقى، نقول: إن هذا كله مرتبط بالاحتلال ومترتب عليه، وهو ما يدعونا إلى المطالبة بضرورة إجلاء قوات الاحتلال فورًا، ونحن واثقون من أن الشعب العراقى قادر - بإذن الله - على إدارة شئونه بنفسه والوقوف بصلابة أمام محاولات بث الفرقة بين صفوفه، وأن ما تردد من أن الجلاء الفورى لقوات الاحتلال سوف يؤدى إلى فراغ، وإشاعة للفوضى ووقوع البلاد فى أتون حرب أهلية، وإلى تقسيم العراق، هو زعم قصد به إيجاد مبرر لاستمرار الاحتلال.

إن مقاومة الاحتلال حق مشروع لكل الشعوب، فرضه الإسلام وحث عليه، وكفلته القوانين والمواثيق والأعراف الدولية وحضت عليه، ومن هذا المنطلق فإن الإخوان المسلمين يؤيدون المقاومة العراقية - وكل مقاومة ضد أى محتل غاصب - ويعتبرونها تعبيرًا عن حيوية الشعب العراقى الأبى الذى يرفض الذلة والمهانة والخضوع والاستكانة، وأن الشعوب الحية - كما فى فلسطين والعراق - هى القادرة على الوقوف فى مواجهة التحديات واسترداد الحقوق المغتصبة، وهى القادرة أيضًا على تحقيق النهضة والتقدم والرقى.

إن الحكومة الانتقالية الجديدة والتى ستباشر مهامها أول الشهر القادم

ليست بعيدة عن السيطرة والهيمنة الأمريكية - من حيث السيادة والقدرة على اتخاذ القرار - ويجب ألا ننسى أنها حكومة معينة وليست منتخبة، وأنها لن تستطيع أداء المهام المنوطة بها فى ظل الاحتلال لأنها محدودة الصلاحيات، فضلاً عن الفترة الزمنية القصيرة التى سوف تمكثها.. لذلك فإننا لا نتوقع أن تلبى الحد الأدنى من طموحات الشعب العراقى.

ويهيب الإخوان بالعلماء العراقيين اليوم من سنة وشيعة، والقيادات المخلصة والواعية من أهل العراق من عرب وأكراد العمل - أكثر من أى وقت مضى - على إزكاء روح الوحدة بين صفوف الشعب العراقى، ذلك لأن هذه الوحدة هى الآن من أعظم الفرائض.

السـودان:

لقد نبه الإخوان المسلمون كثيرًا إلى أن السودان يمثل بوابة أفريقيا، وأنه العمق الاستراتيجى لمصر وسلة القمح للأمة العربية والإسلامية، وأن أى خلل فى العلاقة بين السودان ومصر - على وجه الخصوص - سوف تكون له تداعياته السلبية على الأمن القومى العربى، لكن السياسة المصرية - للأسف - لم تعط المشكلة السودانية حقها من الاهتمام والفعالية كما يجب، وهو ما أعطى الفرصة لأن يتم توقيع اتفاق السلام السودانى بين الحكومة ومتمردى الجنوب فى نيروبى - إعلان نيروبى - وليس فى القاهرة، وأن تجرى المفاوضات على أساس مبادرة الإيجاد وليست المبادرة المصرية الليبية.

لقد تم هذا الإعلان فى تغييب كامل للعرب والجامعة العربية، وعلى النقيض تم فى ظل سيطرة وهيمنة أمريكية - وغربية - كاملة، وهو ما جعل الحكومة السودانية تقف وحيدة فى الميدان، فى مهب الريح، تعانى من ضغوط كثيفة تهدد بتدخل عسكرى فى غرب السودان (دارفور) إن لم تقدم تنازلات ما كان متمردو الجنوب ليحلموا بها.. ورغم توقيع الاتفاق إلا أنه لازالت

هناك قضايا - موقع خلاف - بين الطرفين تتعلق بتوزيع الوظائف الوزارية والحكومية فى منطقتى النوبة وجنوب النيل الأزرق، وما يخص العاصمة الوطنية والقوانين التى تحكمها، وأيضًا تمثيل الجنوبيين فى المجلس التشريعى المستقبلى، وهذا كله يمثل تحديات ضخمة لهذا الاتفاق، وبالتالى فإن الأيام المقبلة تستدعى حذرًا ويقظة واهتمامًا من مصر بضرورة الوقوف إلى جوار السودان، ولو أدى الأمر أن تنشأ مجموعة تضم وزراء الخارجية والاقتصادية والتخطيط والزراعة والموارد المائية، خاصة بشئون السودان..

نعم نحن ضد الحرب ومع الحفاظ على وحدة السودان وهويته وانتمائه العربى، لكن يجب أن لا نغفل أن السودان مقبل بعد الاتفاق الذى وُقّع على مخاطر ومشكلات كبيرة خاصة بترتيبات وقف إطلاق النار الدائم وتدابير وآليات تنفيذ الاتفاق بما فى ذلك مسألة قوات السلام الدولية وتمركز قوات المتمردين، طبعًا بخلاف يمكن أن يصدر فى أى لحظة من أطراف جنوبية لا تعترف ابتداء بالاتفاق.

ونعود ونكرر مجددًا أن معالجة الدول العربية والإسلامية للمشكلة، بل المشكلات السودانية لم تكن على المستوى الذى يحقق إيجابية التواجد والفعالية والاستمرار بحيث تضمن بقاء الطرفين، أو بمعنى أدق الأطراف مرتبطين بها، وعدم إعطاء الفرصة لأى قوى أخرى أجنبية للتسلل واستغلال الظروف لغير صالح العروبة والإسلام؛

خاتمـــــة:

فى مقابل الاجتماع الذى تم لدول القمة الصناعية الثمانى فى جيورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية والذى سيستكمل فى الأسابيع القادمة فى القمة الأمريكية – الأوربية فى بروكسل وقمة حلف الأطلسى فى اسطنبول، فشل القادة العرب فى قمة تونس (٢٢ - ٢٣ مايو ٢٠٠٤م) فى التفاهم والتنسيق على آلية واحدة تعبر عن موقف عربى مشترك تجاه مسألة الإصلاح.. ويرى

الإخوان ضرورة أن يسير الإصلاح فى الدول العربية الإسلامية جنبًا إلى جنب مع الاهتمام بالقضايا القومية.. وفيما يتعلق بمسألة الانسحاب أحادى الجانب من قطاع غزة نرجو أن تعود الفصائل الفلسطينية إلى تواصل الحوار فيما بينها، ونربأ بالحكومة المصرية أن تقع فى شرك شارون الذى يسعى جاهدًا إلى توريطها من خلال الترتيبات الأمنية المزمع عقدها فى القطاع على حساب المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى.

وفيما يخص مستقبل العراق، فإنه لا بديل عن ضرورة إنهاء الاحتلال فورًا وترك العراقيين ليديروا شئونهم بأنفسهم، ولن تكون حكومة العراق بسيادتها المنقوصة وفترتها المحدودة قادرة على تسيير دفة الأمور فى البلاد وتحقيق الأمن والاستقرار والحفاظ على الحد المطلوب من الحياة الحرة الكريمة للشعب العراقى، وحتى قرار مجلس الأمن الصادر فى ٨/ ٦/ ٢٠٠٤ م تضمن انتقال الإشراف على العراق شكليًا إلى الأمم المتحدة، وهو ما يعنى أنه لن تكون هناك ولاية بأى صورة للحكومة الانتقالية، أو المنتخبة مستقبلا – إن حدثت انتخابات – على قوات الاحتلال.

أما السودان الشقيق فقد آن الأوان لكى ينال اهتماما – جادًا وفاعلا – من الدول العربية والإسلامية حتى يستطيع تجاوز مشكلاته والحفاظ على وحدته وهويته وانتمائه، وإن لم تعالج هذه المشكلات قبل فوات الأوان فسوف يكون لها تداعياتها، ليس فقط على مستوى السودان، وإنما على الأمن القومى العربى، وهذا ما يصب فى خندق المشروع (الصهيو أمريكى).

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١].

ولله الأمر من قبل ومن بعد،

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

حول أسباب العداء للإسلام.. وقضية السودان

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٧ من جمادى الاخرة ١٤٢٥هـ
٢٥ من يونيو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد..؛

فإن كثيرًا من الناس فى عالمنا الإسلامى ينظرون فى دهشة وحيرة إلى مظاهر العداء للإسلام والمسلمين التى لا تخطئها عين ولا يغفلها وعى ولا عقل، تلك المظاهر التى تتبدى فى أجهزة الإعلام الصاخب، القادر على اختلاق الأكاذيب وتجاهل الحقائق وتضخيم الصغير من الأمر، وتقزيم الكبير منه، وصنع المعارك الموهومة وتشكيل الرأى العام، الذى غدا قوة ضغط لا يمكن إغفالها فى تكوين القرار السياسى فى الغرب، وهى مظاهر العداء التى نراها أيضًا فى تجييش الجيوش لغزو أراضى المسلمين، وقهر إرادتهم، وفرض مصالح الغرب عليهم بالقوة الباطشة والقدرة الغاشمة، كما حدث فى أفغانستان والعراق، وكما حدث من قبل فى فلسطين؛ حيث صنع الغرب المشروع الصهيونى، ودعمه بالمال والسلاح والرجال والعلم، وما زال يدعمه حتى الآن، ولولاه ما صمد الكيان الصهيونى، ولا كتب له البقاء، فضلاً عن مظاهر العداء البادى فى معاملة المسلمين فى أقطار الغرب وأمريكا التى تغيرت إلى حد بعيد – وبخاصة بعد أحداث ١١

سبتمبر - فى مطارات أمريكا وأوربا ومؤسساتها وأجهزة إعلامها وشوارعها.. إلى غير ذلك من مظاهر العداء الظالم البغيض..

ولا شك أن حيرة ودهشة هذه القطاعات من المسلمين تجاه ما يرونه من عداء لا مبرر له للإسلام والمسلمين أمر يمكن تفهمه، فليس للمسلمين فى حالتهم الراهنة تلك القوة البارزة التى يمكن أن يرهبها الغرب على ذلك النحو، ويفترض أنها تمثل خطرًا عليه.. بل إن معظم الشعوب المسلمة تئن من المظالم السياسية والنظم المستبدة التى لا يرجى خيرها ولا منجاة من شرها.. وتئن من الفقر المفروض عليها بعدما نهبت ثرواتها بفعل الاستعمار الغربى الذى أبتلينا به عقودا من الزمن، وبفعل سوء توزيع الثروات فى بلادنا، بحيث يصب معظمها فى جيوب فئة مترفة لا يهمها - ما دامت متخمة - مصير الآخرين، فضلاً عن ذلك الحصار العلمى والتقنى الذى يضربه الغرب حول العالم الإسلامى ليضمن بقاءه ضمن دائرة التخلف، وليزيد من الهوة الحضارية العلمية بين الشرق الإسلامى والغرب الأوربى والأمريكى وحلفائه الصهاينة، أما ما يسمونه خطر الإرهاب فقد جرى تضخيمه إلى حد غير مصدق بفعل الآلة الإعلامية الجبارة للغرب، ويظل ما ينسب إليه فى كثير من الحالات مجرد ادعاءات وافتراضات لا دليل عليها، لكنها تجد من المزاج الغربى العنصرى الحاد أرضًا خصبة للتضخيم والتهويل.

غير أن النظرة المتأنية التى تتسق مع عقيدتنا وتجيد قراءة الواقع ودراسة تاريخ الصراع بين الحق والباطل وسبله ومآله جديرة أن تنفى عن عقولنا الدهشة، وأن تجلو عن نفوسنا الحيرة والعجب.. إذ أن ممارسات وتصريحات فريق من ساسة الغرب ومفكريه فى أمريكا وأوربا تؤكد أن بعضهم يحمل أفكارًا غير صحيحة وشائهة عن الإسلام والمسلمين وطبيعة العلاقة الممكنة معهم، تلك الأفكار والرؤى التى تغذيها روافد التعصب الذميم، وبقايا الروح

الصليبية، بعدما ظن الكثيرون أن أمريكا وأوربا قد برئت منهما، وهى تؤكد ليل نهار أن لا أثر للدين فى سياستها، وتقرر علمانيتها بكل سبيل، وتروج لها فى أنحاء العالم الإسلامى.. بل إن فريقًا من ساسة أمريكا اليوم يعلنون فى وضوح وجلاء عن إيمانهم بأفكار الصهيونية الإنجيلية التى تقوم على عقيدة مضللة مؤداها أنه لابد لتحقق عودة المسيح - عليه السلام - من قيام كيان صهيونى قوى فى فلسطين، يجتمع فيه يهود العالم ويأوون إليه، ويقتضى ذلك عندهم الإيمان بحتمية وفرضية دعم الكيان الصهيونى وتقوية وجوده، وتشجيع الهجرة إليه، وتأمينه بإضعاف المسلمين من حوله، وعلى رأس هؤلاء من يسمون فى أمريكا بالمحافظين الجدد الذين يعتلون وسادة الحكم فيها الآن، ولعله لا يغيب عن ذاكرتنا قول الرئيس الأمريكى بوش الابن أثناء إعداده للحرب على العراق بأنها «حرب صليبية».

ولا ريب أن هذه الأفكار العدوانية والروح المتعصبة تقف على طرف النقيض مع دعوات هؤلاء القوم إلى السلام العالمى والإخاء الإنسانى والتعاون الدولى والحرب على الإرهاب.. بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إن مثل هذه الأفكار والعقائد السياسية - المبنية على افتراضات دينية لا أساس لها - ليست بدعًا فى النظرة الأمريكية والأوربية إلى المسلمين والتعامل معهم.. ولدينا رصيد تاريخى ممتد منذ الحروب الصليبية وحتى الاستعمار العسكرى لبلاد المسلمين فى القرنين الماضيين، وما سبق ذلك وما تلاه.. ثم يلصق ذلك كله بالسيد المسيح - عليه السلام - ودينه، وهو منه براء، فقد جاء رحمة لقومه، وليضع على الأرض السلام، وليجلب للناس المسرة..

واجب المسلمين:

وإن ذلك ليفرض على المسلمين فقه واقعهم، ومعرفة دوافع أعدائهم

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]

والحذر من دعوات مغشوشة إلى السلام، لا يراد منها السلام بحال، فديننا دين السلام، والله هو (السلام المؤمن المهيمن) بل يراد منها تخدير أعصاب الأمة وعقولها، لتنساق مع قطيع الذبح، وهى مبتسمة راضية غافلة، وليت أمريكا والصهاينة دعاة السلام الكاذب يكفون عن حروبهم، وينظرون إلى أيديهم الملطخة بدماء المسلمين، ويفكرون فى مدى مصداقية حديثهم المناقض لفعلهم..

فالصهاينة فى فلسطين المحتلة لا يستنكفون عن الحديث عن السلام رغم تاريخهم الدموى الأسود، ورغم أن دولتهم ما قامت فى الأساس إلا على العدوان والقهر وترويع الآمنين وطردهم من بلادهم ومحاولات إذلالهم، ثم يجدون من ينخدع بحديثهم ممن آثر الحياة الدنيا، وأخلد إلى الأرض، وأعطى الدنيّة فى دينه، وينساق بعض هؤلاء فيغيرون مناهج التعليم فى بلادهم إرضاءً للصهاينة، ويحذفون آيات القرآن التى تتحدث عن عداء اليهود للمسلمين.. ويحذفون قصص البطولة والتضحية والفداء وأحاديث الجهاد وفضائل الاستشهاد، لينشأ جيل من شبابنا على ما أسموه بثقافة السلام، ولم يسائلوا أنفسهم هل فعل الصهاينة فى مناهج تعليمهم مثلما فعلوا؟ ولماذا يفرض ذلك على المسلمين والعرب فرضًا بينما نظم التعليم ونسق التربية فى الكيان الصهيونى يقطر دمًا وعنصرية وعدوانًا؟

ويتحدث الأمريكان فى العراق عن تحرير الشعب العراقى وهم الذين احتلوا بلاده وتعمدوا القضاء على مؤسساته، ونهبوا ثرواته، وقتلوا أبناءه، وعذبوا الأحرار منهم فى سجن (أبى غريب) وغيره من سجونهم، وانتهكوا أعراض نسائه، ويتحدثون عن تسليم السلطة إلى العراقيين وفى ذات الوقت يعلنون بقاء قواتهم إلى أجل طويل غير مسمى.

وقد بات واضحًا لكل ذى عينين أن هؤلاء وأولئك من المعتدين لا يفهمون إلا لغة القوة ومنطق الأقوياء، وبعد ضربات المجاهدين الموجعة للصهاينة فى فلسطين بدأ الحديث عن الانسحاب من غزة، وهو حديث لا يخلو من مغالطات وألاعيب ومكر، ولا ضمان لتحقيقه إلا استمرار الجهاد، وتوحيد القوى الوطنية والإسلامية فى مواجهة العدو..، وبعد استمرار المقاومة فى العراق وتوافد توابيت القتلى والمصابين من الأمريكان على مطاراتهم اضطروا إلى الحديث عن حكومة عراقية منتخبة ودستور عراقى وسحب للقوات الغازية.. وشتان بين لغة الخطاب الأمريكى المنكسر الآن ولغته غداة الغزو منذ أربعة عشر شهرًا وهو يفيض غطرسة وكبرًا.. ويوزع الاتهامات على الجيران ممزوجة بالتهديد والوعيد.

وإن من واجب المسلمين اليوم تكثيف الجهود لتصحيح صورة الإسلام لدى الغرب، فى مواجهة محاولات تشويه وتحريف المغرضين، فهو دين التوحيد الخالص الذى لا يخضع أهله إلا لخالقهم سبحانه، وهو دين السلام الذى لا يقبل – فى ذات الوقت – ضيمًا ولا يرضى ذلاً، وهو الدين الذى يحترم العقل ولا يستسلم للخرافة، وقد تم من عند الله تعالى، فلا تحتمل أصوله زيادة ولا نقصا.. وهو الذى يحقق سلام النفس وهدوء الضمير، ويجعل فى داخل الفرد والجماعة ميزان المحاسبة اليقظ حتى لا تميل إلى ظلم ولا حيف ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩]... وهو بعد ذلك دين التعاون مع الآخرين على البر والتقوى، لا الإثم والعدوان ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢].

ماذا يجرى فى السودان؟

إن ما يجرى فى السودان وما يراد له يستحق وقفة وحذرًا، فذلك البلد

الإسلامى العزيز بقدراته الطبيعية والبشرية جدير بأن يشكل إضافة قوية لمسيرة التقدم فى العالم الإسلامى.. لكنه أريد به أن يظل منكفئًا على ذاته، منشغلاً بنفسه ومشكلاته، يعالج جروحه التى ما يكاد يندمل واحد منها حتى يتفجر آخر..

وكانت البداية بفصل ذلك الإقليم الجنوبى لوادى النيل عن شماله، فاستقلت السودان عن مصر، يدفعها إلى ذلك ميراث عصيب تسبب فيه دهاء الاحتلال الإنجليزى لكلا البلدين، وسوء إدارة الساسة فيهما لقضية الوحدة بينهما.. ليدخل السودان بعدها فى سلسلة من الانقلابات العسكرية والحكومات الحزبية القبلية، ثم فى أتون حروب أهلية استمرت أكثر من عشرين سنة بين جنوب السودان وشماله، وقد وجدت هذه الحروب من يغذيها بالدعم السياسى والمالى من الدول الكبرى وبعض دول الجوار على السواء.. وقد كانت كلفة هذه الحروب طائلة أوقفت - أو كادت أن توقف - مسيرة التنمية فى السودان..، ومع تنامى موجة العولمة الأمريكية ضغطت الإدارة الأمريكية على حكومة السودان لتوقيع صلح يحقق مطالب الجنوبيين، وكان بعضها يبدو عادلاً مثل المطالبة بحظ أوفر من العناية بأقاليم الجنوب، واقتسام الثروة والسلطة، وبعضها شديد الخطر يتوافق مع ارادات أعداء الأمة فى تمزيق وحدة السودان وتفتيت أرضه وتجزئته وسلخه من هويته وإبعاده عن انتمائه العربى والإسلامى..

لقد ضرب حول السودان حصار أمريكى ظالم استمر سنين عددًا، واستهدفت الإدارة الأمريكية حينًا تغيير النظام الحاكم هناك، واتهمته بالتهمة الجاهزة والجائرة بدعم الإرهاب ورعاية التطرف... ثم انتقلت إلى محاولة تطويقه وترويضه، مما شكل دعمًا غير محدود للثائرين ودعاة الانفصال فى الجنوب.

وتعددت محاولات الإصلاح بين الفريقين، ومن بينها المبادرة المصرية الليبية، ولكن الضغوط الخارجية أدت إلى استبعاد التواجد العربى والإسلامى من محاولات الإصلاح، والقبول برعاية منظمة (الإيجاد) لدول شرق ووسط إفريقية، ثم أسفرت المفاوضات – فى غياب الدعم العربى والإسلامى وتكاتف الضغوط الأمريكية والأوربية – عن اتفاق سلام يحقق كثيرًا من مطالب الجنوبيين، وعلى رأسها الحق فى تقرير المصير، الذى قد يؤدى – لا قدر الله – إلى اختيار أهل الجنوب الانفصال عن السودان وتجزئته، مما يستلزم فى هذه الآونة وقبل إجراء تلك الانتخابات تعزيز الدعم العربى والإسلامى للسودان، وإشعار أهله فى الجنوب بأفضلية خيار الوحدة بالنسبة لهم، وعبثية الانفصال، وسوء مآله..

وما أن كادت مفاوضات السلام بين الحكومة والجنوبيين تصل إلى مراحلها الأخيرة حتى تفجرت مشكلة (دارفور) فى غرب السودان.. وهى منطقة عريقة فى إسلامها، لا ينتمى أهلها لدين غيره، وإن انقسمت جذورهم القبلية إلى فريقين: عرب وأفارقة.

ويبدو أن ما حققه الجنوبيون من نصر فى مفاوضاتهم مع الحكومة، وظفرهم بحق تقرير المصير وتقاسم السلطة والثروة مع أهل الشمال، قد أثار أطماع فريق من أهل (دارفور) من غير العرب الذين طمحوا إلى مثل ما حققه الجنوب السودانى، وبخاصة أنهم يعانون شظف العيش ووعورة الأرض وجفاف البيئة وندرة مشاريع التنمية.. ويضاف إلى ذلك عوامل خارجية حيث قامت منظمات الإغاثة ذات الدوافع التنصيرية بما قامت به فى الجنوب من قبل، فغذت النزوع إلى الانفصال، وأثارت الأحقاد القبلية الدفينة بين الأفارقة والعرب، فانتشرت فى (دارفور) عصابات مسلحة تهدف إلى النهب وقطع الطريق، مع ضعف التواجد الحكومى الذى استقطبت حرب الجنوب بأقصى

اهتماماته، بل إن متمردى جنوب السودان وجدوا ضالتهم فى ظروف (دارفور) فحاولوا نقل تمردهم إلى هناك لتحقيق مزيد من الضغط على الحكومة، وأفلحوا فى ذلك إلى حين.. وكان سبيلهم هو تغذية الأحقاد بين الأفارقة والعرب من سكان الإقليم، ثم نقل بعض السياسيين الطموحين الصراع إلى دائرة أكبر بتقديم غطاء سياسى للاضطرابات القبلية، ورفع رايات المطالبة بما طالب به أهل الجنوب من قبل، نصيب أوفر من اقتسام السلطة والثروة معًا، ووجدت تلك الأجواء المفعمة بالشر من يستغلها من القوى الكبرى وبخاصة أمريكا، لمزيد من الضغط على حكومة السودان..

لقد أسفرت المواجهات المؤسفة بين القبائل العربية والإفريقية فى (دارفور) - وكلاهما من المسلمين - عن أكثر من ربع مليون لاجئ فى مأساة إنسانية لا يمكن تجاهلها أو إغفالها، وحالت المواجهات المسلحة دون تقديم الدعم الكافى لأهل (دارفور) الذين يعانون الجوع وانعدام الأمن، ومن المؤسف أيضًا أن الدعم المادى لمواجهة هذه الأوضاع يأتى من منظمات إغاثية وحكومية غربية وأمريكية، بعضها يسعى لتحقيق أهداف ليست فى مصلحة السودان ووحدة أراضيه.. بينما غابت قضية (دارفور) عن أجندة الاهتمامات العربية، فلم تحظ بنصيب من العناية والعون فى مؤتمر القمة العربية الأخير بتونس، ولم تحظ أيضًا بنصيب من مؤتمر وزراء الخارجية لدول المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى الشهر الحالى.. وتركت الساحة خالية للمؤامرات الدولية والاستعمارية حتى قال مصدر مسئول فى وزارة الخارجية الأمريكية: بإمكان حل مشكلة (دارفور) بنفس الطريقة التى حلت بها مشكلة جنوب السودان - يعنى الإقرار بمبدأ تقرير المصير.. - وحتى هدد أمين عام الأمم المتحدة بتدويل مشكلة (دارفور) فى حملة واضحة ضد حكومة السودان..

وسؤالنا إلى حكامنا العرب والمسلمين إلى متى ينتظرون؟ إن المؤامرات

الدائرة لتفتيت وحدة السودان لا تقل خطرًا عن محاولات تقسيم العراق وتجزئته.. وإن خطر التجزئة وتغذية الصراعات الداخلية ليس بعيدًا عن كل دولة وحكومة، وإن ترك حكومة السودان وحدها تواجه ذلك كله لن يفيد، وربما اضطرت إلى قبول مالا ترضاه فى مواجهة هذه الضغوط الهائلة، وما نموذج جنوب السودان ببعيد! وإن لآلاف المسلمين المتحاربين فى (دارفور) حقًا فى أعناق حكامنا، أن يسعوا إلى جمع صفهم، ولم شعثهم، وتوحيد كلمتهم، وإشعارهم بالخطر المحدق بهم، وتقديم الدعم الإغاثى الضرورى لهم، وتشجيع خطط التنمية فى إقليمهم، إنهم بلا شك أحوج ما يكونون إلى أموال المسلمين التى تهدر سفهًا بغير علم لتحقيق المتع السريعة الرخيصة، بينما الأمة تتضور جوعا، وتترك نهبا لمنظمات التنصير القسرى الذى يستغل حاجات الناس وظروفهم.

ونداء إلى علماء الأمة أن ينهضوا بواجبهم تجاه الحفاظ على وحدة السودان وحل مشكلاته.. وإن وفدًا من علمائنا الأجلاء يستطيع أن يحقق من خلال وساطة بين المسلمين المتقاتلين فى (دارفور) أعظم مما يستطيع غيرهم.. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المسلمون على مفترق طرق ... وواجبنا التمسك بالإسلام

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى
١٤ من جمادى الاولى ١٤٢٥هـ
٢ من يوليو ٢٠٠٤م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه..

لا يخفى على مسلم اليوم بل لا يخفى على كل ذى عينين ما تعلنه دوائر أمريكية وغربية من عداء للإسلام وما يظهر فى بحوث وكتابات ودراسات من مخططات لمواجهة ما يسمونه بـ «الخطر الإسلامى»... وكذبوا - فما هو بخطر - فالإسلام جاء رحمة للعالمين، ولإقامة العدل فى أرجاء الدنيا، ولتذوق الشعوب طعم الحرية والعزة والكرامة... إن ما ينسبونه إلى الإسلام من أعمال إجرامية أدانها كل عاقل ما هو بإسلامى، بل إن الإسلام منها براء.. ولينظروا إلى سياساتهم التى ينفذونها علي الأرض اليوم - فى أمريكا وأوربا - وتنتهك فيها حقوق الأفراد والجماعات المسلمة فى حرية التدين وحرية التنقل وحرية العمل وغيرها، فضلاً عن احتلال الأوطان ونهب الثروات، كل ذلك يمثل خطرًا يهدد البشرية فى أمنها واستقرارها وسلامتها.. وقد أصبح هذا اليوم حديث الساعة، وكل ساعة... ومن العجب أننا لا نرى رد فعل من الجانب الإسلامى، اللهم إلا بعثة تذهب لتعقد بضعة لقاءات بهدف تصحيح صورة المسلمين

فى الغرب، بعد أن وضع المسلمون جميعًا فى قفص الاتهام، فهل ذلك هو ما يجب علينا تجاه هذا التحدى الخطير؟!

إن الحملة التى انطلقت ضد الإسلام اليوم اتسمت بالشمول، فهى تستهدف عقيدة المسلمين فى الله، وتنطلق ألسنة رسمية تنعت إلهنا الواحد الأحد - جل جلاله - بأبشع الصفات، وهى تستهدف شعائر الإسلام، فها نحن نرى محاصرة لفريضة الزكاة؛ لمحاولة منعها وتحجيم دورها. وهى تستهدف قرآن المسلمين، فنسمع عن محاولات لتأليف كتاب هزيل وطباعته والسعى إلى تسويقه فى أطراف العالم الإسلامى وعلى شبكة الإنترنت مع الضغوط المتتالية للتقليل من أعداد المصاحف المطبوعة.

وهى تستهدف كذلك ثقافة الإسلام ومناهج التعليم فى المعاهد الإسلامية فى الأزهر والسعودية وباكستان واليمن وغيرها، والتدخل بالحذف والإضافة فيها حيث يقصد منع تداول مفاهيم كالجهاد وتعديل مناهج تتعلق بالمرأة وغير ذلك، فضلاً عن السعى الدؤوب لإغلاق المعاهد الدينية وعدم بناء معاهد جديدة بهدف تقليص أعداد الدارسين للإسلام والدعاة الذين يبصرون الناس بحقائق الدين.

وهى تضع حضارة الإسلام أمامها كهدف تريد القضاء عليه ومنع المسلمين من التواصل مع بقية الحضارات فى العالم والتأثير المتبادل معها، رغم كل الدعاوى والصيحات حول احترام الآخر والتعددية وحقوق الإنسان، فالهدف هو أن تنفرد حضارة واحدة بالتأثير فى العالم كله ليصطبغ بها الأجيال الجديدة وتنشأ ناشئة لا تعرف شيئًا عن دينها وعقيدتها وثقافتها وتاريخها وحضارتها.

وموجة العداء الحالية للإسلام ليست إلا حلقة فى سلسلة متصلة يواجهها المسلمون من قديم ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] ولقد انكسرت الموجات القديمة وبقى الإسلام أقوى حجة وأصلب عودا، وخرج المسلمون من هذه المعارك، حتى ولو انكسروا فيها أحيانًا، ليواصلوا مسيرتهم وجهادهم حيث لم يفرطوا فى دينهم ولا عقيدتهم، وكانوا حال الهزيمة أقوى بفكرتهم وأعلى بعقيدتهم، فدخل المنتصرون كالتتار – فى دين الإسلام بعد انتصارهم العسكرى على المسلمين.

إننا ندرك أن هذه الحملة تهدف إلى منع المسلمين من امتلاك أسباب القوة والمنعة حتى تصبح بلادهم وثرواتهم ومقدراتهم نهبًا للطامعين من قوى الاستعمار الحديث الذى كشر عن أنيابه وعاد بأحذيته الغليظة ليطأ بلاد الإسلام، بعد أن فشلت النظم العلمانية التى زرعها فى بلادنا فى حماية مصالحه واستشعر خطر صحوة الشعوب ومطالبتها بالحرية والديمقراطية على مصالحه المتمثلة فى الثروات وفى مقدمتها النفط، وفى حماية هذا الكيان الصهيونى الدخيل الذى بات يترنح أمام تواصل المقاومة الفلسطينية الباسلة وأصبح مستقبله فى مهب الريح بسبب الضغوط السكانية والنفسية والعسكرية، وبعد أن انكشفت مخططاته أمام الرأى العام العربى والإسلامى الذى اصطف خلف المقاومة يساندها بكل قوة رغم الاستبداد والديكتاتورية.

إن هذه الحملة على الإسلام تستهدف وصم الإسلام بالإرهاب، عن طريق تسليط الأضواء على أعمال إجرامية بشعة، تقوم بها جماعات مجهولة لا يعرف أحدٌ من وراءها ولا من يخطط لها - وإن كانت الأيدى التى ترتكبها أيدى مسلمين - إلا أننا ندرك عمق التخطيط والاختراقات التى تتقنها أجهزة المخابرات والأمن، ثم يتم تسليط الإعلام على هذه الحوادث المشينة وخلق

شخصيات، قد تكون وهمية، لتصبح هى الممثلة للإسلام، والإسلام من أعمالها براء وعموم المسلمين وكل قادة الرأى والفكر والحركات الإسلامية والعلماء يستنكرون هذه الحوادث ويحذرون منها، ومع ذلك يستمر المسلسل الإجرامى، فلا يكاد يهدأ فى بلد حتى يشتعل فى أخرى، ولا تكاد شخصية تختفى من على شاشات الفضائيات حتى تظهر لنا شخصية أخرى، تصبح هى محور حديث الرئيس الأمريكى والزعماء والمحللين وللأسف الشديد تشارك أجهزة الإعلام العربية فى خلق هذه الأساطير وتذيع كلامًا منسوبًا إلى مسلمين يسىء إلى الإسلام ويشوه صورة المقاومة فى بلاد المسلمين.

إن هدف هذه الحملة الإجرامية وما يصاحبها من زخم إعلامى هو خلط صورة المقاومة بالإرهاب حتى تتوقف المقاومة الباسلة فى فلسطين والعراق أو ينصرف عنها تأييد المسلمين فى العالم، ولن تفلح هذه الحملة بإذن الله تعالى ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

إن مواجهة هذه الحملة الظالمة لا يكون بجهود فردية مبعثرة هنا أو هناك، ولا بخطب تلقى فى الغرب، ولا بمؤتمرات تهدف إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين.

إن هذه المواجهة تقتضى تضافر كل الجهود - الأفراد والجماعات والحكومات والهيئات الإسلامية والجامعات وحركات المقاومة وكذلك المسلمون فى الغرب وأمريكا - كلٌ يقوم بدوره وواجبه الذى أمره الله به.

إن المواجهة الحقيقية هى أن نطبق الإسلام فى حياتنا فتنهض به أمتنا، أن نقيم حياتنا كلها على أساس الإسلام - عقيدة وشريعة - وأن نعلى قيم

الإسلام فى العدل والشورى والحرية وكرامة الإنسان والمساواة، أن ننهض من كبوتنا وعثرتنا التى طالت، بأن ننفض الاستبداد الذى ران على حياتنا، وأن نخرج من التخلف العلمى والتقنى الذى أعاقنا وأخر أمتنا، وأن نقيم العدل فى توزيع الثروات مع التنمية الحقيقية فى بلادنا حتى لا نصبح من بين أفقر أمم الأرض نستجدى المعونات والقروض من أعدائنا الذين نهبوا ثرواتنا، وأن نغلق المعتقلات التى ضجت من أنّات المعذبين بسبب آرائهم ومواقفهم السياسية، وأن نعلن إنهاء حالات الطوارئ التى قيدت المجتمعات الإسلامية، وأن نطلق الحريات التى وأدتها الحكومات العلمانية.

إن الإسلام الذى ننادى به ليس مجرد تشريعات قانونية يريد خصومه حصره فيها، بل هو نظام شامل كامل للحياة، يسمح بالتعددية الدينية ويحترم عقائد وشعائر المخالفين فى الدين ويطلق التعددية الفكرية والثقافية، ويحترم التعددية السياسية الحزبية، ويقوم على التنمية الإنسانية فى كافة مجالات الحياة، فالإنسان هو محور الاهتمام؛ لأن عليه عمارة الكون كله، بالإيمان والعمل الصالح، فلا يصبح مجرد كائن مستهلك بل هو أساس العملية الإنتاجية.

إن إقامة الإسلام فى حياتنا هو الذى سيطرد الصورة المشوهة المغلوطة التى تريد الدوائر الاستعمارية فى الغرب حصر الإسلام فيها بهدف الصد عن سبيل الله ومنع الناس من الالتفات إلى هذا الدين العظيم الذى يدخل فيه مئات الأفراد يوميًا رغم كل هذه الحملات الظالمة، فهو الدين الوحيد الذى يزداد أتباعه يوما بعد يوم مما يثير القلق فى هذه الدوائر الاستعمارية.

لقد واجهنا مثل هذه الحملات فى القرن الماضى ونجح الإخوان وغيرهم من الحركات الإسلامية فى إعادة الصورة الحقيقية للإسلام وانتشرت الصحوة الإسلامية فى كل بلاد العالم حتى وصلت إلى أوربا وأمريكا، وأصبحت

النهضة الإسلامية قاب قوسين أو أدنى من تحقيق آمال المسلمين فى استئناف حضارة إسلامية عظيمة تضيف إلى الحضارة الإنسانية، وتقدم الإسلام إلى العالم كله، فإذا بالمؤامرات الجديدة تريد وقف هذا التقدم، ولكن هيهات هيهات.

إننا على يقين من أن هذه الحملة إلى بوار، كما سبقها من حملات ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] وذلك وفق سنن الله تعالى بأن نقوم بواجباتنا، وأن نتمسك بعقيدتنا وأن نظهر شعائرها وأن نفخر بديننا وحضارتنا، وأن نعمل بجد واجتهاد لإقامة نظام الإسلام فى كل حياتنا.

كما أننا على يقين من أن صمود إخواننا فى فلسطين وفى العراق وفى كل مكان يقاوم فيه المسلمون هذه الحملات العسكرية ويقفون فى وجه هذا المشروع الأمريكى – الصهيونى سيكلل بالنصر رغم كل المؤامرات ضد المقاومة وكل المحاولات لتشويه صورتها.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

****

حول بدء محاكمة صدام.. وقضية الاحتلال

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى
٢١ من جمادى الأولى ١٤٢٥هـ
٩ من يوليو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد

فقد استطاعت أجهزة الإعلام الأمريكية والغربية وما يدور فى فلكها ويتأثر بها أن تجعل موضوع بدء محاكمة صدام حسين رئيس العراق السابق أحد أبرز موضوعات الساعة التى ينشغل بها الرأى العام فى بلادنا، وجرت أولى جلسات التحقيق والمحاكمة فى جو دعائى مثير للجدل، فانقسم الناس بين سعيد ببدء محاكمة الطاغية ومتشفٍّ فيه، وساخط على تلك المحاكمة على النحو الذى بدأت به، أو متعاطف معه - على قلة من يتعاطف مع مثل صدام حسين - وكأن ذلك هو المراد.. أن ينشغل الناس حينًا عن قضية العراق الأولى وهى ذلك الاحتلال البغيض الجاثم على أنفاس أهله، وما ارتكبه من آثام وجرائم يندى لها الجبين، وما زال يرتكبه، وتلك المقاومة الشجاعة له على كافة الأصعدة التى شغلته بنفسه، وألّبت الدنيا عليه، وجعلته فى مستنقع يرجو النجاة منه.. ولا نجاة إلا بالاعتراف بالهزيمة والانسحاب من العراق، وإتاحة الفرصة لأبنائه لحكم أنفسهم، وإدارة شئونهم، بغير تدخل أو كيد.

ونحن إذ ننبه إلى محورية قضية الاحتلال والجهاد

ضده، وأنه لا ينبغى التشاغل عنها بشىء، وإذ نحذر من أهداف أعدائنا من مثل هذه المحاكمة، وإذ نؤكد على أهمية وفرضية توحد أهلنا فى العراق تحت لواء المقاومة وجهاد العدو لنؤكد فى الوقت ذاته على أننا - من منطلق فهمنا للإسلام العظيم - نرفض أن تتم محاكمة صورية هزلية لا تتوافر فيها أركان العدالة وأشكالها لأى إنسان بغض النظر عن عواطفنا نحوه، أو مواقفنا إزاءه، أو عدائنا له.. ونحن - بحمد الله - لا نوالى ولا نعادى إلا فى الله تعالى..

العدل فى الإسلام، ولا عدالة مع الاحتلال:

لئن كان صدام حسين طاغية جبارًا فى الأرض، ظلومًا غشومًا، ولئن كان شعبه والدعاة إلى الحق من أبنائه قد لاقوا صنوفًا شتى من البطش والتعذيب والتنكيل والقتل على يديه وأيدى زبانيته، ولئن كان شعب العراق بكل شرائحه وفئاته لم يعرفوا فى حكمه معنى العدل، ولئن عظم شنآننا نحوه فإننا فى الوقت ذاته أول من ينادى بالعدل معه عملا بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وكذلك من منطلق إسلامنا الذى بذل صدام وسعه - مدى حكمه - فى حربه وتعقب أبنائه، وتلك هى عظمة ديننا الذى يأمر بالعدل حتى مع أعتى الخصوم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وهذه دلالة نقاء دعوتنا وطهارة صدورنا ونصاعة صفحاتنا.. والحمد لله رب العالمين.

وعلى النقيض منا يقف دعاة الحرية الزائفة والعدالة التى لا وجود لها من حكام أمريكا والمفتونين بحضارتها العنصرية التى لا ترى العدل إلا لأبنائها، ولا تعرف له معنى خارج حدودها، فى سياستها وحربها ودعايتها.. وأى عدالة ترجى فى معاملة الخصوم من المحتلين الأمريكان ومن عاونهم بعدما

فعلوه مع الأسرى العزل فى سجن (أبى غريب) وغيره من سجون العراق؟ وهو ما اتضح أمره، وذاع سره، فتناقلته وسائل الإعلام فى الدنيا، ورأى الناس الوجه الكالح الحقيقى لأمريكا وحكامها..، وما لم ينكشف خبره بعد من جرائم أمريكا فى جوانتانامو أظلم وأخزى.

لقد أرادت العدالة الأمريكية أن يمثل صدام حسين للمحاكمة بغير دفاع ومهما قيل فى تبرير ذلك فهو سقوط بغير شك، ولو حدث مثل ذلك مع أى عميل أمريكى فى أى بقعة من بقاع الأرض لكان الحال غير الحال.. فهل كان القصد من ذلك إثارة قدر من التعاطف مع صدام – بعد كل ما ارتكب من جرائم وموبقات – ليزداد تفسخ الرأى العام العراقى وانقسامه؟ أم أنها رسالة إرهاب لكل من يقف فى طريق أمريكا، أو يفكر فى ذلك يومًا – وبخاصة من حكام العرب والمسلمين – ويالها من رسالة، لقد خدم صدام بسياساته أمريكا كما لم يخدمها أحد فى زمانه، فلما اختلفا ورأت أمريكا أنها يمكن أن تحقق مزيدًا من أهدافها بدونه جعلته رأس الذئب الطائر الذى تخيف به الآخرين.

إن مقتضى العدالة فى محاكمة صدام – مع كل عدائنا له – أن يحاكمه قضاة محايدون عدول لا يخضعون بحال لسلطة الاحتلال، أو لمن تعينهم سلطة الاحتلال، مع توافر كل الحق له فى الدفاع عن نفسه، وندب محامين لذلك، وفى الوقت ذاته يجب أن تتاح لكل من عانى من حكم صدام حسين أن يطالبه بالقصاص، سواء كانوا أفرادا وجماعات أم دولا وحكومات، وأن تتاح أمامهم المعلومات اللازمة لذلك، والوقت الكافى له.

تلك عقبى حكم الفرد وإبعاد الإسلام:

إن المرارة التى شعر بها من رأوا صدام حسين فى جلسة المحاكمة – على اختلاف بواعثها – لتؤكد سوء مصارع الظالمين ومنقلبهم، وأن شعوبهم هى الخاسر الأول والأكبر من جراء سياساتهم.. فهى التى تقاسى المذلة والهوان

والنكال تحت حكمهم، وهى التى تدفع ثمن مغامراتهم وطيشهم، فقرًا وحاجة وانهزَامًا، ثم إنها هى التى تواجه طغيان أعدائها بعد زوالهم، وهى حين تواجههم تكون عزلاء قد جردت من أسباب القوة وعوامل المنعة، إلا بقية من إيمان عاصم وإسلام مجيد، يرى أتباعه الشهادة خيرًا من حياة الهون..

وإن فداحة الثمن الذى تدفعه الشعوب وحدها ليجعلنا دائمًا نذكّرها بما لها من حقوق، وما يجب عليها من استمساك بتلك الحقوق ودفاع عنها فى مواجهة حكام أقزام متسلطين.. ومن أبرز تلك الحقوق حق الشعوب فى اختيار حكامها ومحاسبتهم وتقويمهم وعزلهم، وهى حقوق من صميم إسلامنا الذى يطالب أتباعه بالشورى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدع بالحق ولو كان مرًا، والاستمساك بالعزة ورفض الذل، والقصاص من الحاكمين إن جاروا وبغوا، فى ذات الوقت الذى يأمر فيه أتباعه بالتوحد وترك الفتن والتحوّط من مراد الأعداء وكيدهم..

وإن تاريخنا ليفخر بأن رسول الله ﷺ قد دعا أتباعه قبيل وفاته لكى يقتص منه من يرى له عنده مظلمة، وأن أول خلفائه أبا بكر ﷺ قال فى أولى خطبه: «إنى وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى».

إن أول أسباب الوهن عندنا هى البعد عن ديننا، والجهل بما فيه من كنوز المجد وأسباب النهوض.

ونتيجة ذلك هى أن أمة الشورى والمرحمة باتت يضربها الاستبداد السياسى، ويعمها حكم الفرد ومظالم الحاكمين وأهواؤهم، ولا علاج لذلك الداء العضال إلا بالعودة إلى الإسلام من جديد، دعوة وتربية وجهادًا وحكمًا.. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]

إن موقفنا من حتمية الإصلاح السياسى - وأن يأتى من داخل الأمة،

وينطلق من صميم إسلامنا - موقف مبدئى شكّله التزامنا بالإسلام، وفهمنا له، ولم تزده الأحداث وتطوراتها إلا ثباتًا ويقينًا بصوابه بفضل الله.

كانت الرؤية الإسلامية لسياسات صدام صوابًا:

وكانت مواقفنا من حاكم العراق وطاغيتها السابق وسياساته ومغامراته تنطلق كذلك من ديننا الحنيف، وهى مواقف شاركنا فيها كثير من العاملين للإسلام والداعين إليه، وكان أساس ذلك هو التنبه لخطأ المنطلق السياسى والعقائدى لصدام حسين الذى انغلق على مفهوم ضيق للقومية العربية معادٍ للإسلام، وهو مفهوم ثبت خطؤه، فالعرب هم مادة الإسلام، به عزوا وسادوا، وبدونه ذلوا وهانوا، وتلك مسيرة التاريخ تؤكد ذلك المعنى بألف دليل.

وقد أفرغ صدام حسين سياساته من كل مضمون إسلامى، وآثر أن يكون فى خندق الاستبداد السياسى القاتل، فناصب شعبه المسلم الشك والتربص والعداء، وخدع نفسه بهتافات المنافقين والمنتفعين، والتمس النصير له من أعداء الله شرقًا وغربًا، ومضى ينفذ مخططاتهم بوعى أو جهل، واستدرجوه ليحقق أغراضهم، فغزا إيران - التى ناصبت حكومتها أمريكا العداء بعد الثورة الإسلامية - ومضى فى حرب غبية ضروس ثمانى سنوات، بدد فيها قدرات شعبه الاقتصادية والبشرية، وما حقق نصرًا، ولا جنى خيرًا، ثم استدرجته أمريكا لغزو الكويت، وقد تكشف حديث سفيرة أمريكا فى العراق له حين ألمحت إلى أن بلادها لن تتدخل فى نزاعه مع الكويت، فارتكب حماقته المدمرة، وغزا الكويت ليحقق أوهام العظمة لديه، وأنه حاكم العرب الأول، وأكبر مالك للنفط فيهم، فأوجد بذلك المبرر لأمريكا لتدمر الكويت والعراق فى حرب قذرة بدعوى تحرير الكويت!! ثم لتفرض حصارًا جائرًا على شعب العراق هلك فيه ألوف الأطفال والنساء، بلا دواء ولا طعام.. ليكون ذلك مدخلاً للقضاء عليه هو نفسه، وإقامة نظام بديل يكون ظهيرًا كاملا للصهاينة،

ولتقيم أمريكا قواعدها العسكرية فى العراق، ولتشعل نيران الانقسام والفرقة بين طوائف شعبنا هناك، وقد أراد الله تعالى أن لا تتم لأمريكا مخططاتها بفضل يقظة شعب العراق وقياداته، واشتداد المقاومة والجهاد ضد الاحتلال وقواته..

وقد عبر الإخوان المسلمون عن رفضهم كل تلك المؤامرات فى وقتها، وبيانات مرشدى الجماعة ومفكريها تفضح تلك المؤامرات، وتبين السبيل لمواجهتها، وكذلك جهود علماء الأمة وأولى الرأى فيها الذين قدموا الرأى الخالص والنصح السديد لتلافى ذلك الشر كله..

غير أن أمتنا تسير فى حال فصام نكد بين علمائها وحكامها، فلم تجد الرؤية الصحيحة والنصح الشفوق الأذن المصغية والقوة المنفذة الفاعلة، بل مضت أنظمتنا العربية تعين صدام حسين فى حربه ضد إيران، وصورت أجهزة إعلامنا الأمر على أنه حرب بين العرب والفرس، وأن صدَّام ونظامه يحرسون البوابة الشرقية للأمة العربية من خطر تصدير الثورة الإسلامية إليهم!! وعلى النقيض من ذلك فعل حكامنا لما غزا صدام الكويت، فقد انساقوا وراء السياسة الأمريكية، وفتحوا البلاد لجيوش الأعداء بدعوى تحرير الكويت تارة، ثم خلع صدام ونظامه تارة أخرى..

وها نحن أولاء اليوم نجنى ثمار ذلك كله، ورب ضارة نافعة، لقد استنفر الاحتلال الأمريكى البريطانى الصريح قوى الغضب فى داخل شعبنا العراقى، فمضى يبحث عن أسباب القوة عنده التى جرده منها حكم الفرد، ثم طغيان الاحتلال، فلم يجد إلا الاعتصام بدينه ووحدته، ولم يجد الاحتلال ما صوره له غروره من ترحيب به أو استسلام له، بل إن الوطن الذى أنهكه الحصار والتجويع، وبدد ثرواته حاكم مستبد طاغية يضرب اليوم أروع الأمثلة على الصمود والعزة، وإنه لقادر بإذن الله على تحقيق النصر الكامل، وأن يعود العراق كما كان فى تاريخه المجيد وطنًا للإسلام وحصنًا له..

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]

الإصلاح المنشود ..... وتبخر الآمال !!

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى
٢٨من جمادى الاولى١٤٢٥هـ
١٦ من يوليو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

جاءت وفاة الأخ الشهيد المهندس أكرم عبد العزيز الزهيرى فى سجن (مزرعة طرة) ضحية الإهمال الجسيم وعدم الإحساس بالمسئولية متزامنة مع نتائج اجتماعات قمة الثمانى فى «جورجيا» بأمريكا لتبدد أحاسيس البعض حول إمكانية حدوث إصلاح حقيقى فى بلادنا العربية، ولتتبخر معها آمال عريضة لبعض المتفائلين فى بلادنا أو المراهنين على القوى الكبرى لإحداث إنجازات على درب الإصلاح.

فها هو أكبر نظام عربى وأقدره على ريادة الإصلاح الحقيقى يستمر على نفس الممارسات القمعية البوليسية، ولا تستشعر أركانه أى إحساس بالمسئولية عن أمن واستقرار البلاد، فضلاً عن تنميتها ودفع الاستثمارات بها، أو القدرة على إحداث انفتاح سياسى يستوعب جميع القوى السياسية ويتيح الفرصة لكل القوى الاجتماعية للتعبير عن نفسها، أو الشعور

بخطر الوقوف أمام الله ليسألهم عن رعيتهم.

لقد جاءت حملة القبض على ٥٨ من الإخوان المسلمين من خيرة شباب هذه الأمة، ومصادرة أموالهم وإغلاق شركاتهم، ثم تعرض ١٦ منهم للتعذيب البشع فى مقر مباحث أمن الدولة بالمخالفة لكل القوانين واللوائح، ثم وفاة الشهيد أكرم الزهيرى بسبب الإهمال فى نقله وعدم تقديم الرعاية الصحية له وتركه فريسة للمرض حتى لفظ أنفاسه الطاهرة لتدلل على أن الأنظمة العربية مازالت تفكر بنفس العقلية البوليسية، وتمارس نفس الأساليب العتيقة، ولا يهمها إلا التترس بكراسى الحكم ولو على جثث الضحايا.

لقد أسفرت اجتماعات قمة الدول الصناعية الثمانى عن تراجع ملف الإصلاح فى المنطقة العربية إلى الوراء قليلا، وعن خيبة أمل البعض ممن راهنوا على الضغوط الأجنبية، وهذا ما أعلنه الإخوان دومًا أن هذه الدول لا تبحث إلا عن مصالحها فقط، وأنها هى التى رعت الاستبداد فى بلادنا، وفى بلاد أخرى لعقود طويلة باعتراف الرئيس بوش، وأنها تخشى الحريات الحقيقية كما تخشاها النظم المستبدة سواء بسواء.. إن الإدارة الأمريكية ومن يجرى فى فلكها - طوعًا أو كرهًا - تسعى من خلال مشروعها إلى تطوير النظم السياسية وتغيير مناهج التعليم وتوجيه الخطاب الدينى والثقافى والإعلامى فى دولنا العربية والإسلامية بما يستهدف تركيع الأمة وإضعاف عقيدتها ومسخ أخلاقها وسلخها من هويتها وإبعادها عن خصوصيتها الثقافية، إضافة إلى ذلك فإن الحديث عن الإصلاح ومبادرة الشرق الأوسط الكبير وغيرها من المشاريع الأمريكية والأوربية تستخدم للضغط على نظم المنطقة وابتزازها لمزيد من التنازلات فى القضايا القومية والإقليمية فضلاً عن الخضوع التام لمشيئة الإدارة الأمريكية فيما يخص الملف الفلسطينى والأفغانى والعراقى والنفطى.

فها نحن نرى مصر يراد لها أن تتورط فى غزة، لإنقاذ مجرم الحرب شارون

من المأزق الذى وقع فيه، ليس لصالح الفلسطينيين، بل بما ينذر بحدوث مشكلات كبيرة فى الصف الفلسطينى الذى أوشك أن يتوحد خلف المقاومة كخيار أساسى لإنهاء الاحتلال، فى مقابل وعود مؤجلة بالانسحاب وفك المستوطنات على مراحل أربع كل مرحلة منها تقتضى موافقة الحكومة الصهيونية، وفى مدى زمنى لن يبدأ تنفيذه إلا بعد عام على الأقل - هذا إن حدث -.

وها نحن نرى السودان يتعرض لمخاطر كبيرة فى (دارفور) فى الغرب تستدعى قرارات دولية مشبوهة بالتدخل فى شئونه خاصة بعد التنازلات الضخمة التى قدمتها حكومته لحركة التمرد فى الجنوب والاستعدادات لتوقيع اتفاقات السلام فى مرحلة حرجة تحتاج إلى كل الجهود من أجل الحفاظ على وحدته وسلامة أراضيه، وتوظيف ثروته النفطية للنهوض بالتنمية فيه، ومن أجل الدفاع عن موارد مصر المائية التى يمدنا بها شريان الحياة القادم من قلب إفريقيا.

وها هى المملكة العربية السعودية تتعرض لموجة عجيبة من العنف الأعمى المدمر العبثى الذى لا يقره شرع ولا عقل ولا خلق ولا دين، وتدخل فى دوامة مشكلات - لم تعهدها من قبل - وتهدد استقرار البلاد وهى من أكبر موردى النفط فى العالم كله.

ثم إذا بالولايات المتحدة الأمريكية تحصل على ما تريده من مجلس الأمن بشأن العراق بموافقة إجماعية على استمرار الاحتلال إلى أمد غير معروف مع نقل شكلى للسلطة إلى حكومة عراقية غير منتخبة على وعد بانتخابات قريبة فى نهاية العام ستلحق فى الغالب بسابقتها فى أفغانستان.. تلك المؤجلة منذ سنتين ولا ينتظر أحد إجراءها فى ظل التدهور الأمنى وعدم تقديم المساعدات الموعودة أو الخبرات المطلوبة لإنجازها، وسيبقى العراق فى حال عدم استقرار

طالما بقى الاحتلال، وستزداد المقاومة مع انكشاف بشاعة الممارسات الأمريكية التى فاقت الممارسات الصهيونية فى فلسطين، تلك التى ظهر بعضها فى سجن (أبى غريب)، وفى سجون الموصل، مما دلل بوضوح أن الممارسات الحكومية العربية – ضد شعوبها – ما هى إلا استمرار للممارسات الصهيونية وتلك الأمريكية فى حق العرب والمسلمين.

إن الإخوان المسلمين حينما يكشفون عن تلك الممارسات البشعة الظالمة التى تنتهك حقوق البشر وكرامة الإنسان لا يعولون أبدًا على أطراف دولية ثبت يقينًا أنها تمارس بنفسها تلك المظالم، ولا يشتكون ظالمًا لظالم، بل يلجأون إلى الله وحده البصير بعباده، الحكم العدل بين الناس، ثم يبصرون الشعوب بحقوقها المنتهكة وقضاياها الضائعة كى تسترد تلك الحقوق بصبرها وجهادها وإصرارها على نيل تلك الحقوق المهدرة.

إننا ندرك أن الإصلاح الحقيقى فى بلادنا لن يتم إلا على يد الشعوب صاحبة المصلحة فى التغيير ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

وإننا نعمل على تحقيق ذلك وفق منهجنا المتدرج فى إصلاح النفوس وتكوين البيوت وإرشاد المجتمع وتحرير الأوطان، وإننا ندعو كل القوى الحية والجادة إلى الأخذ بنفس المنهج والسير على نفس الطريق والتوجه نحو الشعوب وعدم المراهنة لا على الأنظمة ولا على القوى الخارجية، حتى تتضافر الجهود وتتحقق الآمال.

إن هذا طريق طويل ولكن ثبت لنا أنه لا طريق سواه، وسنستمر فى مطالبة الحكام الذين استرعاهم الله هذه الأمة أن يتقوا الله تعالى فى شعوبهم وأن يعلموا أنهم معروضون على ربهم فى يوم لا تخفى فيه خافية، وأنهم

سيسألون عن كل صغيرة وكبيرة، عن آنات المعذبين، وعن دماء الشهداء والضحايا، وعن دموع الأرامل والثكالى واليتامى، وعن زفرات أهالى المعتقلين على أبواب السجون والمعتقلات، وعن ملايين العاطلين عن العمل، وعن الأموال المسروقة، وعن التنمية الضائعة، وعن كل شئ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

إن الإصلاح الحقيقى يقتضى كما يقول الخبراء معايير ثلاثة:

« **أولاً**: إحلال معيار الكفاءة محل معيار الولاء، سواء أكان ولاء القرابة العائلية أو العشائرية أو الزبائنية والمحسوبية أو ولاء شبكات المصالح الخاصة المتغلغلة فى الدولة أو ولاء الانتماءات الحزبية الضيقة والحاكمة.

ثانيًا: إحلال سلطة القانون محل سلطة أجهزة الأمن فى تنظيم الحقل العمومى والحياة السياسية والمدنية، إن إطلاق يد الأمن بحرية لإحضار الناس وتأديبهم أو تأنيبهم هو الوسيلة الرئيسية للإذلال والترهيب والتقزيم الذى يخلق شروط الإذعان، بل لا يترك للفرد خيارًا آخر سوى الانسحاق والاستسلام أو التمرد والعصيان.

إن ما يرمى إليه الضبط (التحكم) الأمنى للمجتمع هو إخماد روح النشاط كله عند الفرد لإخماد روحه السياسية وضميره الحر وشعوره بالكرامة، أى كل ما يجعل منه إنسانًا مبادرًا وفاعلاً ومتطلعًا للتراكم والإبداع، أى قتل المجتمعات فى سبيل ضمان الاستقرار والاستمرار للنظام.

ثالثًا: مبدأ المسئولية الذى يعنى الإحساس بالواجب والعمل بما يقتضيه ذلك الواجب فى ما يتعلق بالشئون العامة ومناصب المسئولية، وربما كان المبدأ السائد اليوم عند المسئولين العرب هو النقيض له تمامًا، أى: مبدأ التمتع واستباحة الموارد العمومية - كما لو كانت ملكية شخصية - ».

هذه المعايير التى طرحها الخبراء تدلل بوضوح على عمق الأزمة التى تعيشها المجتمعات العربية، وتسببت فيها الأنظمة العربية التى تعتمد على عصا الأمن الغليظة لتقتل من تشاء وتعذب من تشاء وتعتقل الآلاف، وتحوّل البلاد العربية إلى سجون كبيرة.

وهذه الأنظمة هى التى استباحت المال العام وحولت الثروات العامة والموارد العمومية إلى ملكية شخصية، وجعلت البرلمانات مجالس للتصفيق للحكام والتسبيح بحمدهم وقتلت المعارضة فى نفوس الناس وحوّلت الأحزاب المعارضة إلى ديكور تتزين به أمام العالم دون أى مشاركة حقيقية فى السلطة أو اتخاذ القرار.

إننا ونحن نودع شهداءنا الأبرار فى كل بلد عربى كنا نتمنى أن يسقطوا فى ساح الفداء فى معركة المصير مع العدو الصهيونى على أرض فلسطين، وليس فى سجن (مزرعة طرة) بسبب الإهمال الجسيم أو فى أقبية مباحث أمن الدولة أو أقسام الشرطة، كما ذكرت تقارير منظمات حقوق الإنسان، كما سبق مع الشهيد مسعد قطب أو غيره.

إننا سنظل أوفياء لديننا ولدعوتنا، كما سنظل أوفياء لبلادنا وأوطاننا، وسنتحمل بإذن الله كل التضحيات فى سبيل الله حتى يأتى الله بنصر من عنده ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]. صدق الله العظيم

***

الحق والقوة... وقرار محكمة العدل الدولية

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
٥ من جمادى الآخر ١٤٢٥هـ
٢٣ من يوليو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فقد صدر أخيرًا حكم محكمة العدل الدولية بشأن جدار الفصل العنصرى الذى أقامه الكيان الصهيونى فى الأرض المحتلة ليحتمى وراءه من غصب أصحاب الحق المغتصب والأرض المنهوبة والوطن السليب، وليظل متحصنًا خلفه ينشر الموت والدمار على أبناء شعبنا الصابر فى فلسطين وليفرض واقعًا يصعب على دعاة الإسلام تجاهله فى المستقبل، ملتهمًا فى طريقه آلاف الأفدنة من الأراضى المملوكة بالفعل لشعبنا فى الضفة الغربية، ملتويًا فى طريقه كالأفعى ليفرق بين الناس ومزارعهم ومحال أعمالهم، وبين الأسرة الواحدة التى تقع مساكنها خلف الجدار وبقية أفرادها الساكنين أمامه، فى جريمة فاضحة وقف العالم الذى يدعى الحضارة وقيم العدل متفرجًا إزاءها، واكتفى المنصفون منه بالتعبير عن استيائهم أو شجبهم.

وقضى قرار محكمة العدل الدولية بأن ذلك الجدار عمل غير قانونى ينبغى إزالته، إذ يتعارض مع كل الأعراف والقوانين الدولية التى تتصل بحقوق الإنسان - سواء فى حال السلم أو الحرب.. - وجاء الرد

الصهيونى - كما هو متوقع - رافضًا قرار محكمة العدل الدولية، وأعلن رئيس وزرائهم وكبير مجرميهم استمرار العمل فى إقامة ذلك الجدار العنصرى.. أما أمريكا الحليف الاستراتيجى للكيان الصهيونى والداعم الأكبر له فقد انساقت لرؤيته - كما هو معتاد - وأعلنت أن محكمة العدل الدولية ليست هى الجهة المختصة بالنظر فى مثل هذه المنازعات، وأن قرارها لا يشجع عملية السلام فى الشرق الأوسط، ولا ينظر بعين الاعتبار للتهديدات التى يواجهها الصهاينة المحتلون.. وهى حجج واهية لا تستحق عناء الرد عليها - فإن الجمعية العامة للأمم المتحدة هى التى أحالت موضوع الجدار العنصرى إلى محكمة العدل، وارتأى غالبية أعضائها - وهم دول العالم كله عدا أمريكا وحليفها الكيان الصهيونى - الاختصاص الأصيل لمحكمة العدل فى بحث ذلك الموضوع.. أما كون قرار محكمة العدل لا يراعى التهديدات التى يتعرض لها الصهاينة فهى التى قدمت من شتات الأرض بعد أن أجاد الغرب تسليحها وتدريبها لتنشب أظفارها فى قلب عالمنا العربى والإسلامى، ولتحتل أرضنا فى فلسطين وغيرها، وتشرد أبناءنا، وتنهب أرضنا، فى جزء أصيل من أجزاء المشروع الغربى الصهيونى الاستعمارى لفرض الصراع فى هذه المنطقة المهمة من العالم، وشغل أهله به؛ كيلا تقوم لهم قائمة، ولا تكتمل لهم صحوة ولا نهضة، ليظل المشروع الإسلامى الحضارى الذى يفترضون خطره على ضلالهم وظلمهم منكفئا حول ذاته، مهمومًا بنفسه، مثقلاً بجراحه.

توحد المشروع الصهيونى الأمريكى:

ولم يكن أحد من العقلاء فى عالمنا يفترض موافقة الصهاينة والأمريكان على قرار محكمة العدل الدولية، أو انصياعهما له، وبخاصة فى ظل الإدارة الأمريكية الحالية التى التزمت التزامًا كاملاً بالأجندة الصهيونية، ورأت تحقيقها ضرورة سياسية وعقائدية، وتحولت أمريكا فى عهدها إلى سلطة احتلال غاشم

للعراق العربى الإسلامى، تمارس فيه كل سوءات الاحتلال وشناعاته، من انتهاك لحقوق الإنسان، ونهب لخيرات الوطن المحتل، وقمع لأهله وتنكيل بهم، بعدما تكشف فى الآونة الأخيرة من دور صهيونى خطير فى تحقيق الاحتلال الأمريكى للعراق، وتهويل لخطر النظام العراقى على أمريكا والعالم، وإشاعة افتراءات لا أصل لها حول امتلاك العراق أسلحة دمار شامل يريدون أن تظل حكرًا على أمريكا وحلفائها، وهو ما ثبت كذبه يقينًا.. ثم تكشف الدور الصهيونى فى العراق بعد احتلال أمريكا له، حيث نشط الصهاينة فى شراء الأراضى هناك، والتغلغل فى أحشاء المجتمع العراقى والعلماء الموالين لسلطة الاحتلال، حتى تناقلت الأخبار أن محققين صهاينة كانوا يشاركون فى استجواب الأسرى العراقيين فى سجن (أبى غريب) وغيره، ويشرفون على تعذيبهم على النحو الذى يفعلون فى فلسطين المحتلة، ويقدمون فى ذلك الخبرة العريضة والأحقاد المريضة، بل رأينا أن القاضى الذى عينوه لمحاكمة صدام حسين أخيرًا هو شريك لأحد غلاة الصهاينة فى شركة استشارات قانونية، وتربطه بالعميل الأمريكى السابق أحمد الجلبى صلة قرابة قريبة!!

إن التوحد بين المشروعين الأمريكى والصهيونى ليس أمرًا طارئًا، بل إن أصل قيام الدولتين واحد، قامتا على إبادة أهل البلاد الأصليين لإقامة كيان مغتصب استيطانى، فعل ذلك الأمريكان القادمون من أوربا مع سكان أمريكا الأصليين، وفعل ذلك الصهاينة القادمون فى معظمهم من أوربا مع العرب فى فلسطين، ثم تأسستا على تعاظم القوة المادية الطاغية، وبخاصة العسكرية منها، وانتهجتا نهجًا عنصريًا يستهدف توفير كل الرفاهية لأبناء شعبيهما على حساب الآخرين الذين لا يعترفون لهم بحق ولا نصيب، وإن جرائم أمريكا فى غزوها اليابان وضربها بالسلاح النووى لأول مرة فى التاريخ، وجرائمها فى احتلال فيتنام وإحراق أرضها وشعبها، ثم جرائمها فى غزو العراق وتدمير مقومات دولته وإذلال شعبه، تلك الجرائم لعظيمة الشبه بجرائم الصهاينة فى

إبادة أبناء شعبنا فى فلسطين فى مذابحهم المروعة الشهيرة، وفى غزو جيرانهم فى مصر وسوريا والأردن، وفى كل بلد منها كم وفير من ذكريات مريرة عن جرائم الصهاينة ومذابحهم.. ثم فى لبنان وصابرا وشاتيلا وقانا وغيرها من سجل دموى أسود حافل.

لابد للحق من قوة تحميه :

إننا نوقن أن قرار محكمة العدل الدولية سيكون مثل غيره من قرارات الأمم المتحدة ومنظماتها التابعة بشأن قضايانا العادلة، لن يجد حظًا من تنفيذ، وسوف تقف المنظمة الدولية عاجزة أمام (الفيتو) الأمريكى والصلف الصهيونى، وهو ما ينذر بأوخم العواقب تجاه السلم الدولى، تمامًا كما حدث مع سابقتها منظمة (عصبة الأمم) التى وقفت عاجزة أمام شرود القوة الجامحة الظالمة فانهارت ليجنى العالم – وقد اختل ميزان العدل فيه – الثمار المرة لذلك الخلل الأسيف.

نحن نؤمن أنه لابد للحق من قوة تحميه، وإذا كانت دول العالم القوية قد ناصبت الحق الأبلج العداء، أو لاذت بالصمت وهى تراه معذبًا مصلوبًا، فإن أصحاب الحق أنفسهم باتوا هم المطالبين بالأخذ به والدفاع عنه، وإلزام المعتدين بمقتضاه.. نحن فى عالم لا يفهم غير لغة القوة، ولا يخدم إلا منطق الأقوياء.

إن أهلنا فى فلسطين ومن ورائهم ومعهم المسلمون والأحرار فى العالم كله قادرون بإذن الله على انتزاع حقوقهم انتزاعًا، لقد أسمعوا بجهادهم النبيل العالم بأسره وأحيوا بقية الخير والشرف فيه، وأقاموا للحق المستضعف منارة يأوى إليها كل أصحاب الحق الطريد.. ويرون فى جهادهم وصبرهم القدوة والأمل.. وذلك لا يقلل بحال من قيمة الجهاد السياسى والقانونى الذى يفضح أساليب الاحتلال ويقلم أظافر كذبه وافترائه، ويكشف عن سوءاته أردية الزيف والادعاء.

الحق القوى فى الإسلام:

إن الحضارة الغربية التى سمحت بكل ذلك الظلم والعدوان، والتى ارتضت انكسار الحق واختلال ميزان العدل، مادام ذلك يحقق مصالحها ويخدم أهدافها، ترتكب إثمًا كبيرًا فى حق نفسها وشعوبها وما قدمته للبشرية من منجزات فى مجالات العلم المادى والتقنية.

أما نحن فأتباع دين يقوم بناؤه الحضارى على العدل والحق، ويجعل الجهاد فى سبيلهما فرضًا لازمًا، ويطالب أصحابه باستكمال أدوات القوة لنصرة الحق وردع العدوان عليه.. لقد اتخذ ربنا - سبحانه - لنفسه اسم العدل والحق.. وجعلهما من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وكرر ذكر لفظ (الحق) فى القرآن الكريم نحو ٢٢٧ مرة فى حفاوة بالغة واهتمام عظيم ببيان سماته وقسماته، وأعلمنا أنه أقام الكون كله على ميزان الحق، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٧، ٨]، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الاسراء: ١٠٥]، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، وأعلمنا أن الحق مراده ومقصوده سبحانه ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧، ٨]، وأنه لا شئ بعد الحق إلا الزيغ والضلال ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].. ثم كرر سبحانه أن الحق أولى بالنصر، وأن نصرة الحق فرض لازم، وقدر محتوم فى نهاية الأمر ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

غير أن إسلامنا يعلمنا أيضًا أنه لابد للحق من قوة تحميه، ولابد لميزان

العدل من سيف يدافع عنه، والله تعالى منزل الكتاب هو منزل الحديد الذى ينبغى أن يتسلح به أتباع الكتاب وحملة الرسالة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقد كان إمامنا الشهيد حسن البنا فى توفيق من الله وفضل حين جعل شعار جماعتنا المصحف محاطا بالسيفين، دلالة على القوة والحق معًا.

إن الله تعالى لا يرضى للحق أن ينهزم، ولا للعدل أن يتراجع، ففى ذلك تغوّل للباطل يفضى إلى اختلال ميزان الكون.. ولكى لا يحدث ذلك لابد من أن ينهج أصحاب الحق نهج التضحية، فيقدموا فى سبيل الحق أرواحهم رخيصة، ولا ضير فى أن يمضى بعضهم إلى ربه شهيدًا سعيدًا لتبقى ظلال الحق وارفة، وأنواره ساطعة، وميزانه معتدلاً.. وغير ذلك هو الخسران المبين ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

الشيخ القرضاوى ومؤتمر لندن:

وفى هذا السياق يأتى ما حدث للداعية الإسلامى الكبير الدكتور يوسف القرضاوى الذى دعى لحضور مؤتمر لعلماء المسلمين هذا الشهر فى لندن، فتعرض لحملة منظمة حاقدة من المنظمات الصهيونية فى بريطانيا بسبب مواقفه الصلبة فى نصرة الحق وأصحابه فى فلسطين حيث أعلن الشيخ فى وضوح – وهو أهل للاجتهاد والفتوى وفى الذروة من علماء المسلمين فى عصرنا – أن العمليات الفدائية ضد الصهاينة المحتلين التى يفجر فيها أصحابها أجسادهم الطاهرة فى صفوف العدو هى عمليات استشهادية، يبغى بها أصحابها وجه الله ورضوانه وجنته، وليست كما يقول بعض المتخاذلين عمليات انتحارية، فشتان ما بين نفسية المجاهد الذى يسرع الخطو إلى الجنة،

وهو يهتف فى قرارة نفسه ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، ونفسية المنتحر الآيس من رحمة الله، والفار من قدره، والمعترض على قضائه..

وما زالت الدعاية الصهيونية تلاحق الشيخ، وتؤجج من حوله العداء، واشتد ذلك فى الفترة السابقة على انعقاد المؤتمر وفى بداياته حتى اضطر الشيخ الجليل إلى الانسحاب منه احتجاجًا على ما لاقاه من عنت وتضييق فى بلاد تدعى الحرية، وتملأ الدنيا ضجيجًا بالحديث عنها، وعلى رأسها حرية الفرد فى اعتقاده وآرائه والتعبير عنها.. بل إنه قد سبق أن منعت الولايات المتحدة الأمريكية الشيخ الجليل من دخول أراضيها بحجة دعمه المعنوى للإرهاب!! وهكذا يصبح مجىء التعبير عن الرأى، والدفاع عن الحق ولو باللسان إرهابًا.

وإننا إذ نحيى موقف أخينا الكريم الدكتور القرضاوى، وإذ ندين ما تعرض له من حملة ظالمة لنعلن أنه من العار على دعاة الحضارة والسلام الموهوم فى عالمنا أن تضيق صدورهم بمن يخالفهم الرأى، ولو كان رجلاً فى مكانة الدكتور القرضاوى ومنزلته بين المسلمين ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

***

حمل الأمانة والمسئولية تجاه قضايا الإسلام

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى
١٣ من جمادى الاخر ١٤٢٥هـ
٣٠ من يونيو ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.. وبعد

فإنه من بين مخلوقات الله التى لا تحصى فى كونه الفسيح يقف الإنسان – ذلك المخلوق العظيم – متفردًا متميزًا، بكل ما حباه الله تعالى من قدرات وملكات، ليكون مستأهلاً لحمل الأمانة الكبرى التى ارتضى حملها بعدما أشفقت السماوات والأرض من تبعاتها - أمانة المسئولية عن فعله ودوره - والخلافة عن الله تعالى فى أرضه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وليس الوصف بالظلم والجهالة مرتبطًا بمجرد الرضا والتكليف، بل بالغفلة عن مقتضاه، والتفريط الغالب عليه فى تبعاته، هو تفريط يفضى إلى الإفساد والشر، فى الوقت ذاته الذى يؤهله نجاحه فى حمل الأمانة إلى ترقية الذات وإسعاد العالم، ومن رحمة الله به أنه ما طالبه بتحقيق الخلافة والوصول إلى الغاية إلا وآتاه وسيلة النجاح فى ذلك، وأرشده إلى طريقة الفلاح فيه، وهو الاستمساك بمنهج الله وشريعته، والأخذ القوى به ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ ، ٣٩]، ومن رحمة الله تعالى له أن أرسل إليه رسله تترى، يحملون دين الحق وشرائع الهدى، ليقوِّموا مسيرة الإنسان، ويضعوا أقدامه على الطريق الصحيح.

ثم جاءت رسالة الإسلام الخالدة خاتمة رسالات السماء لتكون جماع الخير كله، وكلمة الله الأخيرة إلى العالم، ليتحاكم الناس إليها فى الدنيا، ويحاسبوا بمقتضاها فى الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]، ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ [طه: ٩٩ - ١٠١].

ومع أن المسئولية عن إقامة الدين الحق ونصرته وتحقيق مراده وغاياته هى مسئولية جماعية تسأل عنها الأمة كلها ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، إلا أن المسئولية العظمى أمام الله تعالى يوم القيامة تبقى فى الأساس مسئولية كل فرد على حدة، وهل المسئولية الجماعية فى حقيقتها إلا محصلة تلك المسئوليات الفردية؟ وهل نجاح الجماعة إلا نتيجة نجاحات الأفراد المكونين لها؟ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٣-١٥]، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]

وهكذا تتمازج فى الإسلام المسئوليتان الجماعية والفردية، ولا تلغى إحداهما الأخرى أو تقلص منها، فدور الجماعة لا يلغى دور الفرد، ولا نجاح للفرد إلا فى مناخ جماعى ييسر أداءه، ويبارك جهده، وينمى ثمرته..

مسئولية الأمة وأبنائها:

لقد أراد الله تعالى للأمة التى تحمل رسالته العظمى ودينه الخاتم، وتقوم بالدعوة إليه، والحركة من أجله، والجهاد فى سبيله، أن تكون أمة شاهدة على العالمين، رائدة للبشرية، تسير فى طليعة الدنيا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذا هو الوضع اللائق بأمة نصبت نفسها لتحمل دين الله الحق، وتقوم بتبعاته الثقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ ، ٧٨].

ولا ينبغى أن يظن ظان أن فى الأمر محاباة لهذه الأمة، أو استعلاء لها بغير الحق، تعالى الله عن ذلك، فليست أمة الإسلام أمة عنصرية تمجد عنصرًا بعينه من عناصر البشر، أو جنسًا خاصًا من أجناسه، بل هى أمة عقيدة تضم كل من أوى إليها، وآمن برسالتها، بغض النظر عن جنسه ولونه، كما أن أفضليتها مرهونة بأدائها لمهمتها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فإن تقاعست عنها خسرت تلك المكانة العلية، وحوسبت عن تقصيرها أشد

حساب، ثم استبدل بها غيرها ممن يستطيعون حمل الرسالة بحق ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].. نعوذ بالله من ذلك المصير.

دين الأمة كلها لا دين النخبة وحدها:

إن مقتضى ذلك التوازن بين المسئولية الجماعية والفردية، وذلك التفضيل للأمة المرهون بأداء رسالتها، وذلك الاستبدال القائم خطره حين التقاعس والقعود، أن نفهم أن مهمة حمل الرسالة والجهاد فى سبيلها هى مهمة الأمة كلها التى ينبغى على مجموعها وأفرادها النهوض بها، وليست مهمة أفراد منها أو نخبة أو صفوة من أبنائها، وليست أيضًا مهمة جماعة من جماعاتها أو حزب أو فريق بعينه دون غيره، ونحن بذلك لا نلغى دور النخبة والصفوة من الأمة، أو نقلل منه، فلابد لكل أمة من جماعة تقود، وترتاد الطريق، وتعطى المثل والقدوة، ومثل ذلك فى حال أمتنا أكثر فرضًا وأشد إلزامًا، كما لا نلغى دور بعض الأفراد من الأبطال والزعماء الحقيقيين الذين ينبهون الأمة إلى مواطن الخطر، أو مواضع الإنجاز، هؤلاء الملهمون الذين يصرخون حين تلتبس على الأمة السبل: «ها هنا الطريق».. لسنا نقلل من هذا الدور ولا ذاك، بل إن جماعتنا «الإخوان المسلمين» فى القلب من هذه الجماعات الرائدة، ورجالنا الكبار كالشهيد حسن البنا والشهيد أحمد ياسين فى مقدمة هؤلاء الرجال.. إنما ننبه إلى أن نجاح ذلك الدور مرهون بتفهم الأمة له، ومؤازرتها ونصرتها ودعمها من يقومون به، وفهمها أن دور أولئك الرواد ليس بديلا لدورها، وليس مبررًا لأن تنفض يدها من المسئولية الملقاة على عاتقها، والمحاسبة أمام ربها عنها، ظنًا أن فصيلاً من أبنائها كفوها مؤنة ذلك العبء الثقيل.

إن بعض الناس يسيئون فهم قضية فروض الكفاية، وفروض العين، ويضعون أمر نصرة الإسلام والدفاع عنه والجهاد فى سبيله فى خانة فروض الكفاية التى إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، ويحسبون أن قيام البعض بذلك الفرض يعنى الانصراف عنه أو خذلانه، وربما تعويقه والعمل على نقيضه، وذلك خطل ذميم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢]، كما أن الفهم الصحيح لفرض الكفاية يقضى بأنه «إذا قامت به جماعة سقط عن الباقين»، والله يعلم - والناس أجمعون يعلمون - أنه لم «يقم» بناء الإسلام الكامل بعد ما انتقصه منه أعداؤه.. وأن المتصدرين لنصرة الإسلام والعمل له غير قادرين وحدهم على القيام الحق بذلك الفرض فى تلك الظروف العالمية المعادية للإسلام، والمتربصة بأهله.. وكيف يظن بهم القدرة على ذلك وكثير من المسلمين يرتضى لنفسه مقام الغفلة من دينه، والجهل به، أو العداء له ممن ينتسبون إليه؟!

المسلمون جميعًا مسئولون عما يحدث فى فلسطين:

وحين نفقه هذه القضية حق الفقه سوف ندرك قدر تقصير الأمة فى حق قضية أهلنا فى فلسطين، الذين بذل أبطالهم وجماعاتهم المجاهدة ما يملكون من أجل نصرة قضية المسلمين الأولى، وسط تآمر دولى، وعداء صهيونى أمريكى، وتخاذل عربى إسلامى مرير.. وكأن تلك قضيتهم وحدهم، وكأن تحرير المسجد الأقصى الأسير وكل ذرة تراب فى أرض الإسراء ليس فرضًا لازمًا على كل مسلم، وكأن الخطر الصهيونى لا يتهدد صراحة جيران فلسطين - القريبين والبعيدين على السواء - وكأن الترسانة النووية الصهيونية وأقمار التجسس الصهيونية إنما نصبت

لأجل حماية أمن الصهاينة المزعوم من الداخل الفلسطينى المقاوم!!

وكيف يسع المسلمين فى دينهم الاكتفاء بمواقع المتفرجين وهم يشاهدون جنازات الشهداء اليومية فى فلسطين، وأقصى ما يحرك كثيرًا منهم هو مشاعر الألم والحسرة والعجز؟!

لا ريب أن مقاومة المشروع الصهيونى ودعم الجهاد فى فلسطين فرض عين على كل مسلم أيًّا كان موقعه وقدرته.. حكامًا ومحكومين على السواء، سواء كان ذلك الدعم ماديًا أو معنويًا، بإمداد المجاهدين ونصرتهم، أو بحمايتهم من خطر الاختلاف الداخلى الذى يهدد مكتسبات جهادهم وثمرة نضالهم..

وفى العراق أيضًا:

وما يصدق على فلسطين يصدق على العراق الذى يتعرض فى هذه الآونة لمحاولات حثيثة لتشويه جهاد أهله ومقاومة أبنائه.. إن ذلك الوطن الحبيب الذى دمرت أمريكا وحلفاؤها معالم الدولة وعلائم الحضارة فيه - فى جريمة لن ينساها التاريخ - يعانى من اختراق أجهزة المخابرات المعادية للإسلام لبعض جماعاته، وإن عمليات الاختطاف والقتل المريع الذى يتعرض له بعض هؤلاء المختطفين على نحو يهيج الرأى العام، ويثير العداء للإسلام، ويعطى أعداءه الفرصة لتشويه مبادئه وأخلاقه، إن تلك العمليات أصبحت الآن وسيلة للضغط على بعض الحكومات العربية للتدخل فى العراق بإرسال قواتها إلى هناك، مما يشكل إخراجًا لأمريكا من مأزقها، وقد بدأ أنصارها وحلفاؤها فى ترك العراق، والنجاة من مستنقع احتلاله، وما حدث لأحد الدبلوماسيين المصريين الذى اختطف أخيرًا هناك يسير فى تلك الطريق، ونحن نهيب بالحكومات العربية والإسلامية أن تنتبه إلى أبعاد هذه المؤامرة، وتسعى فى إحباطها.

قضية السودان و (دارفور) :

إن إثارة قضية (دارفور) وتفجر الحروب الأهلية فيها - فى هذه الآونة بالذات - أمر يدعو إلى التأمل والحذر، فمشكلات السودان والتباين بين أجناسه وطموحات بعض جماعاته وقواه السياسية والاجتماعية أمر قديم، وله نظائر وأشباه فى عديد من الدول.. وقد تباطأ العرب والمسلمون كثيرًا فى مدّ يد العون إلى ذلك القطر الشقيق، وتركوه يعانى الاضطرابات والفتن وحده، رغم ما يمثله السودان من قدرات اقتصادية وسياسية واسعة، وبرغم ما يمثله من عمق إفريقى إسلامى ينبغى الإفادة منه.

إن أعداء الإسلام يبحثون عن مواطن الضعف والاختلال فى بلدانه لتفجيرها، وشغل الأمة بها، وتفتيت قدرتها على المواجهة والاحتشاد من أجل قضاياها الرئيسة، وكأن الأمة لم تكفها جراحها الدامية فى فلسطين والعراق وأفغانستان وفى كشمير والشيشان، وفى غيرها، حتى يُنكأ جرح جديد فى (دارفور) بالسودان...

وقد استطاعت الضغوط الأمريكية والأوربية على حكومة السودان - فى غياب أو ضعف الدور العربى والإسلامى - أن تفرض على الحكومة هناك توقيع اتفاق سلام مع الانفصاليين فى جنوب السودان، يضمن لهم حق تقرير المصير، الذى قد يؤدى - لا قدر الله - إلى انفصال الجنوب عن الشمال.. ثم استدارت هذه الضغوط إلى غرب السودان فى (دارفور) لاستغلال الاحتراب الداخلى بين أبنائه، وتدويل الصراع الدائر هناك، حتى بات عرض قضية دارفور على مجلس الأمن الدولى لاستصدار قرار بشأنها مسألة وشيكة الحدوث.. ومجلس الأمن مطواع للإدارة الأمريكية، والشرعية الدولية غدت أداة لتحقيق الإرادة الأمريكية -حين تشاء، وقد تهجرها أمريكا حين تشاء، فلا تبكى عليها عين، كما حدث حين غزت العراق، وحين تجاهلت قرار محكمة

العدل الدولية بشأن جدار الفصل العنصرى الصهيونى فى فلسطين، وحين وقف (الفيتو) الأمريكى فى كل مرة مدافعًا عن الكيان الصهيونى المتغوّل على حقوق العرب والمسلمين!!

ونحن الذين أعطينا الفرصة لأعدائنا لتشديد الحصار علينا، وطرح قضايانا الداخلية على المجالس الدولية التى تحقق مخططات هؤلاء الأعداء، وتعطيها الشرعية الدولية المزعومة.. ونحن بتقاعسنا وتخلينا عن دورنا فى كل مرة نعطيهم الفرصة تلو الأخرى..

ولنا أن نتساءل لماذا لم تنعقد جامعة الدول العربية لبحث هذه القضية؟ ولماذا لم يتحرك حاكم عربى واحد لزيارة السودان وبحث مشكلاته وتقديم العون لأهله؟ وأين دور منظمات الإغاثة وصناديق التنمية العربية.. إلخ؟!

إننا مع تحقيق حل عادل لمشكلات دارفور وأهله.. وتوفير الحياة الكريمة اللائقة بساكنيه، وكلهم من المسلمين سواء كانوا عربًا أم أفارقة، ونحن نجرم الاقتتال الداخلى بين أهله، فلكل دم مسلم حرمته، كما قال رسولنا ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»، ونحن مع نزع السلاح المتزامن والمتكافئ بين الفريقين المتقاتلين فيه، نزعًا يستهدف أمن الفريقين، وليس تقوية أحدهما على حساب الآخر، فيحدث مالا يحمد عقباه.

وإننا نهيب بكل القوى الإسلامية والعربية – الرسمية والشعبية – للتحرك السريع لإنهاء محنة المسلمين فى (دارفور)، فى إطار البيت العربى والإسلامى، وعلى نحو يحقق للسودان وأهله النجاة من شراك التآمر الأمريكى الذى لا يريد خيرًا لأحد من أبناء السودان أو الإسلام..

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

[غافر: ٤٤]

غطرسة القوة الأمريكية... والالتفاف حول السودان

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى
٢٠ من جمادة الاخر ١٤٢٥هـ
٦ من اغسطس ٢٠٠٤م

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد؛

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان على وجه الأرض، وحدد لحياته عليها هدفًا وغاية، وأوضح له أنه محاسب على ما حققه فى حياته فى يوم يرد فيه إلى الله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وينبغى أن لا تخرج حركة الإنسان المؤمن الواعى برسالته عن إطار هذا التكليف الإلهى، سواء كانت تلك الحركة الإنسانية فردية شخصية، أو فى إطار أى تجمع بشري؛ يقول الحق تبارك وتعالى فى معرض توضيح مسار حركة الإنسان على الأرض قارنًا بين العبادة وفعل الخير والجهاد لتكون كلمة الله هى العليا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨] كما يجعل الله تعالى التمكين فى الأرض وسيلة لأداء العبادات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[الحج: ٤١].

وقد كان غياب الوعى بهذا الدور وتلك الرسالة، وعدم الالتزام بها السبب الرئيس وراء الصراعات الدامية التى شهدها التاريخ الإنسانى عبر القرون، وما سببته للبشرية من هلاك وخراب ودمار، سالت فيها الدماء أنهارًا، وضاعت فيها الثروات، وبُددت فيها الطاقات بعد أن سادت الأثرة ونزعة السيطرة على الآخرين وإخضاعهم بالقوة والقهر، وهضم حقوق الشعوب المستضعفة المنهزمة، وشهدت البشرية نماذج محزنة ومخزية لسيطرة غطرسة القوة وضياع الحق ونسيان الرسالة التى كلف الله تعالى الإنسان بأدائها على وجه الأرض.

ارتكاس النموذج الأمريكى:

ويمثل النموذج الأمريكى الحالى أسوأ ما ارتكست إليه البشرية حين تفقد بوصلة التوجيه الإلهى، وحين تسيطر ثقافة المتع والشهوات، وحين تعلو المصالح والمنافع المادية فوق كل المبادئ، وبعد أن تفردت واشنطن بقيادة سياسة العالم اندفعت فى سياساتها الظالمة المجحفة، محطمة كل القيود الأخلاقية، ومتخطية ما سبق أن اتفق عليه أسلافها من قوانين ونظم دولية على الرغم من أن تلك القوانين والنظم كانت قد وضعت لضمان سيطرة القوى على الضعيف، لكن الاندفاع الأمريكى الجامح المتفلت من أى وازع دينى أو أخلاقى يرفض أن يحد حركته قيدٌ وضعه الآخرون.

وزاد الطين (بـَلَّة) أن سيطرت على الإدارة الأمريكية الحالية نزعات وتوجهات تصب كلها فى خانة تأجيج الصراعات وإثارة الحروب والفتن على كل مستوى، واستطاع «حزب الحرب» فى واشنطن المتلبس بأفكار اليمين الجديد والموجه من قبل المسيحية الصهيونية، والذى تحركه مصالح شركات النفط وتجارة السلاح أن يدفع العالم فى اتجاه سلسلة من الكوارث.. واحدة تلو أخرى.

وبالرغم من زخارف الإجراءات الديمقراطية للنظام السياسى الأمريكى والحديث عن التوازن بين السلطات، فإن صنع السياسات الخارجية الأمريكية كما يقول الكاتب الأمريكى روبرت هيجز يشمل فقط حفنة من الناس: «فعندما يقرر الرئيس الأمريكى وحاشيته من كبار المستشارين الذهاب إلى الحرب فإنهم يذهبون إليها ببساطة، وما من أحد يستطيع وقفهم، ولا تزيد أجهزة المخابرات والسلك الدبلوماسى والقوات المسلحة عن أن تفعل ما يقال لها» وقد اتضح ذلك بعد الاندفاع الجنونى لشن الحرب على العراق، فقد قدمت المخابرات المركزية ووزارة الخارجية مبررات للحرب ومزاعم عن وجود أسلحة دمار شامل فى العراق، وسرعان ما ظهر أن هذه المبررات ملفقة وغير صحيحة، واضطر وزير الخارجية الأمريكى كولن باول إلى الاعتراف بأن ما قاله أمام مجلس الأمن الدولى لتبرير العدوان على العراق لم يكن صحيحًا.

وتلعب وسائل الإعلام الأمريكية دورًا رئيسًا فى تسويق صناعة الحرب وتهيئة الرأى العام لتقبل الاندفاع نحوها والتغرير بعقول الناس وإظهار المعتدى الظالم حملاً بريئًا ولو كان شارون وعصابته الصهيونية المعتدية.

وفى إطار ما سبق أن عرضناه - بإيجاز - يمكن فهم ما يحدث فى فلسطين والعراق، وما يتهيأ له المسرح الدولى وما يمكن أن يحدث فى (دارفور) فى السودان، وفى كل حالة يقدم «مهندسو الحرب» الأمريكيون المزاعم التى يحاولون أن يخدعوا بها العالم، ففى سبيل تحقيق المطامع الصهيونية تحارب الولايات المتحدة الشعب الفلسطينى الأعزل، وتصِمُ مقاومته الشرعية والمشروعة للاحتلال بالإرهاب، وتمد الغاصب المعتدى بالسلاح والمال وكل أسباب البقاء، وتحت زعم تجريد العراق من أسلحة الدمار الشامل (التى ثبت عدم وجودها) تشن الحرب على الشعب العراقى وقد كشف أحد التقارير مؤخرًا أن ٣٧ ألف مدنى قتلوا فى العراق من جراء الحرب التى شنتها إدارة

الرئيس بوش على العراق، بينما تقيم تلك الإدارة الدنيا ولا تقعدها إذا قتل صهيونى معتد فى فلسطين.

السودان... ومزاعم جديدة

ولا تعدم الإدارة الأمريكية تقديم المبررات والمزاعم الجديدة، فمن محاربة الدول المارقة - كالعراق - إلى مواجهة ما يسمى بالدول الفاشلة، تحاول واشنطن إظهار أن الحكومة السودانية قد فشلت فى القيام بواجباتها تجاه مواطنيها السودانيين فى إقليم (دارفور)، ومن ثم تندفع نحو تدويل القضية، ونقل ملفها إلى مجلس الأمن الدولى، ووضع الشروط المجحفة التى يصعب - إن لم يكن مستحيلا - على الحكومة السودانية أن تحققها فى مدة شهر واحد - حسب قرار مجلس الأمن - الأمر الذى يهيئ المناخ الدولى للقبول بالتدخل العسكرى الأمريكى - أو الموجه أمريكيا - فى السودان.

وبعد أن انكشف زيف الترهيب بأسلحة الدمار الشامل العراقية رفعت واشنطن راية التدخل فى السودان لأسباب إنسانية.. ونحن نتمنى حقيقة أن تتحكم الدوافع الإنسانية فى السياسة الأمريكية، ولو حدث ذلك لتوقف الدعم الأمريكى السافر للكيان الصهيونى الغاصب، ولانسحبت القوات المحتلة من العراق، ولتوقف مسلسل إثارة الفتنة والصراعات فى أكثر من بلد، ولتراجع التصعيد الأمريكى ضد السودان. والغريب أن يتهم الكونجرس الأمريكى حكومة السودان بممارسة إبادة جماعية ضد سكان إقليم (دارفور) قبل أن ينطق بهذا الاتهام متمردو (دارفور) أنفسهم أو منظمات الإغاثة العاملة هناك أو هيئة الأمم المتحدة.

لماذا السودان؟

ولو لم تكن هناك مشكلة فى (دارفور) لعبثت الأصابع الأمريكية المثيرة للفتن

لخلق أكثر من مشكلة للسودان الذى لا يراد لمشروعه الإسلامى أن يكتمل، ولا يراد له أن يكون همزة الوصل بين العرب والأفارقة ولا قنطرة عبور الإسلام إلى مناطق غير المسلمين فى مختلف أنحاء القارة السمراء، ولا أن يكون سلة غذاء للعالم العربى تغنيه عن الاعتماد على القمح الأمريكى والزبد الأوربى.

ولو لم تكن هناك مشكلة (دارفور) لعبثت الأصابع الأمريكية والصهيونية لخلق أكثر من مشكلة لضرب العمق الاستراتيجى لمصر وتعريض أمنها القومى للخطر والتعرض لمنابع النيل، شريان الحياة لمصر، وتهديد مختلف دول الجوار العربية المحيطة بالسودان وتوجيه رسالة للجميع بأنه ليست هناك دولة فى المنطقة بمنأى عن عبث الأصابع الأمريكية والصهيونية.

نستغرب الصمت العربى الرسمى!!

ولأن الأمر على هذا القدر من الخطورة، فإن الإخوان المسلمين يستغربون استمرار الصمت العربى الرسمى فى معظمه تجاه ما يجرى فى السودان ويعتبرونه بمثابة كارثة ينبغى تداركها على الفور، ويدعون الحكومات العربية للالتئام فى اجتماع طارئ للجامعة العربية لاتخاذ موقف ثابت وصلب يدعم الموقف السودانى فى مواجهة دعوات التدخل الخارجى، ويؤكد حق السودان فى حماية أراضيه والتعامل مع مشكلاته الداخلية بما لا يفتئت على حقوق الدولة ولا يضيع حقوق المواطنين.

وإذا كانت الجامعة العربية قد عجزت عن اتخاذ موقف قوى فى مواجهة الغزو الأمريكى البريطانى للعراق بسبب انقسام الموقف العربى، وبسبب التخريب الذى مارسه النظام العراقى السابق فى نسيج العلاقات العربية فإن الحال مختلف هذه المرة، وقد أثبتت التجربة أن المخطط لا يستبعد أحدًا، حتى الهاربين إلى أحضان الغزاة، وأن التكتل العربى الإسلامى هو الخيار الحتمى

الوحيد لمواجهة تلك الهجمة الشرسة.

ويدعو الإخوان المسلمون الحكومات والشعوب العربية والإسلامية إلى دعم الموقف السودانى بكل أوجه الدعم الممكنة ماديًا ومعنويًا وعلى وجه الخصوص تقديم الدعم الإغاثى والإنسانى بمختلف أشكاله بما يقوى الموقف السودانى، وعدم ترك الساحة مكشوفة أمام بعثات التنصير الأجنبية التى تحركها المخططات الاستعمارية، ويرحب الإخوان فى هذا الصدد بالتحرك الإغاثى المصرى ويطلبون زيادته.

كما يدعو الإخوان المسلمون مختلف فصائل وقوى المجتمع السودانى إلى التكاتف والتلاحم وعدم السماح باختراق الجبهة السودانية الداخلية، وأن تتحرك قوى الإصلاح والمصالحة لرأب الصدع والتقريب بين وجهات النظر.

ويدعون القوى المتحاربة إلى أن تتقى الله فى دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، وأن تحتكم إلى كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ، وأن تنتبه لما يحاك من خلالها ضد السودان من مؤامرات قبل أن يفرض عليها الاحتكام إلى شريعة بوش التى لا ترعى فى المسلمين إلاً ولا ذمة.

ولعل أحد الدروس التى يجب أن نستوعبها من أحداث (دارفور) أن انفكاك اللحمة بين الشعوب والحكومات، وغياب التنمية وانعدام الخدمات تكون لها آثار سلبية خطيرة تهدد وحدة المجتمعات وتوشك أن تصيبها بالتفكك

نسأل الله تعالى أن يحفظ السودان وسائر بلاد المسلمين من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عدوان على الإسلام وثوابته!!

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين
القاهرة فى
٢٧من جمادى الاخر ١٤٢٥هـ
١٣ من اغسطس ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه وبعد..؛

فإن الخلفية الدينية للصراع (الصهيو أمريكى) الدائر الآن ضد المسلمين يشتد بروزها بمضى الزمن، وكان أعداء الأمة قد اجتهدوا طويلاً وحرصوا كثيرًا على إخفاء دوافعهم الدينية، رغبة منهم فى إبعاد الإسلام – بكل ما يمثله من رصيد معنوى حاشد وعقيدة فوّارة فتية – عن ساحة ذلك الصراع، غير أن استمرار ضعف المسلمين واستقواء أعدائهم، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب أوحد، يدير الصراع لصالحه حيث شاء، وتميز الإدارة الأمريكية الحالية بقدر هائل من الاستعلاء والكبر والعنجهية الاستعمارية، كل ذلك جعلهم يبالغون فى استخفافهم بالمسلمين، ويعلنون فى مرات عديدة، وبأشكال متباينة عن هوية ذلك الصراع، وعن حقيقة مشاعرهم وتوجهاتهم الحاقدة ضد أمتنا، وبرح الخفاء، فلم تعد له حاجة فيما يرون، ولم يعودوا يحرصون على إرضائنا بأفواههم، وخداعنا بمعسول كلامهم، فصاروا شرًا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاً وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨]،

وكانوا ممن قال فيهم: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

صليبية جديدة:

لقد قالها الرئيس الأمريكى بوش الابن صراحة وهو يدبر لشن حربه ضد العراق، قال: «إنها حرب صليبية»، متبعًا سنن سلف له كان أعظم منه غرورًا، وأكبر ضلالة، وهو اللورد اللنبى الذى قاد جيوش الحلفاء لغزو الشام فى الحرب العالمية الأولى، وقد دخل القدس ظافرًا مستكبرًا وهو يهتف: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»!! لكن بوش أعلمنا أنها لم تنته، وأعلن أركان نظامه آنذاك فى جلاء أنهم يهدفون إلى إعادة صياغة خريطة المنطقة بما يحقق مصالحهم، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وأعلن رموز الإدارة الأمريكية الحالية أكثر من مرة عن حقيقة عقيدتهم الصهيونية الإنجيلية التى تعتقد بوجوب دعم الكيان الصهيونى دعمًا بلا حدود حتى يتحقق وعد الله بنزول المسيح مرة أخرى على الأرض المقدسة حسب زعمهم، وفى سبيل ذلك يجب إنهاء القضية الفلسطينية بما يحقق المصالح المطلقة للصهاينة، ورفض عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وتشجيع الهجرة اليهودية الكثيفة إلى فلسطين المحتلة، وتقوية الكيان الصهيونى ليفرض إرادته على جميع جيرانه، ويكون القوة الإقليمية الأولى فى المنطقة، محتميًا بمئات من الرؤوس النووية، وترسانة من الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، التى تجتهد الإدارة الأمريكية فى تجريد العرب والمسلمين منها، سواء بالضغوط السياسية والاقتصادية كما حدث فى ليبيا، أو بالحرب العسكرية المكشوفة كما حدث فى العراق، والعجيب أنه فى كلتا الحالتين لم تكن هناك أسلحة دمار شامل، أو ما يشبهها، وكأن أمريكا تريد أن تقول إنه ليس مسموحا للعرب

والمسلمين أن يلوحوا - مجرد تلويح - أو ينتووا - مجرد نية - بامتلاك أسباب القوة والبقاء، ووصمت الإدارة الأمريكية كل من يقف فى طريق عدوانها ويقاوم بغيها بالإرهاب، وأصبح وصف الإرهاب هو أكثر الأوصاف ترددًا فى وسائل الإعلام التى تُحكم أمريكا والصهيونية العالمية السيطرة على كثير منها، وغدا مرادفًا فى كثير من الحالات لمعنى الإسلام، ولقى المسلمون فى مطارات أمريكا وأوربا العنت والتضييق منذ حادثة ١١ سبتمبر التى لم يعرف حتى الآن على وجه القطع واليقين من خطط لها ونفذها..

ومن آخر ما تفتقت عنه ذهنية الشر الأمريكى ما أعلنه مكتب الإحصاء الفيدرالى الأمريكى من أنه زود وزارة الأمن القومى هناك بقوائم تفصيلية تتضمن بيانات شاملة عن أعداد الأمريكيين من أصول عربية وتوزيعهم فى كافة أنحاء الولايات المتحدة، وهو إجراء لم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية، حيث فُعل مثل ذلك بالأمريكان المنحدرين من أصول يابانية، مما ساعد على جمعهم فى معسكرات اعتقال أثناء الحرب..

وتجاوبت الضفة المقابلة للأطلسى بنفس الروح المتعصبة والمعادية، حتى وصف المسئول الإعلامى فى المجلس الثقافى البريطانى المسلمين بأنهم كالكلاب، تجمعهم صفات مشتركة، منها الرغبة فى قطع دابر من يخالفونهم فى العقيدة!! ونشر ذلك فى صحيفة صنداى تلغراف يوم الأحد أول أغسطس الجارى، وهى الصحيفة التى يرأس تحريرها يهودى متعصب ضد الإسلام.

تشويه إعلامى لقضايا المسلمين:

إن الأمر لم يعد يقتصر على بعض المقالات أو الحملات التى يديرها أناس متعصبون ضد الإسلام، بل غدا خطرًا حقيقيًا يستهدف تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وهو خطر يمتد شيئًا فشيئًا، ويثمر ثماره المرة فيما يتصل بالعلاقات

بين المسلمين والغرب، وهى علاقات نحرص - من منطلق إسلامنا - على أن تكون سوية ومتكافئة وعادلة.. ومما يصوّر عمق ذلك الخطر المشوّه للحقائق أن كتابًا صدر عن المجموعة الإعلامية بجامعة (جلاسجو) بعنوان: «أخبار سيئة عن إسرائيل» يصوّر أساليب الإعلام الغربى فى تناول الصراع الفلسطينى الصهيونى ويكشف عن كم التشويه الحادث لدى المتلقى الغربى لأخبار الصراع، ويذكر بعض الإحصاءات التى أجراها مؤلفوه، وفيها نجد أن ٤٣٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الأراضى المحتلة هى محتلة من قبل الفلسطينيين!! وأن ٣٥٪ من الأمريكيين يعتقدون أن أعداد القتلى والمصابين أكثر فى صفوف الصهاينة، وأن ٣٨٪ من البريطانيين يعتقدون أن المستوطنين هم من الفلسطينيين، أما ٧٠٪ من البريطانيين فلا يعلمون من أين أتى اللاجئون، ولا كيف أصبحوا كذلك!!

والانطباع الأولى عن هذه الإحصاءات يأتى ممتزجًا بالدهشة وعدم التصديق، ولكن الحقيقة أن الناس فى هذه البلاد مشغولون بقضاياهم هم، ولا تحتل قضايانا بؤرة اهتمامهم، أو حيزًا مهمًا منه، ولو كان الأمر كذلك لشغلوا أنفسهم بالبحث عن حقيقته، وتفهّم صورته على وجه الإجمال أو التفصيل.

ولئن صحت هذه الإحصاءات فإننا إزاء جريمة يتعرض لها الطرفان: المسلمون وضحايا التشويه الإعلامى من الغربيين على السواء!! أما التساؤل الملح: أين دور الإعلام العربى والإسلامى فى تصحيح هذه الصورة المغلوطة؟ فهو تساؤل قديم لا إجابة عليه شافية، فأجهزة إعلامنا - التى تسيطر على معظمها حكوماتنا - مشغولة بتمجيد الحكام وتعداد إنجازاتهم، ووصف مفاخرهم، والتحذير من الخطر المحدق بهم من قبل المتطرفين والمعارضين، أو هم مشغولون بإعادة تقديم المادة الإعلامية الغربية الاستهلاكية - والمبتذل منها على وجه الخصوص - بغرض التسلية وإلهاء الناس عن قضاياهم الكبرى.

إن تجهيل الناس فى الغرب بحقيقة الإسلام هو خطوة يعلم أعداء الإسلام أهميتها قبل وأثناء شن حربهم عليه.. وقد حدث مثل ذلك قبل بدء الحروب الصليبية ضد المسلمين فى القرون الوسطى، فقد كان الناس فى أوربا آنذاك يجهلون حقيقة الإسلام وأهله، ويعدّونهم وثنيين كفارًا، أو على أفضل الأحوال يظنون محمدًا ﷺ مسيحيًا منشقًا على الكنيسة، زعيمًا لإحدى حركات الهرطقة ضدها، ومن المؤسف أن ترتكب الحضارة الغربية الحديثة الخطيئة ذاتها، فبدلاً من أن تسلح شعوبها بالعلم بالآخر، علمًا حقيقيًا متكاملاً، تسعى إلى تجهيله به، واستغلال ذلك فى سَوْقه إلى حربه وعداوته.. ولو علم الناس حقيقة هذا الدين العظيم وحضارته لكان لهم شأن آخر تجاهه، وذلك ما نلمسه بالفعل حين تتاح أمام بعضهم فرصة التعرف الجيد على ديننا، وكيف يسارعون باعتناقه، أو يعلنون تعاطفهم معه.

مذابح النجف الأشرف وقصف المساجد:

وقد استباحت الإدارة الأمريكية فى هذه المواجهة كل مقدس، فالغاية عندها – وهى امتلاك العالم والتحكم فيه – تبرر الوسيلة، وكل مقاومة لهذا المخطط ينبغى مواجهتها بمنتهى القسوة والعنف.. ولن ينسى العالم جرائم أمريكا وبريطانيا فى قصف العراق أثناء الحرب معه باليورانيوم المستنفد، وقتل المدنيين بدم بارد، وتعذيب المعتقلين فى سجن (أبى غريب) وغيره، ثم تضيف أمريكا مزيدًا من الجرائم بقصفها مساجد المسلمين فى النجف الأشرف، تقتل وتصيب العشرات منهم، وهو نفس ما يفعله الكيان الصهيونى فى فلسطين، حيث يحول بين شباب المسلمين والصلاة فى المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمى وغيرهما من أماكن عبادتهم لفترات طويلة، وتقتل مشايخهم وعلماءهم وهم خارجون من الصلاة كما حدث مع شهيد الإسلام الشيخ أحمد ياسين، أو تقتلهم وهم راكعون ساجدون لله، كما حدث منذ سنوات فى

المسجد الإبراهيمى، ولا نستبعد أن تكون أيدى الاحتلال وعملائه فى العراق وراء العدوان على عدد من الكنائس هناك لإحداث الفتنة وخلق القلاقل.

لجنة الحريات الدينية:

ومن عجب أن الإدارة الأمريكية التى ارتكبت كل هذه الجرائم ضد المسلمين هى أكثر من يتحدث عن الحريات الدينية، وهو حديث يتمنى الحالمون والمثاليون لو كان حديثًا صادقًا، فعالمنا اليوم فى مسيس الحاجة إلى الحرية والتسامح، ولكن الحقيقة الثقيلة الوطأة أن قضية الحريات الدينية أصبحت فى يد الإدارة الأمريكية ورقة ضغط سياسية ضد من لا يسبحون فى تيار أهدافها وسياساتها، وسيفًا مسلطًا على رقاب كل من يخالفها، ووسيلة للتدخل فى شئون الدول الأخرى تدخلاً سافرًا ممجوجًا باسم الحرص على الحرية الإنسانية فى عصر العولمة الأمريكية.. ولجنة الحريات الدينية الأمريكية واحدة من عدة لجان تتخذ الأسماء البراقة الخادعة لتحقيق المآرب الاستعمارية الأمريكية..

وتزور لجنة الحريات الدينية عدة أقطار كل عام وتقدم تقريرها إلى الخارجية الأمريكية و(الكونجرس)، ثم يكون موضع احتفاء أجهزة الإعلام الأمريكية لتكوين الرأى العام وتوجيهه.. وقد تأسست هذه اللجنة سنة ١٩٩٨م، ويرأسها سفير أمريكى يعاونه عشرون من النصارى واليهود، وتضم مسلمًا واحدًا ليعطى شكلاً زائفًا للتعددية والنزاهة، ومن الأمثلة على تحيزها واستعمالها كأداة ضغط سياسى أنها زارت فى سنة ٢٠٠١م مصر والسعودية والكيان الصهيونى، وكانت السعودية آنذاك على خلاف حاد مع الإدارة الأمريكية عقب الاتهامات والتلويحات الأمريكية المغرضة ضدها بعد أحداث ١١ سبتمبر، وهنا ظهرت الإدانة القوية فى تقرير اللجنة عن الحريات الدينية

فى المملكة السعودية، وكذلك مصر، وتم نشر ذلك والتركيز عليه فى وسائل الإعلام الأمريكية والغربية، فى حين تم حجب تقرير اللجنة الخاص بالكيان الصهيونى وعدم إذاعته بما يحويه من انتهاكات بشعة لحقوق المسلمين الدينية واعتداء على المساجد، وقتل المصلين بها، ومنع الصلاة فى الحرم القدسى والمسجد الإبراهيمى..

تقرير لجنة الحريات الدينية مصر:

لقد جاءت زيارة هذه اللجنة لمصر فى النصف الثانى من يوليو الماضى فى وقت يشعر فيه المسلمون بالمهانة والظلم من العدوان الأمريكى على أفغانستان والعراق، والدعم الأمريكى المطلق للكيان الصهيونى فى عدوانه على فلسطين، وقد أوضحت هذه السياسات الجائرة مدى تدنى مفهوم حرية الإنسان غير الأمريكى – وبخاصة المسلم – لدى الإدارة الأمريكية، ومدى حقدها على الإسلام والمسلمين، بحيث يصبح أى حديث عن الحرية الدينية فى هذه الآونة فى بلادنا مثيرًا للسخرية والإشفاق والألم، وعلى ذلك فقد رفض الإخوان المسلمون زيارة وفد اللجنة لمصر، ورفضوا مقابلتها، وكذلك فعلت رئاسة الكنيسة المصرية، ولفيف من قيادات الفكر والعمل السياسى بمصر.

إننا نرى أن قضية الحرية الدينية بمصر والعالم الإسلامى هى جزء من قضايانا الداخلية التى ينبغى الحرص الشديد فى تناولها على نحو يوحى بالمتاجرة بها لأغراض سياسية أجنبية، وهى جزء من معاناة أشمل تتصل بمنظومة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى بلادنا، ولا يمكن أن نصل إلى ما نصبو إليه من حريات دينية وسط مظاهر القهر السياسى والخلل الاجتماعى والاقتصادى، إننا كإسلاميين أكثر من يعانى من القهر والتضييق، وأكثر من استضافته زنازين السجون وقاعات المحاكم، ومزقت جسده سياط

الجلادين، كل ذلك تحت سمع وبصر ورضا الإدارات الأمريكية المتعاقبة، والغربية بشكل عام، أو تجاهلها وصمتها وهى التى تتحمل مسئولية كبيرة عن معاناة الأحرار فى العالم نتيجة تأييدها للأنظمة الحاكمة القمعية والمستبدة ووسائلها اللاإنسانية وبخاصة مع خصومها ومعارضيها.. ونحن - بلا شك - ضد استخدام ورقة الحريات الدينية كأداة ضغط سياسى نفعى، أو كوسيلة لتفتيت الوحدة الوطنية المتلاحمة بين أبناء شعبنا على اختلاف أديانهم، أو إثارة الأحقاد بينهم والأطماع فيهم.

ومن مجمل ما نشر عن تقرير لجنة الحريات الدينية بعد زيارتها لمصر نستطيع أن نقول: إن لجنة الحريات الأمريكية تريد أن تأخذ بأيديها ملف الحريات الدينية والأقليات الدينية بمصر، وتدير شئونه، فتضع التشريعات وتعدل الدستور وتشكّل الهيئات، لينعم الجميع بالحرية الأمريكية المزعومة التى ينعم بها أهلونا فى العراق وأفغانستان وفلسطين، والمعتقلون فى (جوانتانامو)، والبائسون فى (دارفور) الذين تستغل قضيتهم لتفتيت السودان وتهديد مصر، وتحقيق الأغراض (الصهيو أمريكية) فى المنطقة، إنه اللعب بالنار فى ظرف عصيب لا يحتمل العبث.

... ولكن يبقى الإسلام دين الفطرة

فرغم كل هذا الكيد يبقى الإسلام الدين الذى يقبل عليه الناس فى كافة أرجاء العالم بمجرد أن تتاح الفرصة للتعرف عليه ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

وحسبنا الله ونعم الوكيل

مع قدوم شهر رجب... شهر الله الحرام

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٤ من رجب ١٤٢٥هـ
٢٠ من أغسطس ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد،

فقد أهل هلال شهر رجب، أحد الأشهر الحرم التى خصها الله بالذكر والفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهى الأشهر الأربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم - ثلاث متواليات - وشهر رجب، وكانت العرب تحرمها وتجلها قبل الإسلام، فزادها الإسلام تحريمًا وإجلالاً، جريًا على نهج تشريعه العظيم أن يقر ما وجده من خير، ويعترف به، ثم يصفيّه من أدران الجاهلية وشوائب الشرك، ثم ينميه ويعظم الإفادة منه، فيشير بذلك إلى منهج التعامل مع ما لدى الآخرين، من انفتاح عليهم، وتواصل معهم، مع وعى وتدبر حصيف، يتتبع الخير ويحتفى به، «فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»، ويترك الشر، ويحذر منه، ويحاربه، لترتقى البشرية قُدُمًا فى مدارج الحضارة، وتفيد من تجاربها وخبرات جميع أبنائها..

وقد حرم الله تعالى فى هذه الأشهر التظالم والبغى ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهو حرام فى الأشهر كلها، وإنما خصه بالذكر فى هذه الأشهر الحرم لأن الظلم فيها أبلغ فى الإثم، وأشنع فى العمل، كما غلظ العقوبة والإثم على المعصية فى مكة البلد الحرام، قال تعالى ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، مع تحريم المعاصى فى المواضع كلها...

وفى ذات الوقت جعل الله تعالى ثواب العمل الصالح فى هذه الأشهر الحرم أعظم من غيرها - كما ورد فى عديد من الأحاديث.. - فهى أسواق الخير العميم، ونفحات الله التى ينبغى التعرّض لها، فطوبى لمن انتهز فرصتها، واغتنم مقدمها، وتدبر آلاء الله فيها، وشمّر عن ساعد الجد، وأماط عن قلبه وعقله حجب الغفلة، وطهر نفسه فيها وزكاها، فصار إلى ربه أقرب.

ذكرى الإسراء والمعراج فى رجب وتحرير بيت المقدس:

ويرتبط شهر رجب فى وجدان كثير من المسلمين بذكرى الإسراء والمعراج، بكل جلالها ومعانيها، وقد وقعت هذه المعجزة الباهرة لنبينا ﷺ فى السابع والعشرين من شهر رجب - تبعا لأشهر الروايات - وهو اليوم نفسه الذى قُدّر أن يتحرر فيه بيت المقدس، ويعود إلى أحضان المسلمين على يد صلاح الدين الأيوبى - رحمه الله - سنة ٥٨٣هـ بعد أن ظل أسيرًا فى أيدى الصليبيين الغزاة زيادة على تسعين سنة، وكان فتح المسلمين له فتح رحمة ونبل، أبهر أعداءهم، وارتفع الأذان للصلاة من جديد فوق مآذن المسجد الأقصى بعد عقود من الغربة والامتهان، فما يئس المسلمون آنذاك مع تطاول عمر الاحتلال وجرائمه، ودمويته وعنفه، وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله، وما ضعفوا، وما استكانوا لأعدائهم، ولم يكن جهاد صلاح الدين ونصره إلا تتمة لسلسلة طويلة من مصابرة المجاهدين وبذلهم، من عامة الناس وعلمائهم،

وقادتهم وزعمائهم، فلما صدق العزم، وخلصت النية واستقام الصف، وامتُلكت أسباب القوة جاء النصر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وما ذهبت دماء الشهداء هدرًا، وما أزهقت نفوس الأبرياء ظلمًا بغير ثمن، وما أستبيحت الأعراض والحرمات والمقدسات دون مقابل، فكان النصر العزيز بلسما وشفاء ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

إن ساحات المسجد الأقصى اليوم، وإن جنبات الأرض المقدسة فى فلسطين السليبة، وإن دماء الشهداء وأنّات الثكالى والمعذبين هناك، لتستصرخ المسلمين اليوم لنصر كنصر صلاح الدين وإخوانه، وإن جيوش المجاهدين وعزمات القادة الأفذاذ ومصابرة العلماء وبصائر الشعب هناك اليوم لتبعث فينا الأمل بأن جيلاً يستأهل النصر والتمكين يتكوّن، وأن لَبِنَات مجد الإسلام تتعالى، وأن يوم النصر ليس بعيدًا، وليس السابقون فى صنعه، والمتسابقون إلى ساحاته كالقاعدين والمتخاذلين، أو المرجفين والمثبطين ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٨ ، ١٩].

فريضة الجهاد ودعم المجاهدين:

وإن جهاد أعداء الله تعالى الذين اعتدوا علينا، واحتلوا بلادنا، وقتلوا أبناءنا ورجالنا ونساءنا وأطفالنا، ونهبوا خيراتنا، ووصمونا مع ذلك كله بالإرهاب والعدوان، فريضة ماضية، ومن لم يستطع طولا أن يقوم بها، وحبسه العذر، فليس أقل من أن يستصحب نية الجهاد ويدعم إخوانه فى فلسطين والعراق والشيشان

وكشمير وغيرها من بلاد الإسلام الممتحنة، «ومن جهز غازيًا فقد غزا»، وتلك قربة من أعظم القُرَب، بل هى أعظمها فى هذا الظرف التاريخى الدقيق.

وفى هذا الشهر الفضيل من الأشهر الحرم نشد على أيدى إخواننا المجاهدين، ولا نكف عن الدعاء لهم، لعل الله تعالى يمنّ علينا بظفر قريب، ويكف عنا أيدى الظالمين وعدوانهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾ [النساء: ٨٤]، كما نحيى صمود أسرانا فى فلسطين وغيرها، ومحاولتهم لفت انتباه العالم إلى ما يلاقونه من معاناة وقهر وتضييق، يمثل عدوانًا صارخًا على كل القوانين والأعراف الدولية التى تتصل بحقوق الأسرى وحقوق الإنسان، وإدانة للضمير العالمى الصامت عما يجرى لهم..

وحدة صفوف المؤمنين:

وفى شهر رجب - أحد الأشهر الحرم - نذكر بأهمية وحدة الصف الإسلامى، وتآخى المسلمين وتوادهم، وحرمة التدابر والتقاطع والاقتتال بينهم، وهو فى هذه الأشهر أعظم حرمة، وهو فى حال الجهاد والمقاومة ودفع إجرام العدو أشد خطرًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وإننا لنؤكد على ضرورة تحقيق الوحدة الداخلية بين أبناء شعبنا فى فلسطين، وأهمية الحوار بينهم بغية توحيد الصف ومواصلة الجهاد وإنضاج تصورهم للمستقبل، كما نحيى تلك المظاهر الرائعة لتوحد شعبنا فى العراق - السنة والشيعة معا - فى مقاومة العدوان الأمريكى عليهم، الذى تجاوز كل الحدود فى جرائمه فى النجف الأشرف والفلوجة وبغداد وغيرها، وإن قصف المساجد وانتهاك الحرمات وقتل الأبرياء لن يزيد المقاومة إلا اشتعالاً، وسوف يعمقّ مشاعر الكراهية للاحتلال، ويؤكد عزلة عملائه، وإن تربعوا فوق كراسى الحكم، وعلى كل حاكم لا يستمد شرعية حكمه من رضا شعبه والوقوف معه فى خندق واحد ضد محتليه وظالميه أن يعتبر بمن سبق، وفى التاريخ القريب والبعيد العظة والعبرة.

أما أهلنا المنكوبين فى (دارفور) بالسودان فإننا نذكرهم بحرمة دمائهم فيما بينهم، وهم أتباع دين واحد، وقبلة واحدة، وشريعة واحدة، وقد قال نبينا ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»، وقد آن الأوان أن يفيقوا من غفلتهم، وينتبهوا لخطورة ما يراد لهم، وما يحاك لبلادهم من مؤامرات ينبغى ألا يكونوا أداة لتحقيقها، إن الهدف من تغذية الصراعات بينهم هو تفتيت السودان وتقطيع أوصاله، ونهب خيراته وخيرات (دارفور) نفسها التى لم يستطع أهلها التنعم بها، ثم تهديد مصر بإشعال النيران فى الجنوب منها، والعبث فى موارد النيل ومصادر المياه والحياة فيها..

فيا أهل (دارفور) ويا أبناء السودان، اللهَ اللهَ فى دمائكم وأموالكم ووطنكم، نحن فى شهر حرام فلتعظموا حرمته، ويكفينا ما بجسد أمتنا من جراح، لا تحتمل جرحًا جديدًا، ويا جموع المسلمين أغيثوا إخوانكم هناك، وبخاصة فى هذا الشهر الفضيل من الأشهر الحرم التى يتضاعف فيها أجر الصالحات، ولا يجوز أن تتركوهم نهبًا لمنظمات الإغاثة المشبوهة التى تستغل حاجاتهم لتغيير هويتهم وملّتهم، وطمس معالم الإسلام فى نفوسهم، أو تحريضهم ضد بنى وطنهم وإخوانهم فى الدين..

رياضتنا عبادة:

ولا ينبغى، وساحات الحرب على الإسلام والمسلمين مشتعلة، أن يشغلنا الإعلام العالمى والمحلى فى هذه الآونة بدورة الألعاب الأوليمبية فى (أثينا)، فينصرف بذلك انتباهنا ويغيب وعينا عما هو مطلوب منا نحو إسلامنا وتجاه ما يجرى لإخواننا.

وإذا كنا نحن كإسلاميين نقف على حذر من ذلك فإننا نؤكد على أن للإسلام نظرته التى تشجع ممارسة الرياضة ضمن منظومة متكاملة لامتلاك أسباب القوة الروحية والمادية، ونحن أتباع دين يقول كتابه الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ويعلى قيم التنافس والسبق إلى فعل الخيرات ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١]، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، ويقول رسوله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، وقد كان رسولنا ﷺ مثالاً فى القوة، يصارع الأقوياء فيغلبهم، ويتقى به أصحابه حين البأس، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وقد كان يحض أصحابه على اكتساب القوة الجسدية اللازمة لجهاد الأعداء ونفع الأمة، فيسابق بينهم، ويحض على تعلم الرمى ويقول: «من علم الرمى ثم تركه فليس منا».

والإسلام يحرص على أن تكون هذه القوة الجسدية مطيّة للحق والعدل، لا وسيلة للتفاخر والبغى، وأن تأخذ القوة الروحية المخبتة لله تعالى بزمامها، كما قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»، ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه يغضب لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله، وإن اجتهد المرء أن يمتلك أسباب القوة الجسدية - عبادة لله تعالى - ثم لم يستطع أن يتميز فيها، لقدر قد قسمه الله له، فلا تثريب عليه، وقد كانت قدما عبدالله بن مسعود أثقل عند الله تعالى من جبل أحد، وهو النحيف الضعيف البدن، لكنه قوى الإيمان، وثاب الشعور، صادق النية، سليم القلب.

والرياضة فى الإسلام – بعد ذلك – ليست عملاً تمارسه الصفوة، وتهدر فى سبيله أموال الأمة بسفه ونزق، وتصبح بذلك تلك القلة رمز البطولة ومثار الإعجاب، يتسلى بمشاهدتها المتبطلون والفارغون، بل هى عبادة مطلوبة من كل مسلم لتحقيق غايات أسمى وأجل، إعزازًا للأمة، ورفعا لمكانتها، وإعلاءً للدين، وإجلالاً لشأنه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تحرير الأوطان ..... فريضة شرعية

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين

القاهرة فى:
١١ من رجب ١٤٢٥هـ
٢٧ من أغسطس ٢٠٠٤م

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ومن والاه.. وبعد؛

فإن من أجلّ نعم الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن أنزل إليهم القرآن وبعث فيهم المصطفى ﷺ، ليبين لهم معالم طريقهم ومسالكه ودروبه، ويدلهم على منحنياته وتعرجاته ويحذرهم مما يواجههم أثناء السير عليه من عقبات وممن يترصد لهم من أعداء.

فإذا ما اتبع السائر على الطريق تلك التعليمات الربانية والإرشادات النبوية، واصل سيره فى أمان ووصل لنهاية الطريق فى سلام، وإذا ما خالف التعليمات لم يسلم من الحوادث التى تحول دون بلوغه مقصده، يصدق هذا على الفرد كما يصدق على المجتمع.

وقد أتى على المجتمعات المسلمة حين من الدهر خالفت فيه التعليمات الربانية والإرشادات النبوية، فضلت طريقها وانتهشها أعداؤها المتربصون بها.

وإن المتأمل فى واقع العالم الإسلامى اليوم ليجد صورة بارزة جلية لحالة ضلال الطريق، ونتيجة مأساوية مترتبة على ذلك وهى تكالب أعداء الأمة

عليها حتى كأنه ليس على وجه الأرض مقصود بالقتل والذبح، والتدمير والتخريب سوى المسلمين وديارهم ومقدراتهم.

أنى اتجهت إلى الإسلام فى بلد تجده كالطير مقصوصًا جناحاه

وكل يوم تنفتح ثغرة جديدة فى أرض المسلمين، وينزف جرح جديد فى جسد مثخن بالجراح، فمن فلسطين إلى العراق تتوالى عمليات القتل الأعمى الحاقد على أيدى التحالف (الصهيو أمريكى)، وتتصاعد انتهاكات الحرمات وتدنيس المقدسات من القدس إلى النجف، ومن جنوب السودان إلى غربه.. ثم الآن إلى شرقه بهدف فتح ثغرة جديدة فى الجسد السودانى الذى طال التآمر عليه وتشعبت مصادره، ومن الشيشان إلى كشمير إلى غيرهما من بلاد المسلمين نجد أن الحال هو الحال.

المسلمون وحدهم:

ولكن لماذا يحدث ذلك مع المسلمين وحدهم دون بقية الأمم؟

أولاً: لأن هناك من انغرست عداوة الإسلام فى قلبه، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]، وهم وإن لم ينالوا من الإسلام على كثرة محاولات التشويه وإثارة الشبهات، إلا أنهم قد تمكنوا من المسلمين فساموهم العذاب ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، فى نزعة انتقام بربرية وليشغلوهم عن أداء رسالتهم نحو تعريف الإنسانية بالإسلام وتقديمه إلى الناس مخلِّصًا مما يعانونه من مشكلات وأمراض نفسية واجتماعية.

ويحدث ذلك – ثانيا – مع المسلمين وحدهم؛ لأن الأمة المسلمة لها خاصية متفردة، إذ لا عزة لها إلا بالإسلام «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله» فيوم تتمسك الأمة بالإسلام تعلو رايتها ويثبت كعبها وتهابها الأمم، ويوم أن تتخاذل وتتخلى عن دينها تداعى عليها الأمم

كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، إن قدر هذه الأمة مع الإسلام.. وهو وحده مفتاح نجاحها وفلاحها.

وقد أدركت الأمة هذا المعنى وعرفت سر تلك المعادلة فكانت الأوبة المباركة للإسلام أملاً فى تحقيق العزة للمسلمين ودفعًا للأكلة المتداعين المتهافتين، ولكن بقى فى المعادلة طرف غائب، وعنصر غير فاعل.. إنها الحكومات العربية والإسلامية التى تتقاعس فى معظمها الغالب عن القيام بدورها فى تطبيق شرع الله وإقامة الدين وحماية بيضة الإسلام وأرض المسلمين، بل نجد - للأسف الشديد - بعض تلك الحكومات يجاهر بمعاداة شرع الله ويناصب دعوة الله العداء ويتعرض للدعاة ويزج بهم فى السجون والمعتقلات ويستقوى عليهم وكأنهم هم الأعداء، بينما نجده يخور ويضعف ويقدم التنازلات حين يتعلق الأمر بأعداء الأمة المتربصين بها.

يا ويح أولئك الحكام:

فيا ويح أولئك الحكام كيف يطيب لهم عيش ويهنأ لهم بال ويرقد لهم جفن ومقدسات المسلمين تئن وحرماتهم تنتهك والقدس تنادى، والنجف يستصرخ.. ودماء المسلمين تراق فى كل مكان؟

إن العدو لن يردعه التخاذل والجبن، ولا الضعف والاستسلام، ولكن يردعه البأس الشديد والأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى.

مواجهة التحدى تتطلب حكومات تنصهر فى بوتقة الإرادة الشعبية المتفقة مع الأوامر الربانية، حكومات تطبق شرع الله فى مختلف جوانب الحياة، وتعد الأمة الإعداد الذى يتناسب مع حجم التحدى وعمق المأساة.

اقرأوا التاريخ:

إن الأمة تطالب الحكام بأن يقرأوا التاريخ الإسلامى جيدًا ليعرفوا منه

كيف أنقذت فلسطين وحررت القدس فيما مضى من الأيام، وسيدركون أن طريق الجهاد هو الطريق الوحيد لتحرير الأوطان ورد المغتصبات.

والأمة تطالب الحكام بأن يقرأوا التاريخ الإنسانى جيدًا ليعرفوا أن عاقبة الظلم وخيمة وأنه لابد من رد الحق المغتصب للشعوب فى تقرير أمورها بنفسها بما فى ذلك حقها فى اختيار حكامها ومحاسبتهم وعزلهم، وحق الشعوب فى التعبير عن رأيها وفى الانحياز لقضايا أمتها والتعامل معها والعمل من أجلها، فكيف يحدث ما يحدث فى فلسطين والعراق والسودان وغيرها، بينما يوالى البعض - بتحريض وتشجيع صريحين من بعض الحكومات - الضرب على أوتار الشهوات وإغراق الشباب فى الملذات الحسية الخادعة، وصرفهم عن قضايا أمتهم؟!

الأمة تطالب الحكام بإطلاق الحريات العامة ووقف كافة أشكال القهر والاستبداد وإلغاء القوانين المقيدة للحريات وإفساح المجال للقوى الحية المخلصة لتكون عونًا للحكومات على مواجهة التحديات، فالشعوب المقهورة المستضعفة لا تحقق نصرًا ولا تصمد أمام عدو.

والأمة تطالب الحكام بإعداد المجتمع إعدادًا يتناسب مع حجم التحدى وتغيير مناهج التعليم وبرامج الإعلام ونشاطات الثقافة بما يربى النشء والأجيال على العقيدة السليمة والخلق القويم، وعدم الاستجابة للضغوط الأمريكية والغربية الرامية إلى مسخ هوية الأمة وعزلها عن عقيدتها وتراثها وتاريخها الإسلامى.

إن قضايا فلسطين والعراق والسودان والشيشان وكشمير وجنوب الفلبين كلها قضايا إسلامية.. يجب أن تعاد إليها هويتها الإسلامية، فإنه إذا اغتصبت أرض للمسلمين وجب على الجميع أن يقوموا لتخليصها من العدو وإن قصروا فى أداء هذا الواجب فإن المسئولية تعم جميع الأمة.

إن الأمة تزخر بالطاقات الفاعلة المتوثبة الراغبة فى العمل والعطاء، فلماذا لا تستغل الحكومات تلك الطاقات لتحقيق انطلاقة كبرى نحو الأهداف المرجوة؟

إن التفاؤل بالنصر.. مقدمة له، وإن قوة العقيدة تدفع الشباب والرجال إلى تحقيق المزيد من الإنجازات حين يأخذون بأسباب النصر ويلتزمون بها.

ونحن على يقين بأنه إذا أخذ الحكام بأيدى الأمة ورجالها وشبابها وساروا على طريق الجهاد - بكل ما تحمله كلمة الجهاد من معانٍ تتجاوز معنى القتال ولا تستبعده - فسيصلون - إن شاء الله - إلى طريق النصر وستتحرر فلسطين من عصابات الصهيونية ويتحرر العراق من الاحتلال (الأنجلو أمريكى) ويتحرر كل شبر مغتصب من ديار المسلمين.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

وحدة المسلمين

****

الطريق إلى النهضة

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
١٨ من رجب ١٤٢٥هـ
٣ من سبتمبر ٢٠٠٤م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين - سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد - المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد؛

فقد تطرقنا فى رسالة الأسبوع الماضى إلى قضية تحرير الأوطان، التى هى فريضة شرعية يأثم المسلمون بتركها.. وقد يسأل سائل: وكيف السبيل لتحرير الأوطان، وتحقيق الفريضة الشرعية؟ ونقول: إن وحدة المسلمين أول شروط التحرير وألزمها، فإن الاختلاف والتفرق من أكبر المصائب التى أُبتليت بها الأمة الإسلامية فأوهنت عزمها وأطاحت برياتها وجعلتها نهبة لكل منتهب.

وقد جعل الإسلام التوحد على طاعة الله - عز وجل - وطاعة رسوله ﷺ واتباع منهج الإسلام وترك النزاع أحد أسباب النصر، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦]

وإن من خصائص هذه الأمة أنها أمة واحدة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]،

«إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا.... الحديث» [رواه مسلم].

ويقول الإمام الشهيد حسن البنا - رحمه الله -: إن الإسلام جعل الأخوة معنى من معانى الإيمان بل هى أكمل معانيه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» و«مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

لقد كان من أهم ما فعله رسول الله ﷺ بعد أن وطئت قدماه المدينة هو مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار حتى يكونوا لحمة واحدة، وبناءً صلبًا قويًا قادرًا على الصمود ومواجهة التحديات وللإنطلاق نحو بلوغ الأهداف والغايات: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩] ويوم أن حاول بعض نفر من يهود أن يوقعوا فتنة بين الأوس والخزرج، خرج إليهم النبى ﷺ لساعته فوأد الفتنة فى مهدها وأعاد السكينة والطمأنينة إلى القلوب، وفى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٣].

ويوم واجه المسلمون العالم كله صفًا واحدًا وقلبًا واحدًا فى ظل هذه الأخوة الصادقة الحقة لم تلبث أمامهم ممالك الروابط الإدارية، أو السياسية المجردة ساعة من نهار، وانهزم أمامهم - بغير نظام - الروم والفرس على السواء، وكونوا إمبراطورية ضخمة تمتد من المحيط إلى المحيط، ذات علم وحضارة وقوة وإشراق».

ويوم غفلوا عن سر قوتهم ولم يأخذوا بهدى كتابهم، ودب إليهم داء الأمم من قبلهم من تغليب المصالح المادية الزائلة على الأخوة الإيمانية الباقية تمزقت هذه الإمبراطورية ولعبت بها المطامع الخارجية والداخلية، وانتهى أمرها إلى الانهيار والوقوع فى أسر خصومها من غير المسلمين الذين احتلوا أرضها وملكوا أمرها وتقاسموها فيما بينهم».

«وكانت الدسيسة الكبرى التى اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً، ثم أراضيهم وبلادهم ثانيًا، هى تأثرهم بالعنصرية والشعوبية واعتداد كل أمة منهم بجنسها وتناسى ما جاء به الإسلام من القضاء على عصبية الجاهلية والتفاخر بالأجناس والألوان والأنساب».

أى وحدة نقصد؟

وقد يتبادر إلى أذهان البعض معنى واحد للوحدة بين المسلمين وهو تحقيق الوحدة السياسية واجتماع المسلمين فى دولة واحدة على نظام حكم واحد، وهو أمر يرونه مستحيلاً، ونقول لأولئك المثبطين: إن ما ترونه مستحيلاً أمر وارد التحقيق، فضلاً عن كونه واجبًا شرعيًا، وقد رأينا كيف تجمعت شعوب أوربا ضمن منظومة الاتحاد الأوربى بعد قرون من العداوة والاقتتال، ونرى كيف تسعى الولايات المتحدة لأن تأطر العالم أطرًا ضمن ما يسمى بالنظام العالمى الجديد الخاضع للسيطرة السياسية والثقافية والاقتصادية الأمريكية.

ونحن نرى أن الوحدة السياسية بين المسلمين تأتي فى مرحلة تالية بعد

مراحل تمهيدية تسبقها، وبعد أن يحقق المسلمون فيما بينهم معانى وحدة العقيدة والمنهج والرسالة، ويعودوا إلى ما فرضه الإسلام على أبنائه حين جعل الوحدة معنى من معانى الإيمان.. والمطلوب: أن يدرك المسلمون أهمية ذلك جيدًا وأن يتمسكوا به وأن يعملوا على تحقيقه وأن يطالبوا حكوماتهم بتحقيقه..، ثم بعد ذلك تأتى الوحدة السياسية والإدارية والاقتصادية وغيرها، وستكون ساعتئذ نوعًا من تحصيل الحاصل الذى لا خلاف عليه.

لقد نادى الإخوان المسلمون بضرورة تحقيق الوحدة بين المسلمين وقت أن كان هذا النداء يناقض تيار الفكرة السائدة فى العالم قبل أكثر من نصف قرن، فكرة التعصب للأجناس والألوان، وارتفاع شأن الدولة القومية، فكيف وقد أخذت اليوم الحواجز بين الدول والشعوب فى الذوبان حتى كاد العالم أن يصبح قرية واحدة صغيرة، وبعد أن عادت الشعوب تتنازل طواعية عن استقلالية دولها فى سبيل الاندماج فى كيانات كبيرة قوية؟

ولا تعنى الوحدة بين المسلمين إنكار الفوارق الناشئة جراء اختلاف البيئات والثقافات والتأثيرات الإقليمية، إذ ستظل لكل شعب قوميته الخاصة به، ولكننا نعيد القول: بأن الوحدة المنشودة أولاً هى وحدة العقيدة والمنهج والرسالة، وهذه لا خلاف عليها بين المسلمين، فهى مرتبطة بالإسلام، الدين الخالص الكامل الذى ارتضاه الله - عز وجل - للمسلمين ولا يقبل منهم سواه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. [آل عمران: ٨٥].

بل إن الإخوان المسلمين ينادون بالوحدة العالمية التى تشمل العالم كله، لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه، ومعنى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إن على المسلمين أن يتخذوا من إيمانهم وتسليمهم بأركان الإسلام

الخمسة والمجمع عليها والتى لا يتم الدين إلا بالإقرار بها – منطلقًا لتحقيق الوحدة بينهم، وعلى العلماء واجب مهم وحيوى فى التأكيد على معانى الوحدة وارتباطها بالإيمان وتذكير الشعوب الإسلامية بقضاياها المشتركة، ومصيرها الواحد حتى تتولد الرغبة الشعبية المستجيبة لأمر الله تعالى، ولما افترضه الإسلام على أبنائه، وليعلم الجميع أن وحدة المسلمين هى طريقهم إلى تحقيق النهضة الشاملة المطلوبة، ومواجهة التحديات وإحباط مخططات الأعداء، حتى يتسنى للأمة الإسلامية أن تقوم برسالتها بين العالمين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

ولن تسود شريعة الغاب الأمريكية

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٢٥ من رجب ١٤٢٥هـ
١٠ من سبتمبر ٢٠٠٤م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد؛

فالخطة قديمة قدم الشر والمتغير الوحيد فيها هو المنفذ.. إنها ذات اليد التى امتدت لتقتل (قابيل) ونفس الألسنة التى رمت السيدة مريم الطاهرة بالزنا وطالبت بطرد نبى الله لوط - عليه السلام - ومن معه ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

شياطين فى صور آدمية ترتدى ثياب العصر ومن خلال أداة إعلامية جبارة تخطب فى العالم (اقتلوه أو حرقوه) تصنع أتونا تصطلى بنيرانه البشرية.. هى ذاتها التى عقرت الناقة.. ثم تولت لتنشر غيها وضلالها فى كل الدنيا، ومن لا يسير فى ركابها ويذعن لأهوائها فالخراب والدمار.

قلوب لا تنبض إلا بالكره..، وأحلام لا يرضى نزقها إلا أن تسوق البشرية نحو أخدود جديد ظنًا منها أن التاريخ سيكرر نفسه ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج:١ - ٧].

تتحد كل قوى الشر من جديد.. يهتف فيهم فرعونهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ويؤكد: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى﴾ [غافر: ٢٩]، وتكون النتيجة التى لا مناص عنها: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وساعتها يهتف قائلاً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦].

وما أشبه الليلة بالبارحة:

قديمًا أرادوا ألا تضع الحرب أوزارها وألا تتوقف الحملة على الإسلام فراحوا يحركون الفتنة، ويدفعون بقريش نحو حرب النبى ﷺ... ويفضح القرآن نوايا الشر فى حملتهم على الإسلام.. ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذريات: ٥٣]، وكان لهم ما أرادوا غير أن الباغى دارت عليه الدوائر ووعد الله نبيه بالفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

واليوم تدور عجلة الزمن وتمرق الطائرات فى برجى أمريكا ثم يخرج تقرير التحقيقات فى هجمات الحادى عشر من سبتمبر مؤكدًا أن اللوم يقع أول ما يقع «على الحكومة الأمريكية حيث أنها لم تدرك حجم التهديدات التى تجمعت لدى أجهزة المخابرات الأمريكية» وقال (توماس كين) رئيس اللجنة بالنص «وكما أوضحنا فى تقريرنا فإن هذا كان بمثابة فشل فى السياسة والإدارة والقدرة والأهم من هذا كله أنه كان فشلاً فى التصور).

ولئن كان رئيس لجنة التحقيقات يعتبر ما حدث «فشلاً» فإن «ديك تشينى» اعتبره مصلحة قبل عام من وقوعه، وفى إحدى القواعد العسكرية – قال: «إننا لا نستبعد وقوع هجمات إرهابية تستهدف واشنطن ونيويورك، وربما تؤدى إلى تجميع الولايات المتحدة ورفع الوعى بالخطر لدى المواطن الأمريكى»!

وهكذا انهارت الأبراج.. وتاهت الأشلاء وسط الأنقاض، وفى المقابل زادت ميزانية وزارة الدفاع الأمريكية واستطاع بوش أن يوظف الحدث ليرفع

راية الثأر – على حد زعمه – فى وجه الإرهاب ومن يؤيه صانعًا إمبراطورية لا حدود لأطماعها.

ثلاث ســـنوات:

ثلاث سنوات.. غادرتنا من الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ تاركة مخالبها فى بدن هذا العصر تحرك كل جراحها بغير التئام.

ثلاث سنوات.. مرت على تهاوى كل دعاوى التحرير والتحرر الأمريكية وكل شعارات الديمقراطية البراقة مع تهاوى أبراج الحادى عشر من سبتمبر.

ثلاث سنوات.. حملت الإدارة الأمريكية خلالها معاول الخراب إلى أرجاء مختلفة من العالم لتجرب كل جديد فيها على حساب أطفال لم تغادر ملامحهم براءةٌ كانت، غير أن الدانات المتطورة دفنتها فى قبر إنسانية بوش الجديدة.

ثلاث سنوات.. توجهت فيها القوة العظمى بالمقاييس البشرية لتعلن تبرؤها من كل قيم الحق والعدل! مؤكدة أن حربها الجديدة (حرب صليبية) هى فى الأصل قديمة عاد يقودها أبو لهب وقد تبت يداه من خمسة عشر قرنًا.. وتب.. غير أن مستهدفه لم يتغير ولم يتجاوز محاولة القضاء على دعوة الحبيب محمد ﷺ وصحبه وكل تابع لهديه.

وتحركت الجيوش صوب الأرض والعرض والمقدسات.

فى أفغانستان.. اختلط ركام تماثيلها، التى بكتها كل الدنيا حين هدمتها حكومة (طالبان)، بعظام آلاف البشر المدكوكة تحت دبابات التحرير الأمريكى دون أن يطرف للعالم جفن.. فالتماثيل لا تعوضها أرحام الثكالى والأرامل!

وفى العراق.. تحولت سجون صدام إلى (جستابو) جديد لحساب القوات (الأنجلو أمريكية) وما كان يفعله زبانية صدام صار أسلوبًا بائدًا وتقليديًا أمام تعذيب جماعى بشع لشعب الرافدين، مع اغتصاب موثقٌ بالصور للنشامى

ومحميٌ بقوانين أطلقوا عليها «قانون مكافحة الإرهاب الصادر بتاريخ ١٤ من ديسمبر ٢٠٠١م» وينص على «جواز اعتقال الأجانب دون توجيه الاتهام رسميًا لهم أو محاكمتهم وذلك استنادًا لأدلة سرية فى المقام الأول! كما يجيز القانون قبول الأدلة المنتزعة من الغير تحت وطأة التعذيب والاعتداد بها فى الإجراءات القضائية المتخذة ضد المعتقلين بموجب القانون»!

وهكذا تحول العراقى فى وطنه إلى شئ مستباح وتحول الاحتلال إلى مشرّع ومصاص الدماء استحال قاضيًا.

وفى أمريكا: حيث (٢٣٠٠ هيئة إسلامية) معظمها مساجد ومؤسسات دينية وطلابية ترعى قرابة «٨. ٥» مليون مسلم شهدت حياتهم انقلابًا بعد أحداث الـ حادى عشر من سبتمبر ويكفى أن (٨٥ ألفا) منهم تم دفعهم قهرا إلى إدارة الهجرة الأمريكية للتسجيل فيها فى حين أوقف معظمهم للاستجواب فى مكاتب التحقيقات الفيدرالية بدعوى الاحتياطات الأمنية.

وزادت نسبة الاضطهاد والتمييز ضدهم فى المطارات ومكاتب الخدمات إلى «٢٥٪» حسب تقرير نشره مركز (بيو) للأبحاث فى يوليو من العام (٢٠٠٢) أى: بعد حوالى ثمانية أشهر من وقوع حادث ١١ سبتمبر.

أما اعتقالات المسلمين الأمريكان فحدث عنها ولا حرج لأنها تتم دونما أسباب وفى عدم وجود محامين، و يختفى المعتقل المسلم لفترات طويلة دون أن تعلم عنه أسرته شيئًا هذا إضافة إلى الاعتداءات اللفظية والجسدية.. وقد وصل عدد المعتقلين من مسلمى أمريكا دون اتهام واستنادًا على أدلة سرية إلى (٨٠٠٠) مسلم خلال عام واحد، أى حتى (سبتمبر ٢٠٠٢م)

وما أن بدأ الأمريكان حرب احتلالهم للعراق حتى أخضعوا (١١ألف مهاجر) عراقى مسلم للاستجواب درءًا لشبهة معارضتهم لحرب التحرير..

ويجدر بنا هنا أن نسوق حادثة غلق السلطات الأمريكية لثلاث من أكبر مؤسسات الإغاثة الإسلامية الأمريكية لتدخل فى متسلسلة لا نهائية من الإجراءات القضائية أملاً فى الوصول إلى حقها والعودة للعمل.

حلف الشر:

حلف الشر يعمل فى الخفاء دائمًا.. يتحرك خلف الأقنعة.. يؤجج نار الفتنة .

هو من كشف سوأة المرأة المسلمة فى سوق المدينة.

وهو من ألّب القبائل وحزّب الأحزاب يوم الخندق،

وهو صاحب الشاة المسمومة،

وهو من أراد أن يلقى على النبى ﷺ حجرًا،

وهو من قتل عمر - رضوان الله عليه - فى الفجر.. وقتل الغر الميامين بنيران الغدر فى فجر الخليل

هو العدو الذى عمل على إسقاط الخلافة ويسعى الآن لإسقاط الأقصى.. هو الذى فرح يوم سقوط البرجين فى أمريكا.. وحسبما ذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز فى ٣ من نوفمبر ٢٠٠١م أى بعد أقل من شهرين من حادث ١١ سبتمبر، راح يشنّ عبر منظماته المتطوعة (عصبة مكافحة التشويه - رابطة الدفاع عن اليهود - مركز أبحاث الشرق الأوسط) حرب فاكسات فى الأسابيع التالية لأحداث سبتمبر ضد المنظمات العربية والمسلمة الأمريكية وقادتها مؤكدين أنهم الخطر الأكبر الذى يهدد أمريكا.

وهو العدو الذى قالت عنه مجلة (ناشونال ريفيو): إن «صقوره تسعى لتشويه صورة مسلمى وعرب أمريكا ومعارضتهم جهود الإدارة الأمريكية فى التواصل معهم».

و هو العدو الذى ردد وزير العدل الأمريكى «جون أكشروفت» قوله: «إن الإسلام هو دين يطالبك فيه الرب أن ترسل ولدك ليموت من أجله، والمسيحية هى عقيدة يرسل فيها الرب ولده ليموت من أجلك» ونشر هذا الحوار على صفحات موقع (crosswalk.com).

و هو العدو الذى قال على لسان القس الأمريكى (جيرى فالويل) فى حوار بثه برنامج (ستون دقيقة) وأذيع فى أكتوبر ٢٠٠٢ قال - وبئس ما قال -: إن الرسول محمد ﷺ إرهابى!!!

و هو العدو الذى كرس وسائله الإعلامية وخاصة (فوكس) التى يملكها الصهيونى روبرت ميردوخ لتعبئة الرأى العام الغربى ضد الإسلام والمسلمين وكان أبرز ما فضح هذه السياسة برنامج (هانيتى أندكومز) والذى أذيع فى الذكرى الأولى لأحداث الحادى عشر من سبتمبر حين استضاف المذيع شون هانيتى القائد الدينى الصهيو أمريكى وراح يقول - وبئس ما قال - عن الرسول ﷺ: «هذا الرجل كان مجرد متطرف ذا عيون متوحشة تتحركا عبثًا من الجنون، لقد كان سارقًا وقاطع طريق، وإن الإسلام هو خدعة هائلة» ولم يفت المذيع أن يؤكد على أنه «من الحتمى أن يدخل العالم فى حرب مع الإسلام لعقود قادمة» فى حين أكد الضيف الصهيونى على أن «القرآن هو سرقة دقيقة من الشريعة اليهودية والرجل - يعنى الرسول ﷺ - كان قاتلاً والتفكير فى أن الإسلام هو دين سلام احتيال كبير».

أيها العالم:

إليك نتوجه بحديثنا بعد ثلاث سنوات مرت على حادث أسقط كل معايير للقيادة وفرغ كل الحقائق من مضامينها ليسكب بدلها لهبًا تتجرع الإنسانية جحيم نيران مشروع (صهيو أمريكى) فيصير العدوُ هو الإنسانَ وتؤكد وحشية فعالهم أنهم لا يرقبون فى إنسان إلا ولا ذمة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

والأسـئلة حائرة:

- ماذا ربح العالم عندما سعى (بوش الابن) إلى حربه على الإنسان؟
- ما الذى جنته الشعوب الغربية وأذنابها من وراء أحلام (بوش الابن) الاستعمارية سوى نعوش ومعاقى حرب وأرامل ويتامى يبكون رجالاً راحوا فى حرب إبادة لا ناقة لهم فيها ولا جمل؟
- أين حقوق الإنسان فى عالم تحكمه شرعة الغاب التى يصوغها ملكها (بوش الابن) على أشلاء الإنسان الأمريكى المدفون تحت أطلال برجى أمريكا، والأفغانى المسحوق بين جنازير الدبابات الأمريكية، والفلسطينى المهشم تحت مجنزرات الصهاينة، والعراقى العارى فى (أبو غريب)، والسودانى المذبوح بسكين الفتنة فى جنوب السودان و(دارفور) والروسى الذى نسيت ديكتاتورية (بوتن) حقه فى الحياة فشربت تربةُ مدرستهِ دماءَه البريئة؟
- ثم إلى أين تقود العالمَ عصابة تحكمه وتملك مقومات البطش والفتك والدمار فى يد وفى الأخرى تحرك الغرائز وتُفرِغُ الإنسانَ من قيمه ليتحول جسده إلى هدف تتاجر فيه تارة - وإن لم يستجب - تسحقه تارة أخرى.. والخارج عن هذه المنظومة (إرهابى) لابد من أن يخرج من سجل الإنسانية؟

ويـا قومنـا:

أينما كنتم.. وأيًّا كان لونكم.. وإلى أى جنسية تنتسبون وعلى أى حال كنتم «هانئين برغد العيش - كادُّين وراء لقمة تسد الرمق - مرابطين حول الحرمات - مدافعين عن الأعراض - مأسورين لدى عدو أو فى سجن بنى جلدتكم - مستضعفين فى خيام للاجئين تشكون إلى الله ضعف القوة وقلة

الحيلة والهوان على الناس.

يا قومنا إليكم نؤكد:

- لئن كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر اتخذت ذريعة لتجييش الجيوش على أمة التوحيد إلا أنها كشفت ما كانت تواريه الألباب وأخرجت مكنون الصدور لتنجلى حقيقة العدو وتنفضح أسباب التبعية وليراجع كل تابع قبلته رافعًا شعار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].
- أما التهمة التى يرموننا بها «الإرهاب» فقد ارتدت عليهم مع سقوط أول قذيفة على أفغانستان، وصار لزامًا علينا أن ننتقل من خانة الدفاع التى يسعى الصهاينة لحصرنا فيها وشغلنا بها إلى ساحة العمل والعمل المثمر، فالعالم اليوم أحوج ما يكون إلى دعوتنا الربانية لتداوى جراح إنسانيته التى لم ترع شريعة الغاب الأمريكية حرمتها.. فلا تنسوا فضل الله عليكم ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]. ولتكن رايتنا ما قاله ربعى ابن عامر: «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»

وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

دروس من الإسراء واسترداد بيت المقدس

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للاخوان المسلمين

القاهرة فى:
٢ من شعبان ١٤٢٥هـ
١٧ من سبتمبر ٢٠٠٤م

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه... وبعد؛

فقد مرت بنا ذكرى إسراء نبينا ﷺ ومعراجه رخيّة نديّة، ثرية بدروسها وعظاتها، بحسب الرواية الشهيرة أنها كانت فى السابع والعشرين من رجب، وأمتنا فى أشد الحاجة إلى أن تعيش دروس هذه الذكرى علما وفقها وحركة، وأن تستمد من سيرة نبيها ﷺ ما تصحح به سيرتها، وتشد بها عزمها، وترشدّ به جهادها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

وإن من حق المسجد الأقصى علينا ومن حق الأرض التى باركها الله حوله وجعل إليها إسراء رسوله ﷺ، ومن حق أهلها المجاهدين والثابتين على الحق المر أن يجدوا الأثر الملموس لهذه الذكرى وتلك المعجزة القاهرة دفعًا لجهادهم، ووعيًا بقيمته وفرضيته وخطره.

العبودية الحقة لله:

لقد مثّل الإسراء والمعراج نصرًا ورفعة للداعية الأول ﷺ حين تكاتفت من حوله أسباب اليأس

وعوامل الإحباط، وقل الناصر، وطغى العدو، وتضايقت الأرض الرحيبة، فجاءت رحمة الله بالتسرية عنه، والنقلة إلى موطن الأنبياء، وإمامة المرسلين، ثم انفتحت أبواب السماء لتسعد بمن ضيّقت عليه الأرض التى تحكم فيها الطغاة والمجرمون.

ونبه الله تعالى إلى أن المدخل الحقيقى لهذه الرفعة وذلك الإعزاز إنما هو التحقق المطلق بالعبودية له سبحانه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الاسراء: ١]، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]، ولا سبيل أمام المؤمنين لتحقيق النصر واستحقاق التمكين إلا باستكمال عبوديتهم لله وحده، والتحرر الكامل من العبودية لغيره ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، فالعبودية لله وحده اصطفاء ورحمة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

والوصف بالعبودية لله تعالى وسام صدق من الله لأنبيائه ورسله ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]، ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]، ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢]، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، وكذلك الأمر فى وصف الله تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

ولا ريب أن جميع أسقامنا الفردية والجماعية، وأن تشتت نفوسنا وقسوة

قلوبنا وخور عزائمنا وضعف قوانا، وأن إحساسنا بالقهر والخوف والعجز، وأن تبدد وحدتنا وضياع هيبتنا وغثائية كثرتنا وشدة بأسنا فيما بيننا وهواننا على أعدائنا واستخزاءنا أمامهم.. كل ذلك إنما هى تجليات لوهن العبودية الحقة لله فينا، وعافية العبودية لغيره بجهالة، ولا صلاح لذلك إلا بالإيمان بالله وحده وترك غيره من الأنداد، والانعتاق من العبودية لهم والخوف منهم والرجاء فيهم والتوكل عليهم ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

عدوان الصهيونية وعداوتها:

إن الحديث عن معجزة الإسراء – بكل حجمها وتأثيرها – لم يستغرق فى السورة المسماة باسمها فى القرآن الكريم إلا آية واحدة، ثم انتقل الحديث بعدها إلى استعراض عداوة اليهود الذين آمنوا وإفسادهم فى الأرض، وما أعجب الارتباط بين (المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) وبين طبيعتهم المجترئة على الله ورسوله وأوليائه ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]

ولا سبيل لمواجهة ذلك وإنقاذ الأرض والإنسان من إفساد الصهاينة إلا وجود هذه الجماعة المؤمنة المجاهدة التى تؤمن بقدسية رسالتها وجلال مهمتها ممن وصفهم الله بقوله: ﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]، وإن من تمام العبودية الحقة لله الأخذ بأسباب القوة وامتلاك أدوات البأس الشديد.

ذكرى تحرير بيت المقدس:

وفى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣هـ دخل صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس بعد تحريرها، وصلى فيها المسلمون صلاة الجمعة لأول مرة منذ نحو تسعين سنة، فبكت العيون، وخشعت النفوس، وتذكر المسلمون مسيرة

جهاد طويل مرير، تبادلوا فيه مع أعدائهم النصر والهزيمة، حتى كلل الله جهودهم بتطهير المسجد الأقصى من رجس الصليبيين والصلاة فيه...

قيادة ربانية:

لقد كان تمام النصر على يد صلاح الدين مكرمة أرادها الله لذلك الرجل الربانى المجاهد ، والأمير القوى الزاهد، وقد سبقه فى طريق الجهاد رجال كبار لم ينقص من قدر جهادهم أنهم لم يقطفوا ثمرته، وكم تمنى أحدهم وهو الشهيد نور الدين محمود أن يرى بعينه المسجد الأسير، ويصلى فيه ركعتين!!، وقد شيد منبرًا ليخطب من فوقه حين تمام النصر، فاحتفظ به صلاح الدين حتى فتح بيت المقدس فجعله فى المسجد الأقصى، وظل به حتى أحرقه الصهاينة بعد استيلائهم على القدس سنة ١٩٦٧م، وكم تمنى نور الدين محمود أن يظفر بالشهادة فى سبيل الله، وكان يقول: «طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها»، فلا نامت أعين الجبناء، وهو الرجل الذى بلغ من إحساسه بالمسئولية أن حرم على نفسه أحيانا الضحك والمسلمون فى محنتهم، وقال «إنى لأستحى من الله تعالى أن يرانى مبتسمًا والمسلمون محاصرون بالفرنج»

أما صلاح الدين فلم يكن سعيه إلا فى الجهاد، «بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا فى آلته، ولا كان له اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره، ويحث عليه، ولقد هجر فى محبة الجهاد فى سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده، وقنع من الدنيا بالسكون فى ظل خيمة، تهب بها الرياح ميمنة وميسرة... وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد»، على حد وصف صاحبه القاضى ابن شداد.

مواجهة حضارية:

ولم يكن نور الدين محمود ولا صلاح الدين مجرد محاربين موهوبين، أو

قائدين محنكين، بل كانا من كبار مثقفى عصرهما، علمًا وفهمًا وحفظًا، وفقهًا للواقع، وقراءة صحيحة واعية له، وقد جمع كل منهما كبار العلماء حوله، ليحضُّوه على الخير، ويشاركوه عبء المسئولية وعظيم التبعة، وليكونوا شهودًا عليه أمام الأمة وأمام التاريخ، وبين يدى الله ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، وكان كلا القائدين الكبيرين حريصًا على نشر العلم ومحو الجهل، وتحقيق العدل، وقد ألغيا ما يرهق كاهل الأمة من ضرائب ومكوس لم يأذن بها الشرع الحنيف، وأطلقا العنان لقوى البناء الحضارى فى الأمة كى تعبر عن نفسها وقدراتها، وقد أوقف نور الدين محمود كل ثروته على مشروعات الخير ليحقق النهضة الحضارية لأمته، أما صلاح الدين فمات وليس له من المال إلا سبعة وأربعون درهما ودينار واحد!!

فلا عجب إذن أن تحتشد الأمة خلف هذه القيادة الربانية المجاهدة..

تحقيق الوحدة وتخذيل العدو:

ولم يتحقق ذلك النصر المبين إلا بتحقق الوحدة الإسلامية فى الأقطار المحيطة بالصليبيين الغزاة، فى مصر والشام والحجاز والعراق.. ولقد سعى صلاح الدين إلى تحقيق هذه الوحدة سعيه المشكور، ولم يقبل أن يظل المتقاعسون والمعوقون للجهاد على كراسى حكمهم تاركين العدو يرتع فى الأرض المقدسة.. يهدد من يخالف هواه، وهؤلاء الحكام ما تسلطوا على المسلمين إلا بدعوى حرصهم على سلامة الأرض والبشر والعقيدة، وهى دعاوى يكذبها الواقع المحسوس.. وقد استطاع بعد جهد ومصابرة أن يحشد من حوله قوى المسلمين للجهاد، حتى كان جيشه فى موقعة حطين مذهلاً فى عدده وعدته لأعدائه، ومع جهد صلاح الدين فى جمع المسلمين من حوله على الجهاد، كان يبذل جهوده لتشتيت معسكر الأعداء، وبذر الخلاف بينهم، وإثارة ما يبطن بعضهم لبعض من أحقاد وإحن.

نهضة الأمة كلها:

لم يكن استرداد القدس على يد صلاح الدين إذن عملاً صاغته عبقرية الفرد البطل الذى تولى قيادة الجهاد فى ذلك الوقت العصيب، بل جهدًا متواصلاً للأمة كلها: ساستها، وعلمائها، وعامة شعوبها، ويبقى للبطل دوره غير المنكور فى تنظيم الخطو ونفاذ البصيرة وحشد القوى وتحجيم أسباب الشقاق والجفوة.. وكم مر على أمتنا من أبطال عظام - كانوا كالضياء للعين والعافية للبدن - لم يوافقوا قَدَرًا مناسبًا لحركتهم، ولا تأهلاً من جانب أمتهم لتحقيق مرادهم، فتضاءل أثرهم، وقل خطرهم..

لقد كانت أمتنا مهيأة آنذاك لاسترداد القدس السليب، فرايتها السياسية واحدة، حيث الخلافة فى بغداد، وإن باتت ضعيفة باهتة، وولاؤها للإسلام وحده، فلم تشتت طاقاتها قوميات ضيقة الأفق، جامحة الهوى، وكان يمكن لصلاح الدين - الكردى الأصل - أن يحكم مصر، ولنور الدين - السلجوقى التركى - أن يحكم الشام، وعلماء الأمة يحظون بتقدير الحكام وطاعة الرعية، فهم جهاز إعلامها الأقوى الذى يرشّد حركتها، ويعمق هويتها، ويشحذ عزائمها، وهم نواب الأمة لدى حكامها الذين لا يدينون بالولاء إلا لها، ولا يرتزقون إلا من أوقافها وأموالها، فلا تذل رقابهم لقمة عيش ولا مخافة غدر.

عدة النصر:

لقد كانت عدة النصر واسترداد البيت المقدس والمسجد السليب: قيادة راشدة، وأمة واعية، ومنهج إسلامى سديد، وهى شروط لا نصر بدونها، أو بتخلف واحد منها.. وإن أمتنا فى حاضرها العصيب لقادرة على استكمال تلك الشروط بإذن الله..

إن وعى جماهيرنا فى تزايد بخطورة المشروع الصهيونى - الأمريكى،

وخطورة المناهج المستوردة لحل مشكلاتها، وصياغة نهضتها، وحتمية المسارعة بالتغيير، فكل تأخر فيه يزيد الحال سوءًا، ويقربنا من حافة الهاوية..

وإن ملامح التغيير المنشود لدى قطاعات عريضة من أمتنا اليوم هى ملامح إسلامية، بعد أن عانت الأمة على مدى عقود من الزمن الاغتراب عن دينها، وتحلل قواها الذاتية، اليوم تنشد أمتنا الإسلام وقد رأت فيه مشروعها الأصيل القادر على انتشالها من وهدتها، وإعادة العزة والكرامة إليها، وقد رأت رأى العين تباشير نجاحه فى فلسطين وجنوب لبنان، وإن تباشير نصره فى العراق لآتية لا ريب فيها - بإذن الله -، وإن كثيرًا من شباب أمتنا اليوم بات على قناعة أكيدة بأن الإسلام هو الحل، وهو ليس حلاً سحريًا يتحقق دون جهد يبذل، ودم يراق، وزمن لابد منه لإنضاج الفهم وتقوية البصائر.

على أن كلفة العودة إلى الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجًا ليست أعلى من كلفة البقاء على ضلالة، والخبط فى عمياء، والتقلب فى الحمأ المسنون، وإن أعداد من قدمتهم الأمة حتى اليوم فى ساحة الجهاد الحق ليست أكثر من أعداد من فقدتهم فى صراعاتها الداخلية، ومجاعاتها المؤسفة، ومن أزهق أرواحهم الطغيان السياسى الأحمق المأجور، وليس الأمر بعد ذلك سواء، فشهداؤنا فى جنات الخلد لدى رب رحيم، وفى مستقر ضمائر الأحرار الشرفاء، وفى أطهر صفحات التاريخ.

وأما القيادات الراشدة التى لابد من توافرها لتحقيق النصر المنشود فهى بفضل الله موجودة وفى تزايد مستمر فى شتى ساحات العمل الممتدة، وهى وإن عانت التضييق والعنت اليوم فإن المحنة - إن شاء الله - إلى انفراج، وإن مع العسر يسرا، وحين تتاح لهذه الأمة حريتها السياسية المسلوبة - والأمر

كائن لا محالة بإذن الله – فسيكون على تلك القيادات عبء ثقيل هو أن تُـرِىَ الله من أنفسها خيرًا، وأن تحمل على كواهلها تبعاتها الجسيمة، وأن لا يحول بينها وبين الجنة حائل، ولا يسبقها إلى الله سابق..

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

إنها حرب على الإسلام

بسم الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.. وبعد..

فإلى العالم نوجه هذه الكلمات.. شهادة حق فى زمن الزيف العالمى الجديد، زمن الاعتداء على الحق والعدل والحرية.. وراية عزة نرفعها فى وجه قوى الاستكبار المادية، وعلامة حياة ومقاومة فى بدن ظن السرطان الأمريكى أنه قد تمكن منه.

إن كلماتنا اليوم.. لا نبغى من ورائها إلا أن نسجل شهادة حق لتاريخ البشرية فى صفحة يتوهم الغرب أن مدادها وأفكارها لن يكون إلا من خلاله.. متناسيًا أن سجلات الإنسانية لا تفتح صفحاتها إلا للحق والحقيقة مهما حاول المدلسون لذا.. هتف فرعون:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، ظنا منه أن مفاتح الخلد فى يديه.. فشرب ملح البحر الذى فَرَقه القدير، لرسوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، فعبر عليه السلام مع أمة الحق لترسو الحقيقة على

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
٩ من شعبان ١٤٢٥هـ
٢٣ من سبتمبر ٢٠٠٤م

ضفاف التاريخ خالدة...

وعندما حرق (هولاكو) عواصم وأباد شعوبا جاءت (عين جالوت) لتصيب قلب الشر وتخلعه من صفحات الزمان ممجدة (قطز) الذى أنقذها من وحوش متدثرة بملامح البشر.

واليوم يدور التاريخ ليبنى «بوش الابن» من هجمات سبتمبر المزعومة منصة القفز نحو حلم السيطرة ويعلن «سوف أعلنها حربا صليبية» ولما راعه انفلات لسانه راح يطلق على أمانيه صفة «العدالة المطلقة» ثم عدّل وبدل مستعيرا اسم إحدى الحملات الصليبية القديمة ليكون عنوانا لصليبيته الجديدة على الإسلام «حملة النسر النبيل »..

*** أين كانوا؟؟**

لم يعرف العالم «إرهابا» إلا على يد المسلمين.. هكذا يزعمون.. ونحن نقول:

فأين كانت قوى التحالف عندما حارب الإرهاب الصهيونى شعب فلسطين؟

ولماذا صمتت الدنيا على الإرهاب الهندوسى فى كشمير؟

وأين ذهبت أصوات العدالة عندما بدأ الإرهاب الروسى حصد أرواح الشيشان؟

وكيف لم يسمع ضمير الغرب صرخات ضحايا الإرهاب التنصيرى فى الفلبين وأندونيسيا؟

وأين كانت المنظمات المعنية وجون جارانج يتلقى ملايين الدولارات ليحصد أرواح العزل فى جنوب السودان؟

وكيف يصمت العالم إزاء الجرائم التى ارتكبت فى حق شعب العراق على يد قوات الاحتلال؟

إنها حرب على الإسلام.. ولذا لم يكن غريبا على صحيفة من كبريات

الصحف الأمريكية أن تقول «إن أنصار بوش يأملون أن تكون حربه فاتحة لنشر المسيحية فى بغداد»!

حرب تستهدف اقتلاع «الإرهاب» (!!) الذى يدعيه (بوش الابن).. ويصبح كل العالم مستهدفًا طالما أن فيه قلوبا تنبض بالإيمان، ويكون رمز الإرهاب كل مجاهد يدافع عن حرماته ومقدساته ومقاوم من أجل تحرير أرضه واستنقاذ بلاده..

حرب (صليبية) جديدة على «الإرهاب» (!!) الذى يقاوم ببسالة العدو الصهيونى المحتل على أرض فلسطين، إن الإرهاب عندهم هو ما وصفه الصهيونى «بن جوريون» فى قوله «نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات فى العالم وإنما نخشى الإسلام هذا المارد الذى نام طويلا وبدأ يتململ فى المنطقة.. إننى أخشى أن يظهر محمد من جديد فى المنطقة»

هذا هو الإرهاب عندهم.. دين يحض أتباعه على الجهاد كفرض عين ضد المحتل المغتصب، وصلوات تصل أصحابها بربهم وتشحذ عزمهم وتعلى هممهم وتقوى إرادتهم.. ودستور ربانى محفور فى قلوب الصغار قبل الكبار تتلوا آياته الألسنة فتخشع له الجبال وتلين له الأفئدة..

سواعد الهمة:

ورغم ضراوة الحرب.. وتكالب الأحزاب الجدد على دين الله واستبتساد الطغيان إلا أن وعد الله ثابت بنص الكتاب الخالد ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ﴾ [آل عمران: ١٩] .

فما ازدهرت دولة البغى فى عصر إلا أذن الله لدينه أن ترتفع راياته على يد قوم يحبهم الله ويحبونه ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وعندما كانت للشيوعية دولة واتحاد سوفيتى يجرم دراسة القرآن وتحصد رصاصاته صدور الموحدين وتغلق قوانينه المدارس الإسلامية وتمنع بناء المساجد وتظل عقودًا طويلة تغسل الأدمغة من الإسلام وتجرف عن النفوس تعاليمه، يأتى آخر وزير لشئون الأديان فى حكومة «جورباتشوف» ليقول «لقد اكتشفنا وجود أكثر من خمسة آلاف مسجد ومدرسة تعمل سرا طيلة هذا الوقت دون علم الحكومة أو سلطات الحزب».

ولقد فضحت قمة «أفيون» التركية للمنظمات التنصيرية التى عقدت فى ٢٧من أكتوبر الماضى(٢٠٠٣م) خيبة سعى المنصرين مؤكدة أن كل الجهود التنصيرية فى العراق قد فشلت تماما كما حدث فى أفغانستان التى تدفقت عليها عشرات الهيئات التنصيرية، هذا إضافة إلى الورطة التى أوجدت المنظمات التنصيرية نفسها فيها مع توالى أنباء تحول الجنود الأمريكان إلى الإسلام وهم الذين كانت تفتخر الكنائس بأنهم كانوا يصلون من أجل بوش!: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، ولئن كانوا يظنون أن العالم قد تعبدت دروبه ليسيروا فيها وليأكلوا أوطاننا لقمة سائغة فإن سواعد الهمة سوف ترد كيدهم إلى نحورهم قبل أن يبتلعوا مقدرات أمتنا..

سواعد ترى حواصل الطير الخضر تنتظر الصاعدين لترفرف بهم حول عرش الرحمن مؤمنة أن الموت فى سبيل الله أسمى أمانى المسلم، ليس كرها للدنيا ولا عزوفا عنها وإنما حبا فى حياة عزيزة وأملا فى أوطان حرة وسعيا لرحابة الدارين: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

إنها سواعد المقاومة التى تحسن صناعة الموت فتوهب لها الحياة بعيدًا عن دنس الأمريكان أو صلف الإنجليز أو خسة الصهاينة الذين يسرقون الحياة والأمل والحرية.

فيا أيها المقاومون:

لقد كشفتم سوأة عدوكم بثباتكم وتأييد الله لكم، وأرقتم مضاجع بوش الابن وأذنابه من خلال ضرباتكم.

و حركتم سواكن الأنظمة العربية والإسلامية فواصلوا فى كل ميدان فى فلسطين وأفغانستان والعراق والشيشان وكشمير ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

ولقد جيشتم خلفكم أمتكم.. ووحدّتم بهمتكم شعوبا مشتتة فازدادت تمسكاً بالإسلام الذى تموتون دونه.. فاثبتوا على الحق الذى أنتم عليه عسى الله أن يحيى بعزكم أمة الجسد الواحد «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»

واحذروا من يريدون تشويه وجه مقاومتكم المشروعة من أعمال لا يقرها الشرع: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]، فغايتكم نبيلة. وعليكم أن تسلكوا إليها الوسائل المشروعة، واحذروا عملاء الاحتلال وأصحاب الأفكار الشاذة المنحرفة الذين يودون حرف المقاومة عن وجهتها السليمة.. وليكن لكم فى المقاومة الإسلامية فى فلسطين مثل وقدوة، فقد حددت عدوها وساحة قتالها وثبتت على ذلك رغم كل الظروف.

وإليكم يا شباب الأمة فى كل البقاع:

هذا عام دراسى جديد.. أظل أمتكم الجريحة.. فاعلموا أن ميدان جهادكم عظيم.. وما تحصيل علومكم بأقل عند عدوكم من إعداد «صاروخ قسام أو فخ مقاومة» فأحيوا فى النفوس عزيمة التعلم والإقبال على العلم واجعلوه لله ولعزة المؤمنين ولرفعة شأن الأوطان «إنما الأعمال بالنيات» واعلموا أن لطالب العلم أجر المجاهد، واستشعروا خطورة الحملة الغربية على عقولكم ووجدانكم

وهى التى جندوا لها من شياطين الإنس جنودا يبثون سم الأفكار ويروجون لجون الفعال باسم الفنون.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، وما الحرب على غرائزكم بأقل من حربهم على مقدساتكم. فاحذروا أن تفتنوا وألجموا كما يقول إمامنا الشهيد حسن البنا – نزوات العواطف بنظرات العقول.. وكونوا أدوات بناء فى وجوه معاول الهدم..

تحركوا فى كل الميادين رافعين الإسلام شعار حياة.. ومنهج تواصل.. يراه الناس فيكم خلقا قويما.. وصحبة صالحة.. ووعيا بالأخطار.. وحرصا على الأوقات وعزا فى غير استعلاء.. وقوة فى غير تجبر.. وجمالا فى غير خيلاء.. وساعتها يعرف الناس حقيقة ما تحيون لأجله فيسيرون على دربكم و «لأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس»

أما أنتم يا جموع المعلمين:

فى المدارس والمعاهد والجامعات فلتخرجوا من ضيق وظائفكم إلى رحابة رسالتكم.. عقول الأمة بين أيديكم أمانة فأدوا حقها واعملوا على استنهاضها ورقيها وتقدمها، ولا تدعوها لقمة سائغة فى يد من يخطط لها بالسوء.. وأعدوها للمقاومة بالعمل فـ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. ولا تشغلنكم الدنيا عن الدين فإن دينكم يسير بين أيديكم حيث شئتم أيا كان تخصصكم: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. [الأنعام: ٣٨].

والله معكم ولن يتركم أعمالكم.. هو وحده القصد وهو الغاية و﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

وصلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لماذا كان تحويل القبلة؟

رسالة من
محمد مهدى عاكف
المرشد العام للإخوان المسلمين
القاهرة فى:
١٦ من شعبان ١٤٢٥هـ
٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٤م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، ورضى الله عن أصحابه الطيبين الطاهرين.. وبعد

يقول الحق سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

روى الإمام أحمد فى مسنده عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ يعنى فى أهل الكتاب «إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التى هدانا الله إليها، وضلوا عنها، وعلى القبلة التى هدانا الله إليها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين».

والأمة الإسلامية أمة الوسط، ووسط الشىء أعدله، العدل كله خير، وهى صاحبة المنهج الوسط الذى يرفض الغلو والعصب، ويقر التسامح ويأمر

بالتراحم والتعاون، وهى أمة لها مكانة القوامة على البشرية، الشهادة عليها، وتعطى ما عندها لأهل الأرض جميعا.

ولقد مضى شهر رجب وذكر المسلمون فيه معجزة الإسراء والمعراج، واحتفوا بالذكرى فى كل أقطارهم، احتفاءً لم يؤثر على أسلافهم لأنهم كانوا يعيشون حقائق هذه الذكريات، فكانوا فى غنى عما نفعله اليوم.

إنهم عاشوا حقيقة الإسراء والمعراج فى صلة نبيهم بالسماء، وفى أمانته على الوحى، وفى التسليم المطلق والعمل الجاد والتنفيذ الجازم والتطبيق لكل ما بلغ عن ربه حتى صاروا إسلاما متحركا، وعاشوا حقيقة الهجرة فى الصبر على الابتداء وهجر الأهل والوطن والتضحية بالمال وبالنفس فى سبيل العقيدة.

وجاء شهر شعبان وله ارتباط وثيق بالحدث الفذن، تحويل القبلة عن المسجد الأقصى إلى المسجد اللحرام فى السنة الثانية للهجرة، قبل معركة بدر الكبرى.. وقد أحدث هذا التحويل هزة عميقة فى مجتمع المدنية.

وتخبرنا الروايات المتعلقة بالحادث أن المسلمين فى مكة كانوا يتوجهون فى صلاتهم إلى الكعبة، فلما هاجروا إلى المدينة أمروا بالتوجه إلى بيت المقدس وبعد ستة عشر شهرا جاء الأمر بالعودة إلى البيت الحرام.. فما سر هذا؟

إن مكانة البيت فى نفوس المسلمين عميقة وأصيلة فهو أول بيت وضع للناس، ومع هذا الحب العميق فى نفس كل مسلم يأتى الأمر الإلهى بالتوجه إلى بيت المقدس فى الصلاة لاستخلاص النفوس والقلوب لله وحده، وليظهر من يمتثل لله ولرسوله - ولا ينطق إلا «سمعنا وأطعنا» - من غيره فاتباع أمر الله وطاعته والاعتزاز بهذه الطاعة مهما ظهر فيها من مخالفة لمألوف، أو ضياع لمكاسب عاجلة أو أمانى وحظوظ هو أصل هذا الطريق،﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾[البقرة: ١٤٣].

يذكر العلماء أن محنة الله لأصحاب رسوله فى القبلة، إنما كانت فيما تظاهرت به الأخبار، عند التحويل حتى قال البعض: ما بال محمد يحولنا مرة إلى هنا ومرة إلى هنا، وقال المسلمون، فيمن مضى من إخوانهم وهم يصلون إلى بيت المقدس: «بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت».

وقال المشركون «تحير محمد فى دينه» وقال اليهود «يتبع قبلتنا ويخالفنا فى ديننا» فكان ذلك كله فتنة للناس واختبارًا وتحيصًا للمؤمنين خاصة وأنهم على أبواب معركة بدر الكبرى.

وجاء الرد الحاسم الواضح على جميع الطوائف: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، وجاء الطمأنينة للمؤمنين ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

تميز رجال العقيدة:

إن رجال العقيدة يجب أن يتميزوا وأن تبلغ العقيدة من نفوسهم مبلغ الاستيلاء الكامل، وعقيدة الإسلام ترفض أن يكون لها فى القلب شريك، فيجب أن يكون اتجاه المسلم حيث أمره ربه، فبيت المقدس لله، والبيت الحرام لله، والمشرق والمغرب لله، وهو الذى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

إن المسجد الأقصى له فى نفوس المسلمين العمق العقيدى، وهو داخل فى مقدسات الإسلام، ومن هنا اتجه إليه عمر بن الخطاب وحرره وفتحه واتجه إليه صلاح الدين الأيوبى وحرره وطرد الصليبيين.

واليوم وبعد أن أقصى الإسلام عمدًا عن المعركة بيننا وبين اليهود وخدمة لهم ننادى بإنزال كل الرايات التى أضاعت المسجد الأقصى والقدس حتى يخلص الموقف كله لراية واحدة هى الإسلام وهى التى تحرر هذا البيت كما تحرر من قبل،

ورايا الانتفاضة فى عامها الخامس هى محط الأمل بإذن الله تعالى.

وننادى بوضع هذه القضية فى إطارها السليم ونقصد به الإسلام الذى يفرض على العالم الإسلامى كله الجهاد فى سبيل الله إذا اغتصب شبر من أرضه.

ومع ذكرى تحويل القبلة، يأتى الحديث عن ميلاد الحدث العظيم ميلاد الانتفاضة فى الأرض المقدسة.

الانتفاضة المباركة:

وتمر بنا ذكرى الانتفاضة وبدء عامها الخامس.. الانتفاضة التى استمدت قوتها ووجودها من عقيدة هذه الأمة، ومن ضميرها ووجدانها وتاريخها، ولذلك استطاعت أن ترد العدوان الصهيونى، والمكر اليهودى، وتفضح التردى العربى، والاستسلام والتخاذل، والحرص على الدنيا والحياة، لقد ترسخت قوة الإيمان فى قلوب الشباب، وترست مبادئ الجهاد، فقاتلوا أعداء الله ورسوله من المحتلين الغاصبين، قاتلوهم بلا ظهر يحميهم، ولا سند لهم ولا معين إلا الله وحده، يقفون على أرض زرع فيها الجواسيس والعملاء، ونبت فيها آلاف الخونة، ووقفوا بين هذا كله فى شجاعة وقوة إيمان، وليس معهم سلاح، فقاتلوا بالحجارة، وبما يمكنهم استخلاصه من أيدى العدو، أزيز الطائرات من فوقهم والصواريخ تتساقط عليهم، وبقايا البيوت التى تحولت إلى أطلال تحيط بهم، لا طعام ولا شراب، ولا نوم، الأمهات والآباء يودعون الشهداء، ولا تسمع إلا التكبير والإصرار على محاسبة اليهود، ومنازلة الصهيونية وتأديب الغاصبين.

والشهداء الأبرار، يختارهم الله تعالى من صفوة خلقه، رجالا كانوا أم نساء يصنعهم على عينه، ويكل إليهم منازلة الباطل، ومقاومة الاعتداء وإنكار

الظلم، والتربص بالظالمين، وتأديب المعتدين، وإشعال جذوة الإيمان بالله فى القلوب، والتضحية بكل عزيز لتكون لدعوة الله قوة، ترفع راية الله فى الأرض، وتتطهر بلاد الإسلام من أعداء الإنسانية.

لقد حدد القرآن هدفهم، فإذا به من أسمى الأهداف، إنه رسالة الحق والخير وإعلاء كلمة الله، فقال ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

إن تاريخ أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم تاريخ طويل بشع، استعلموا فيه كل وسائل الخسة والغدر، لكن العاقبة دائما لأوليائه وأحبابه، قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

هل نجحت الانتفاضة فى القيام بدورها؟ وهل تمكنت رغم ظروفها القاسية من أن تقف فى وجه الهجة الشرسة؟ ونقول نعم لقد أوقعت باليهود من الرعب والخسائر فى الأرواح والأموال، حتى إن بعضهم ليصرخ: إن خسائرنا منذ بدأت الانتفاضة، تخطت كل خسائر الكيان الصهيونى خلال الخمسين عاما الماضية، وأصبح العدد الكبير من الشباب اليهودى يرفض التجنيد فى الجيش الصهيونى هربا من الموت، تقول مجلة معاريف «إن الاستشهاد تحول إلى سلاح استراتيجى ومقاومته أصبحت صراعا من أجل البقاء » واستطاعت الانتفاضة أن تزعزع نظرية الأمن الصهيونى وأن تهز استقراره.. بدأ ذلك فى الهجرة المعاكسة، وتراجع السياحة، والخوف الذى يملأ القلوب وترتعد له الفرائص.

انتصرت الانتفاضة، لأن شبابها وشيوخها ونساءها فهموا المعنى الحقيقى للجهاد وأنه الدفاع عن الأوطان ضد الاحتلال أيـًا كان لونه، وضد نهب الثروات، وهو بذل الجهد نصرة للحق، ودفعا للظلم، وإقرار للعدل، والسلام والأمن.

وانتصرت الانتفاضة لأن شبابها يدعون الله أن يموتوا شهداء، حتى الأمهات والزوجات والفتيات، كلهم يتمنى أن يمضى شهيدا إلى الجنة، ويمضى قاتله إلى النار، إذ ضن عليكم اليهود بالمال، غسلوكم بالدموع الجوارى، وإن بخلوا عليكم بالقبور دفنوكم فى الأفئدة البواكى، ثم مشوا بكم فى مواكب النور التى تتسلل وتتعاقب، سائرة فى الزمان من لدن سيد الشهداء حمزة، وجعفر الطيار، وشهداء بدر الكبرى وأحد والقادسية واليرموك، والذين قتلهم الطغاة الظالمون من أمثال الحجاج وهولاكو، وتيمور لنك، إلى شهداء الجزائر والقناة والإمام حسن البنا شهيد فلسطين.

إن العدو الأكبر أمريكا فتحت ميادين أخرى فى أفغانستان والعراق والسودان، فى كل بلد إسلامى توقعد فيه الفتن، وتدبر فيه المكائد، وتشعل فيه النار، وتلفق فيه القضايا.. لابد من عودة جميع المسلمين إلى الوعى الصحيح، والإيمان الحقيقى حتى يتمكنوا من رد هذه الموجات التتارية والصليبية مرة أخرى.

المستقبل للإسلام:

إن المتأمل فى مسيرة الصراع بيننا وبين الصهاينة يجد أن الكيان الصهيونى لا يخشى من شيء، مثلما من الإسلام وحملته، ولذلك فهو يشن الحرب على الإسلام بلا هوادة فى كل مكان وميدان، ولكن كتائب الحق بدأت - بفضل الله - تنطلق من داخل الأرض المباركة، ومن جنبات المسجد الأقصى تمثلها

الانتفاضة المباركة، وهى تعلن أن الإسلام عائد، ليتسلم زمام المعركة مع اليهود، ويستنقذ الأمة الإسلامية كلها، ولقد أعلن الجهاد لتحرير فلسطين وإنقاذ مقدسات المسلمين ورد اليهود على أدبارهم.

وفى مواجهة المجازر الوحشية وأعمال التصفية والإبادة، ومن داخل حصار الجوع والموت لن توجد إلا سبيل واحد، هى مصدر القوة فى الأمة «الإيمان» ولن يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أولها، الإيمان الذى يدفع المؤمن إلى أن يقول: أليس بينى وبين الجنة إلا أن أقتل هذا الرجل أو يقتلني؟ ثم يندفع إلى القتال بنفسه ليلقى إحدى الحسنيين، حين يوجد الإيمان الحق توجد الروح المعنوية العالية ويتحقق النصر اليوم، كما تحقق بالأمس.

ونذكر من تاريخنا القريب «أن بضعة من الفدائيين فى القنال لا يزيد عددهم على مائة، ولم يكن ينزل منهم فى أى ليلة أكثر من خمسة أو ستة، قد أرقوا الإمبراطورية البريطانية، ولم يكونوا يملكون أسلحة ثقيلة ولا خفيفة، ولا طيارات ولا دبابات، بل على الأكثر مسدسات ومدافع سريعة الطلقات، ولكنهم كانوا يملكون ما هو أشد فتكا من ذلك، يملكون الإيمان، ويعيشون بروح أهل بدر، ولذلك أزعجوا العدو المستعمر».

إن الإيمان هو باعث هذه الأمة، وهو رائدها، وهو عدتها فى الجهاد، وفى عمارة الكون، وفى القيام بدور الخلافة الذى كلفنا الحق تبارك وتعالى به: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنه باعث التفاؤل والنصر، وهو مقدمة النصر، وهو الرصيد العظيم لكل أمة تريد أن تؤدى دورها على ظهر الأرض بأمانة وإتقان.

يا حكام العرب والمسلمين:

إن عقيدتنا وتاريخنا ودماء شهدائنا وأعراضنا التى انتهكت فى كل مكان، وأنات أراملنا وصرخات أطفالنا، ومشردينا، تطالبنا جميعا - إن كانت فينا بقية من حياة - أن نسارع إلى الترابط والوقوف صفا واحدا، أمام الأعداء، كما تطالبنا بالإسراع بإعداد المجاهدين الصادقين، كما تطالبنا بل تفرض علينا أن نوحد صفوفنا، فيد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، ويجب إعطاء الحرية للأمة، وإشراك الجماهير فى مواجهة الأخطار والتحديات، والكف عن القيام بدور المتفرج على مواكب الشهداء، وكأن الأمر لا يعنينا فى شيء. يجب أن يتحول دورنا جميعا إلى دور الداعم والمعاون والداعى والمشاكر، وكما يفرض علينا الإسلام حكاما ومحكومين أن نقف صفا واحدا فى الصلاة خمس مرات، ونتجه إلى قبلة واحدة خلف إمام نقتدى به، ونصوم جميعا شهر رمضان، ونفطر معا، قرآننا واحدا، ورسولنا واحد، ونعبد إلها واحدا لا إله إلا هو، فإن كل هذه الأسس الدقيقة التى وضعنا الإسلام فى إطارها، تفرض علينا أن نكون أمة واحدة ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

■ الفهـــرس ■

- تقديم ٣
- شهر رمضان واحة للمتقين ٥
- شهر رمضان تجديد للروح وزاد المؤمنين..... ١٣
- فى وداع رمضان نذكر الفتح الأعظم وليلة القدر ٢١
- رمضان معسكر ربانى ٢٩
- مائة عام على ميلاد الإمام المودودى ٣٥
- الصحوة المباركة ودور الشعب الفلسطينى فى الجهاد ٤٣
- الرسالة الأخيرة للمستشار محمد مأمون الهضيبى - رحمه الله -. ٤٩
- من المؤمنين رجال ٥٧
- وقفات مع قدوم عيد الأضحى ٦٣
- دروس وعبر فى ذكرى استشهاد الإمام البنا ٧١
- معانى الهجرة وواقع أمتنا..... ٧٩
- حصاد عام هجرى وقفات وتأملات ٨٥
- مشروع الشرق الأوسط الكبير ورؤيتنا للإصلاح ٩٣
- مؤتمر القمة العربية والتحدى الخطير أمام العرب والمسلمين ٩٩
- الإسلام طوق النجاة للاستقرار والأمن فى العالم ١٠٥
- المشهد العربى... انكسارات وتراجعات وإحتلال ١١١
- الشيخ أحمد ياسين.. شهيد الأمة ١١٥
- واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ١٢٣
- الجهاد والاستشهاد هما طريق العزة والنصر ١٣١
- استشهاد الرنتيسى واستهداف الأمة ١٣٧

- ميلاد خاتم الأنبياء وواقع الأمة ١٤٥
- أمريكا ذلك الجبار - سينهار ويُهزم ١٥٣
- الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة ١٦١
- فى ذكرى اغتصاب فلسطين المقاومة تفتح آفاق جديدة. ١٦٩
- حديث عن نتائج القمة العربية والإصلاح ١٧٥
- فى ذكرى النكبة ٥ يونيو ٦٧ هل استوعبت الأمة الدرس..... ١٨٣
- مشروع الشرق الأوسط الكبير والقضايا القومية ١٨٩
- حول أسباب العداء للإسلام وقضية السودان ١٩٧
- المسلمون على مفترق طرق وواجبنا التمسك بالإسلام ٢٠٧
- حول بدء محاكمة صدام وقضية الاحتلال ٢١٣
- الاصلاح المنشود.. وتبخر الآمال ٢١٩
- الحق والقوة وقرار محكمة العدل الدولية ٢٢٥
- حمل الأمانة والمسئولية تجاه قضايا الإسلام..... ٢٣٣
- غطرسة القوة الأمريكية - والالتفاف حول السودان ٢٤١
- عدوان على الإسلام وثوابته ٢٤٧
- مع قدوم شهر رجب... شهر الله الحرام..... ٢٥٥
- تحرير الأوطان... فريضة شرعية ٢٦١
- وحدة المسلمين.. الطريق إلى النهضة ٢٦٧
- ولن تسود شريعة الغاب الأمريكية ٢٧٣
- دروس من الإسراء واسترداد بيت المقدس ٢٨١
- إنها حرب على الإسلام ٢٨٩
- لماذا كان تحويل القبلة ؟ ٢٩٥
- الفهرس ٣٠٣